اسبـــــاب
الفتنة الكبرى فـــي لبنـــان
١٨٦٠

وضـــع

كامـــل اميـــن ديـــب

رسالة مقدمة لدائرة التاريـخ العربـــي
بكلية الاداب في جامعة بيروت الاميركية وهي بعض
المطلوب ، لنيل درجـة الماجستيـر M.A. في التاريخ.

بيروت حزيران سنة ١٩٥٧

الفتنة الكبرى

د يب

المقـــدمـــة

المســـألة اللبنـــانيـــة

عرض الفكـــرة

ان المسألة اللبنانية بجوهرها وكليتها جزء من المسألة الشرقية ،اوجدها نظام الملل ،وغذاها الحكم الثيوقراطي ،وابقاها اختلاف وجهات النظر للحياة وتعذر العيش الكريم المنسجم بين الفئة الحاكمة والفئة المحكومة ،واثارها الاقتحام الغربي المتفتح لمجتمعات في الشرق آنذاك ،مقفلة على ذاتـها ،ذائرة على نفسها .

ومع ما شمل نظام الملل من حسنات كحرية المعتقد ،ورغم ما احتوى نظـام الحكم الثيوقراطي احيانا من تساهل او تسامح ،فقد كانت الاقليات عائشة علـى هامش الحياة غريبة عن اوطانها ،ورغم ما اقتنت من اموال واختزنت احيانا من ثراء ، فقد كانت دائما مفتقرة الى الشعور بالعزة والكرامة ،وانسانيتها ،ومبدأ حرية العيش والمساواة مع الفئة الحاكمة التي لم تنعم بها فترة من الزمن عمليا وقانونيا معا .

وانه يخيل للباحث احيانا ان الطائفية في لبنان لم تكن الا تجاوبا للطائفية المحيطة به ،او يبدو ان الانكماش اللبناني في معظم ادواره ما هو الا تجاوب لامتداد الطائفية المحيطة به وتخوفه من فرض نظم حياتها عليه ،فاذا ما الغيت الطائفية فيما حوله قد تصبح الطائفية فيه غير ذات موضوع . وقد يكون من العبث محاولة الغاء الطائفية في لبنان من " الطروس" او النفوس كما يقال ، ما لم تشعر الاقليات ان من حولها يبادلها الشعور والنظرة الى الحياة في مسالكها وخطوطها العامة والهامة .

لهذا ان المسألة اللبنانية لا تعالج فقط وتشخص داخليا بل هي تفاعل لنظرة الشرق ونظرة الغرب للحياة ،ولبنان نظرا لموقعه الجغرافي ،وواقعه التاريخي ،هو منهما ،بين ،بين ،متأثرا ومؤثرا في هذا التفاعل ،ولهذا برزت المسألة اللبنانيـــة بيقظة الغرب وبلغت الذروة يوم بلغ التدخل الغربي ذروته باقتحامه معاقل الشـرق عسكريا وروحيا وثقافيا في منتصف القرن التاسع عشر ،وان حوادث الستين لم تكن الا نهاية فصل مؤلم او ذروة الاقتحام الغربي في هذا الجزء من العالم ، ولهذا كانت غاية هذه الرسالة ان تستشف المؤثرات الخارجية في المسألة اللبنانية وعلاقتها بالمسألة الشرقية وانه ليلوح للباحث من تطور الحوادث ان المسألة اللبنانية برزت على اشدها

بالفتح المصرى يوم حاول المصريون قلب الاوضاع باعنف الاساليب واسرعها ،فحرروا الفئات المظلومة اجتماعيا فجأة ،وفرضوا العدل والمساواة بين الطوائف والطبقات في بعض النواحي ،في عصر لم يفقهها ولم يستسيغها ،ولكن عندما تعذر عليهم الثبات في البلاد ازاء تدخل الغرب لاغراض سياسية امتشقوا الذى انتزعوه واثاروا عن عمد او غير عمد ،بذور التفرقة الطائفية بين طائفتين ،وحدّث بينهما عوامل عديدة وعاشتا مدة من الزمن لم تعرف فيه خلافا طائفيا ،وغرسوا في قلوب الفئات والطوائف الحاكمة بذور الحسد والكره والانتقام وشجعوا العائلة الحاكمة على الجهر بمسيحيتها وابداء تحيزها ،ففتحوا المسألة اللبنانية على مصرعيها واتاحوا الفرصة للدول الاوروبية الكبرى التدخل تدخلا سافرا ادى الى التقسيم والفوضى وظهور الانشقاق ليس على الصعيد الطائفي فحسب بل على الصعيد الطبقي الاجتماعي، فتحرك الفلاحون في كسروان واضرموا ثورة اجتماعية تحولت فيما بعد الى حركة طائفية في الجنوب حيث كانت الفئة الاقطاعية من طائفة والفئة المزارعة من طائفة اخرى .

ولا ينسى ما كان للعوامل النفسانية من اثر فعال بعد اشتداد الازمة الشرقية ،فقد كان لبنان ولا يزال من اهم نقط الالتقاء بين الشرق والغرب وهو الى هذا معقل او ملجأ المسيحية يتمتع بوضع خاص في الشرق الاوسط فكان بمثابة كبش المحرقة او قربانا للحضارة الغربية، صبت افئدة الحقد جام غضبها عليه .

وهذا ما يفسر لنا قول الدكتور حتي انه من اعظم حوادث الشرق في القرن التاسع عشر ظهور لبنان بوضع دولي خاص، ودخول معظم عناصر الحضارة الغربية للشرق عن طريقة .

على ضوء هذه النظرية نستطيع ان نستجلي خيوط الفتنة الكبرى، وان تبرز امامنا عوامل عديدة للكارثة، وهنا يصح معنا القول المأثور انه ليس من حادثة تاريخية الا ووراءها اكثر من سبب خفي او ظاهر .

واخيرا لا بد من الاعتراف بديني الكبير لاساتذة دائرة الدراسات العربية والتاريخ في الجامعة الاميركية، لارشاداتهم الثمينة ونصائحهم القيمة وهم الدكتور نبيه فارس رئيس دائرة الدراسات العربية ،والدكتور زين زين رئيس دائرة التاريخ ،واخص بالذكر الدكتور كمال صليبي الذى اشرف على رسالتي هذه وافسح لي مجال البحث والمناقشة والاستفادة من خبرته وتوجيهه الرشيد .

كامل ديب

بيروت ،الجامعة الاميركية ١٠ حزيران سنة ١٩٥٧

المقدمـــــة

عـــرض الفكـــــرة

صفحـــة

الفصــل الاول

اوضاع لبنان في الامبراطورية العثمانية في القرن التاسع عشر

صفحة

الفصل الثالث

تأثير عوامل التغيير في الاوضاع في لبنان

الفصـــل الرابـــع

صفحـــة

تفاعل وتضافر العوامل السابقة لاثارة الفتنـــة

المناسبات والاسباب المباشرة لاضطرامها

الفصـــل الاول

اوضاع لبنان في الامبراطورية العثمانية

١ ــ الوضع السياسي العام :

(١) علاقة الولاة الاتراك بلبنان :

استولى الاتراك على سوريا بعد ان قهروا قوات المماليك في معركة مرج دابق ودخل السلطان سليم دمشق فاستدعى امراء لبنان اليه. وبينهـــم فخر الدين المعني الذى القى كلمة بين يديه فاعجب به وجعله مقدما علـــى الجميع[١] وابقى للبنان الوضع الذى تمتع به سابقا ولكن بعمله هذا منح لبنان اكثر من ذلك. منحه السيادة الموحدة اذ مكن الاسرة المعنيّة من الاعتلاء فوق سادة الجبل ، ومن هذا الحادث يرى بداية تكوين لبنان السياسي ومظهره على المسرح العالمي ومنه نشأت اسباب الصراع الطويل بين لبنان والدولـــة العثمانية.

وكانت سوريا في عهد المماليك ست ولايات فجعلها الاتراك ولايتين ثم ثلاثا فاربع ولايات[٢] وكان جنوبي لبنان خاضعا لولاية دمشق وشماله لولاية طرابلس. ثم شكلت ولاية صيدا ١٦٦٠ لمراقبة الامراء المعنيّين بعد ثورتهم[٣] ونقلها الجزار الى عكا. ثم انشئت ولاية بيروت بعد ثورة الامير بشير الثانـــي

---

١ ــ طنوس الشدياق ، اخبار الاعيان في تاريخ لبنان ، (بيروت ، ١٨٥٩) ص ٢٥١.

٢ ــ اسد رستم ، بشير بين السلطان والعزيز ، ١٨٠٤ــ١٨٤١ ، (بيروت ١٩٥٥) ، ص ١.

٣ ــ الشدياق ، المصدر نفسه ، ص ٣٤٠ ، يذكر تشرشل ان الولاية انشئت ١٦٦٨.

لمراقبة لبنان عن كثب(٤) وكانت الولايات خاضعة لسلطة عسكرية واحدة مركزها دمشق ، ولقب القائد مشير العرض الهمايوني الخامس.

ويتحتّم على كل ولاية ان تمّد الدولة بعدد من الرجال ودفعة من الاموال ، وكانت هذه الولايات تباع احيانا بالمزاد العلني للدافع الاكبر من المتنافسين على الحكم والسلطة. فكان سعر الولاية من ثمانين الف الى مئة الف "دكا" والدكا تعادل عشر فرنكات.(٥) وكانت سياسة الاتراك الاكثار من عزل الولاة(٦) لغرضين مهمين على الاقل. اولا ، اضعاف مركز الولاة. وثانيا ، اشباع نهم السلطة لجمع الاموال بتجديد عقود البيع والشراء لتغطية تبذير الحريم(٧) ومصاريف الحرب.

---

٤ ـ المصدر نفسه ، ص ٦١٥.

٥ ـ Henri Lammens, Petite histoire de Syrie et du Liban, (Beyrouth, 192), p.80.

٦ ـ Ibid.

يلاحظ انه في خلال ١٨١ عاما من ١٥١٦ـ١٧٩٧ تولى دمشق ١٣٣ واليا. وفي خلال تسع سنوات عاصر احد السلك الدبلوماسي الاجنبي تسع ولاة في حلب.

M. Jouplain, La Question du Liban, etude d'histoire diplomatique et de droit international, (Paris, 1860), P.84.

٧ ـ Richard Davey, The Sultan and His Subjects, (London, 1907), p.92.

محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، اسباب انحطاط الامبراطورية العثمانية وزوالها ، (بيروت ، ١٩٥٤) ، ج ٢ ، ص ٢٦.

فلبنان مثلا عرف ما بين ١٨٤٠ـ١٨٤٥ ست ولاة اتراك يضاف اليهم عدة هيئات سياسية تركية.

وكان لبنان مقسما لمعاملتين(٨) معاملة طرابلس خاضعة لولاة طرابلس وكان يدفع عنها الامراء الشهابيون ١٣٠ كيسا ، والمعاملة الجنوبية تابعة لصيدا او عكا والمدفوع عنها ٤٠٠ كيسا .(٩) وكان والي عكا هو الذى ينصب الامراء ويخلع عليهم السلطة، وكان الجزار افظع ما ابتليت به ولاية عكا وسوريا عامة، يعرف تنافس الامراء الشهابيين على الحكم فيخادعهم اميرا بعد امير ويذكي الاختلاف بينهم، فاذا ما تصافوا حقد عليهم وتميز غيظا .(١٠) وكان من جراء منافسة(١١) الامراء ان بلغ سعر الخلعة تسعة آلاف كيس وارتفعت القيمة في زمن عبد الله باشا الى ١٢٠٠٠ كيس.(١٢)

وكانت هذه السياسة تثير الحركات الشعبية في لبنان احيانا من جراء كثرة الضرائب، ولاسيما في كسروان فثاروا منادين بالعصيان، وقد اضطر الامير بشير تحت ضغط الحوادث ان يستقيل معلنا عجزه . قال الشدياق،

---

٨ _ في معاملة طرابلس ٨ مقاطعات وفي معاملة صيداء ١٦ . فمعاملة صيداء بدأت عند مصب نهر الاولي بالقرب من صيداء وانتهت عند جسر روماني قديم شمالي جونيه، دعي جسر المعاملتين لانه كان الحد الفاصل بين المعاملتين . وشملت معاملة طرابلس جميع ما وقع بين جسر المعاملتين وبين نهر البارد شمالي طرابلس ودخل في لبنان ايضا اكثر سهل البقاع وبعلبك وجميع المنحدرات من جبل الشيخ . الشدياق ، المصدر نفسه، ص ١٩ـ٢٣ . رستم ، بشير بين السلطان والعزيز ، ص ٢ .

٩ _ Lieut. Colonel E. Napier, Reminiscences of Syria and the Holy Land, (London, 1847), v.I, p.204.

١٠ـ الشدياق، المصدر نفسه، ص ٧٠ .

١١ـ Henry Guys, Beyrouth et le Liban, relation d'un sejour de plusieurs annees dans ce pays, (Paris, 1850), v.II, p.117.

١٢ـ وبلغت القيمة في العهد المصرى ٥٣٠٠ كيسا والكيس ٥٠٠ غرشا . الدكتور مخائيل مشاقة ، منتخبات من الجواب على اقتراح الاحباب، (بيروت، ١٩٥٥)، ص ١٤٣ .

"ولما رأى الامير ان تقلب الوزير معه داء لا دواء له. وان ارتباط العامية لا ينفك، كتب الى الوزير قائلا "انني عجزت عن الاحكام وقد تركت بلادي وعيالي وتوجهت نحو بلاد دمشق". (١٣)

(٢) تعصب الولاة :

ولاسباب اخرى كان الولاة يرغبون في ان تستمر المشادة والمزاحمة بين الامراء لارهاق جميع الاحزاب وبسط نفوذهم فيه. ولعل من اخطر الاساليب التي تذرعوا بها مؤخرا اثارة روح التعصب والطائفية في لبنان وذلك منذ مستهل القرن التاسع عشر. قال مشاقة، "ولم يكن للجزار سبيل للمداخلة في شؤون لبنان .. ارسل عصابة لالقاء بذور الفتنة بين مشايخ الدروز والامير بشير.. فانتشرت جواسيسه بالجبل يحسن للدروز الفتك بالنصارى ويعدهم بالمساعدة". (١٤)

وقد اشتهر عبد الله باشا خليفة الجزار في عكا بتعصبه وملاحقة الامراء اللبنانيين في امورهم الداخلية. ويذكر ان عبد الله باشا عرض على الامير ان يعتنق مذهب الاسلام نجاة له من اضطهاده المتلاحق. (١٥) وهكذا نرى انه في معظم الاحيان كان عدم الاستقرار في لبنان صدى لتدخل الولاة في شؤونه.

---

١٣ ـ الشدياق، المصدر نفسه، ص ٥٠٠.

١٤ ـ الدكتور مخائيل مشاقة، مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان، (مصر، ١٩٠٨)، ص ٥٨.

ملاحظة : لمدة طويلة وهذا الكتاب يعتقد بانه من تأليف الدكتور مشاقة ولكن الدكتور رستم يستبعد ذلك. راجع مقدمة منتخبات الجواب على اقتراح الاحبات للدكتور مخائيل مشاقة.

١٥ ـ المصدر نفسه، ص ٧٢. راجع حادث غضب عبد الله باشا على الامير لانه تمنع من اكل اللحوم يوم الجمعة العظيمة السابقة للفصح بعد معركة نابلس. سعيد الصغير، بنو معروف في التاريخ، (عرمان، ١٣٧٤ هـ.)، ص ٧٥.

وضع لبنان السياسي الخاص:

ورغم محاولات بعض ولاة الاتراك في سوريا لبسط سلطتهم على لبنان فلم يفلحوا وبقي لبنان محافظا على طابعه الخاص. قال يوسف السودا ، "ان نظام لبنان عام ١٨٦٠ لم يحدث حدثا. ارجع الى ما شئت في تاريخه تراه ممتازا عما يكتنفه من البلاد ، حائزا على استقلال خاص، تارة يكون تاما وطورا نوعي وبحسب الظروف". (١٦) والواقع ان ثمة عدة عوامل ساعدت لبنان على تفرده بهذا الوضع الخاص عن سائر الولايات ، وهو كما يعلل رستلهوبر "بان لبنان افلت هذه المرة من يد الفاتحين الترك بفضل موقعه الجغرافي ، اذ لم يشأ السلطان سليم ان يعطل حركات جيوشه في حرب جبلية واكتفى بطاعة امرآء الجبل مقابل جزية صغيرة يؤدونها له ، وبادر الى فتح مصر". (١٧)

وباعتقادنا ما صح على الاتراك يصح على الفاتحين العرب اذ لم يشأوا ان يكبدوا جيوشهم حربا جبلية لم يألفوها ولا مغنم كبير بعدها فاكتفوا باحتلال السواحل وقد يكون لبنان في عرفهم آنذاك اشبه بصومعة او مجموعة اديرة ومعابد اوصت الشريعة والتقاليد العربية باحترامها. وقال تشرشل منذ حكم الاتراك وجبل لبنان يتمتع قليلا او كثيرا بنوع من الاستقلال الحقيقي وحاول الاتراك مرة خرق حرمة تقاليده، فلقنهم اللبنانيون في معركة عين دارا درسا قاسيا. (١٨)

وذكر نابير ولبنان كمعظم البلاد الجبلية ، كان منذ اجيال ملجأ المضطهدين وموئل الحرية والاستقلال ، ومن مزاياه الخاصة انه قلعة في قسم من العالم كان ولا يزال مسرحا للحوادث المهمة المؤثرة بالجنس البشرى. (١٩)

---

١٦ – يوسف السودا ، في سبيل لبنان ، (بيروت ، ١٩٢٤) ، ص ٥٣.

١٧ – Rene Ristelhueber, Les Traditions francaises au Liban, (Paris, 1925), p.24.

١٨ – C. Churchill, Mont Lebanon. A Ten Years Residence, 1842-1855, 3 vols. (London, 1853) I, p.24.

١٩ – E. Napier, op.cit. v.I, p.165

وقال بوركهارت ولبنان لم يكن جزءا من الامبراطورية العربية. ولم يخضع للصليين وحاول اليهود قبلهم فلم يفلحوا باقتحامه، وهكذا في كل غزو بقي لبنان سيد نفسه. (٢٠)

ولا شك ان نظام تقسيم الرعايا على اساس ديني منح الاقليات نوعا من الحكم الذاتي (٢١) وهذا النظام كما عرفه المؤرخ تونبي ليس بهيئة دينية صرف ولا هيئة سياسية صرف بل يجمع بين مزايا النظامين. (٢٢) ويعزو بيهم وغيره من المؤرخين ضعف الدولة العثمانية الى هذا النظام فقال انهم منحوا الاستقلال الديني للملل فاعترفوا بحقوق البطريرك الارثوزكسي وتركوا له ولمجلسه حق الحكم في الاحوال الشخصية من رعيته وفي بعض القضايا المدنية والجنائية زادوا في سلطته وامتيازاته. (٢٣) فالسلاطين كانوا يعملون على توسيع مدى الخطوط التي تفصلهم عن رعاياهم عوضا عن اهتمامهم بصهر العناصر المختلفة الخاضعة لهم ببوتقة واحدة. (٢٤) كما ان نظام جباية الاموال للدافع الاكبر شجع الحكام على ان يصبحوا اشباه مستقلين. ويظهر انه كان للبنان ميزة خاصة في جباية الضرائب والاموال ويستنتج هذا من عريضة قدمها امراء ومشايخ لبنان الى الباب العالي في ٢٢ ايار سنة ١٨٤٢. (٢٥)

---

٢٠ - "At the source of history in the most extraordinary of invasions, we find Lebanon alone mistress of herself."
David Urquhart, The Lebanon (Mount Souria). A History and a Diary. 2 vols. (London, 1860), v.I, pp.8,22.

٢١ - بيهم، المصدر نفسه، ص ٨٤.

٢٢ - Arnold Toynbee and K. Kirkwood, Turkey, (London, 1926), p.27.

٢٣ - بيهم، المصدر نفسه، ص ٨٤.

٢٤ - المصدر نفسه، ص ١٠٤.

٢٥ - مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان، ١٨٤٠ - ١٩١٠، تعريب فيليب وفريد الخازن (جونيه ١٩١٠)، ج ١، ص ٧٨.

ومن ملحق المفاوضة التي دارت بين ممثلي الدول الخمس في جلسة ٢٧ ايار سنة ١٨٤٢ مع ناظر الخارجية العثمانية جاء ما يلي "ثم اورد ممثلو الدول عدة ادلة معززة بشواهد تاريخية بيانا بوجوب مراعاة اهالي لبنان ومعاملتهم بالحسنى وبكل ما تقتضي به الفطنة.. وتذكيرا بان السلاطين العظام طالما راعوا ابان عزهم واقتدارهم جانب اللبنانيين وامتيازاتهم.(٢٦) قال رستم "وفي العهد المصرى بقي لبنان محتفظا بامتيازاته فبقي مستقلا عن المديريات الثلاث المحيطة به.. ودليلنا على هذا القول ان الحكمدار يقول في احدى رسائله الى ابرهيم باشا انه كتب يستعلم عن محل اقامة الامير فتبين له انه مقيم في مشغرة وان هذه ضمن حدود لبنان فاوقف فرسانه عن الملاحقة".(٢٧)

ولم يكن هذا الوضع الخاص ناجما عن وضع البلاد الجغرافي او بسالة شعبه فحسب بل يعود الى اعتبارات اخرى منها كما سيذكر فيما بعد. اولا، وجود ملتين كبيرتين مجتمعه كل منهما على الاكثر في مكان واحد، وتكاد كل منها ان تكون فريدة نوعها في الامبراطورية كلها، بل في العالم. ثم نظـــرة الاتراك لهم كخوارج عن مذهب الاكثرية الاسلامية والمسيحية وحدت اواصر الالفة بينهما، فشهادة الدروز لم تكن مقبولة في المحاكم. فهم شرعا من هذه الناحية كالمسيحيين.(٢٨)

ويروى بوركهارت انه بمناسبة اعتناق احد الدروز المذهب المسيحي اصدرت احدى محاكم بيروت فتوى تجيز ذلك مع انه من المعلوم ان تنصر المسلم

---

٢٦ ـ المصدر نفسه، ص ١١٢

٢٧ ـ رستم، بشير بين السلطان والعزيز، ص ١٠٥. نقلا عن المحفوظات الملكية المصرية، ج ٣، ص ١٠٢ــ١٠٣ و ٢٤٦ــ٢٤٨.

٢٨ ـ الخورى قسطنطين الباشا، تاريخ طائفة الروم الملكية والرهبنة المخلصية، (صيدا ، ١٩٣٨)، ص ٤٨١.

فجزاؤه الموت. (٢٩) ويؤيد هذا ما كتبه بعض المرسلين الانجليين. (٣٠)

(٣) حماية الغرب لهم :

ويتضح انه من اهم العوامل في تطور هذا الوضع الخاص او المحافظة عليه هو علاقة لبنان مع الغرب. (٣١) ولاسيما علاقة الموارنة مع روما ومع فرنسا على الاخص. وقد كانت هذه الدولة اولى الدول الاروبية الكبرى التي كانت على صلات ودية وقوية احيانا مع الاتراك فاذا كان الدروز حماته وترسه الواقي في الداخل فقد كان سفراء فرنسا ومن اليهم يرعون ويتعهدون الخطر من الخارج .

فكانت ملوك فرنسا لا يفتأون يعطون الاوامر لسفرائهم مشفوعة بالتوصيات بالملة المارونية كما جاء في توصية لويس الرابع عشر، نأخذ ونضع تحت حمايتنا وحراستنا الخاصة غبطة البطريرك وكل الاكليروس الذين يسكنون خاصة في جبل

---

٢٩ — D. Urquhart, op.cit. v.1, p.51.

٣٠ — George Scherer, Mediterranean Missions, 1808-1870, (Beirut, 1951), p.49.

٣١ — بهذه المناسبة نذكر محالفة الامير فخر الدين الثاني مع مسيحيي اوروبا ومفاوضته السرية مع قداسة البابا وان صحت رواية الاب قرآلي ، وهي مأخوذة من وثائق الفاتيكان الرسمية. فقد عرض الامير اللبناني على الفاتيكان احتلال البلاد المقدسة وجعل لبنان مركزا لكثلكة هذه الامارة. الخوري بولس قرآلي ، فخر الدين المعني الثاني امير لبنان وفردناند الثاني امير تسكانا ، ١٦٢١ــ١٦٣٥ ، (حريصا ، ١٩٣٨) ، ص ٣٥٠ .

وفي شهر شباط ١٨١٧ يكتب قداسة البابا للامير بشير شاكرا عطفه على الموارنة وسماحه لهم بالاعتراف بحقائق الايمان الكاثوليكي دون اى مانع و١٨٣٥ يكتب له قداسة البابا يشكر للامير حمايته التقليدية للايمان الكاثوليكي ويمدح تقبله لهذا الايمان لاول مرة ويهدى اليه صليبا وايقونة. رستم ، بشير بين السلطان والعزيز، ص ١٣ .

لبنان ونريد ان يشعروا بذلك في كل مناسبة". (٣٢)

ولم يهمل رجال الثورة في فرنسا هذه التقاليد، فسفير الثورة في الاستانة وزع على القناصل نشرة ورد فيها ان الدستور الذى لنا شرف الحياة في ظله، والذى يمنح لكل شخص حرية المعتقد يجعلنا احرص من ذى قبل على الدفاع عن ديانة الرعايا العثمانية الذين يعتنقون المسيحية. (٣٣)

(٤) بعض دلائل هذه الامتيازات :

ويستدلون على امتيازاته عن سائر الولايات بان الامارة فيه وراثية وانتخابية من قبل الاعيان، (٣٤) ثانيا، لا يتناول الامراء فيه مرتبات من قبل السلطة المركزية بل كان لهم حرية فرض الضرائب التي تعود نفعها اليهم مباشرة. (٣٥) ثالثا، للامير فرض عقوبة الاعدام وعقد المعاهدات احيانا، رابعا، ان البطاركة فيه لا يعينون ببراءة عثمانية او مرسوم عثماني. (٣٦)

---

٣٢ – بيهم، المصدر نفسه ص ١٠٤.

Pierre Ghaleb, Le Proctectorat religieux de la France en Orient, (Avignon, 1913), p.169 f.

٣٣ – بيهم، المصدر نفسه، ص ١١٦.

٣٤ – الشدياق، المصدر نفسه، ص ١٠٦.

٣٥ – راجع مداخيل الامير بشير في كتاب : رستم باز، (مذكرات ١٩٥٥)، ص ١١٣.
ويذكر نابير انه في وقت ما كان الامير بشير يعتبر اغنى رجل في سوريا اذ بلغت ثروته اكثر من مليوني ليرة استرلينية.

E. Napier, op.cit. v.1, p.213.

٣٦ – "Les Patriarchs maronites ne sont pas munis d'un berat de la Sublime - Porte". Le Comte F. Van Den Steen de Jehay, De la Situation légale des sujets Ottomans non musulmans, (Bruxelles, 1906), p.304.

وبفضل هذه الامتيازات اصبح لبنان متحفا حيا طريفا لمعظم طوائف الشرق ، وملجأ امينا للمظلومين والمضطهدين ، ويعلق هنري غيز قائلا "ولم يستطع الباشوات حتى الان ان ينزعوا امتيازه القديم الا وهو حماية المظلومين والمنكوبين، فسلطة متسلم بيروت لا تتجاوز غابة الصنوبر". (٣٧) ومما هو جدير بالملاحظة ان في عصر الامير بشير الكبير نفسه التجأ الى لبنان اربع فئات تمثل بعض الطوائف الكبرى. فالتجأ اليه دروز الجبل الاعلى بتأثير اضطهاد النصيريين لهم. (٣٨) واحتمى به كاثوليك دمشق من اضطهاد الروم الارثوذكس لهم (٣٩) وهرب اليه قسم ارثوذكس طرابلس تخلصا من ضغط الوالي على المسيحيين. (٤٠) ولعل اطرف هذه الحوادث التجاء عدد من شباب المسلمين اليه تهربا من القوانين التي فرضها الكنج يوسف باشا ، والي دمشق ، وهي كما رواها مشاقة كشاهد عيان "فرض الوالي على كل مسلم ان يلتحي ولا يبقى بينهم امردا وان الحلاق الذى يحلق ذقن مسلم تقطع يده. فكنت ترى كثيرا من شبان دمشق المسلمين هاربين الى السواحل والى لبنان ليخلصوا من اطلاق شعر لحاهم لانه في عوايد الشرق لا يجوز حلقه من بعد اطلاقه مدى الحياة". (٤١)

وكان لبنان ايضا ملجأ لبعض الشخصيات المعروفة وهي اشبه بما يسمى اليوم باللاجئين السياسيين. ويعدد رستم عددا من هولاء ويقول "فاصبح لبنان في حد قول الشاعر - حمى يوقي كل ملتجي - ويذكر منهم زعماء الانكشارية وقد التجأوا سنة ١٨٠٤ الى لبنان لخلاف وقع بينهم وبين والي حلب ، وعام ١٨١٢ يلتجأ اليه مفتي دمشق ، وكذلك متسلم طرابلس عام ١٨٢٤. (٤٢)

---

٣٧ - H. Guys, op.cit. v.1, p.11.

٣٨ - رستم ، بشير بين السلطان والعزيز ، ص ٣١.

٣٩ - مشاقة ، المصدر نفسه ، ص ٤١.

٤٠ - المصدر نفسه ، ص

٤١ - المصدر نفسه ، ص ٤١.

٤٢ - رستم ، بشير بين السلطان والعزيز ، ص ١١.

٢ ـ الوضـع الطائفـي :

(١) موقف الاتراك من الطوائف عامة :

وبفضل السياسة التي اختطها محمد الفاتح لخلفائه تجاه الملل ولاسيما ازاء بطريرك الاستانة الذى قام بتنصيبه وتسليمه عصا الرعية ، جريا على عادة الاباطرة المسيحية البزنطيين [٤٣] وبفضل نظام الملل الذى كان اشبه بدولة ضمن دولة تمتع الرعايا الذميون بحرية المعتقد ، وبما حرمت منه بعض الطوائف في حينه بالغرب. [٤٤] وتشير المصادر الى حادثتين فقط همّ بها الاتراك الايقاع بالمسيحيين فرفعت النكبة من جراء تدخل المفتي او سواه من الاشخاص المفكرين ، فكان الشخص يعرف بملته اكثر مما يعرف بهوية وطنه. [٤٥]

---

٤٣ ـ F. De Jehay, op. cit. p.88.

A. Ubicini, La Turquie Novelle, p.346. (Quoted by Alfred Carleton, The Millet System, p.102, (Thesis, Princeton University, 1926: microfilmed).

٤٤ ـ Ibid.

٤٥ ـ ومن اوسع المصادر على تطور مفهوم املة كتاب الفرد كارتون المشار اليه اعلاه وهنالك مصادر اخرى تشير الى ان حالة الذميين في العهد التركي وقبل القرن التاسع عشر كانت الى حد ما وبالنسبة الى عصرها مرضية ثم تغيرت الاحوال بتدخل الغرب تدريجيا . ومن المصادر التي تتناول الموضوع ما يلي :

De Jehay, op. cit. p.23

H. Gibbons, Foundation of the Ottoman Empire, (Oxford, 1916), p.80

A. Toynbee and K. Kirkwood, op. cit. p.28.

R. Davison, Reform in the Ottoman Empire 1856 - 1876, (Thesis, Harvard University, 1942, Microfilmed), pp.45-48.

٢ ــ الوضــع الطائفــي :

(١) موقف الاتراك من الطوائف عامة :

وبفضل السياسة التي اختطها محمد الفاتح لخلفائه تجاه الملل ولاسيما ازاء بطريرك الاستانة الذى قام بتنصيبه وتسليمه عصا الرعية ، جريا على عادة الاباطرة المسيحية البزنطيين [٤٣] وبفضل نظام الملل الذى كان اشبه بدولة ضمن دولة تمتع الرعايا الذميون بحرية المعتقد ، وبما حرمت منه بعض الطوائف في حينه بالغرب. [٤٤] وتشير المصادر الى حادثتين فقط همّ بها الاتراك الايقاع بالمسيحيين فرفعت النكبة من جراء تدخل المفتي او سواه من الاشخاص المفكرين ، فكان الشخص يعرف بملته اكثر مما يعرف بهوية وطنه. [٤٥]

---

٤٣ ــ F. De Jehay, op. cit. p.88.

A. Ubicini, La Turquie Novelle, p.346. (Quoted by Alfred Carleton, The Millet System, p.102, (Thesis, Princeton University, 1926: microfilmed).

٤٤ ــ Ibid.

٤٥ ــ ومن اوسع المصادر على تطور مفهوم املة كتاب الفرد كارتون المشار اليه اعلاه وهنالك مصادر اخرى تشير الى ان حالة الذميين في العهد التركي وقبل القرن التاسع عشر كانت الى حد ما وبالنسبة الى عصرها مرضية ثم تغيرت الاحوال بتدخل الغرب تدريجيا . ومن المصادر التي تتناول الموضوع ما يلي :

De Jehay, op. cit. p.23

H. Gibbons, Foundation of the Ottoman Empire, (Oxford, 1916), p.80

A. Toynbee and K. Kirkwood, op. cit. p.28.

R. Davison, Reform in the Ottoman Empire 1856 - 1876, (Thesis, Harvard University, 1942, Microfilmed), pp.45-48.

(٢) ظهور الطائفتين الكبيرتين فيه :

ولعوامل جغرافية ، تاريخية ، اصبح لبنان نهاية المطاف لمزيج غريب من الطوائف التجأت اليه في اوقات محنتها ولا غرو فلاديان الثلاثة الموحدة نشأت او انتشرت على مقربة منه ، والمسيحيون عرفوا بهذا الاسم في انطاكية ، وكما قال احدهم ما قامت حركة دينية او سياسية اثرت في مصير الانسانية الا وكان لهذه البقعة من الارض نصيب وذكر.(٤٦) ومن اهم طوائفه واكثرها علاقة بالبحث هما الموارنة والدروز.

الطائفة المارونية :

ويستنتج من مختلف الروايات والتقاليد المدرجة مراجعها ادناه رغم تعارضها وتناقضها احيانا :

اولا – ان الطائفة المارونية ظهرت اولا في سوريا بين حمص وحماه وفي احضان السريانية.(٤٧)

ثانيا – انها انتقلت الى لبنان بتأثير الوعظ والارشاد اولا منذ القرن السادس على الارجح.(٤٨)

---

٤٦ – Iskandar Abakarius, Book of the Marvels of the Time concerning the Massacres in the Arab Country. Translated, annonated by J. Scheltema, under the title, The Lebanon in Turmoil, Syria and the Powers, in 1860, (Yale, 1940), p.xiii.

٤٧ – الخوري بولس قرآلي ، الموارنة في لبنان ، (جونيه ١٩١١)، ص ١١ و١٦.

مار اسطفان الدويهي ، تاريخ الطائفة المارونية في لبنان ، (بيروت ١٨٩٠)، ص ٥٢، ٥٦، ٢٩٥.

فؤاد بستاني ، مارمارون ، مجلة الندوة اللبنانية ، عدد شباط سنة ١٩٤٩.

٤٨ – قرآلي ، الموارنة ، ص ١١، ١٦.

ثالثا — ان الموارنة تعرضوا في سوريا لاضطهادات متنوعة من العرب واليعاقبة والملكيين ولاسيما في القرن السادس والثامن وبعد انسحات الصليبين.[٤٩]

رابعا — ان المسيحيين عامة والموارنة خاصة ارغموا مرارا من السلطات الحاكمة في سوريا على اخلاء السواحل والاعتصام بالجبال منعا لهم من الاتصال بالدول المسيحية والغرب.[٥٠]

خامسا — ان هذه الاضطهادات المتوالية، وقد يكون الموارنة مسؤولين عن بعضها، وحدت صفوفهم حول قادتهم الروحية[٥١] ودفعتهم "الى الالتجاء الى صخور لبنان المنيعة" فآثروا الحرية مع صخرة" على "سهل ممرع مع اضطهاد".

سابعا — ان نزوح الموارنة الى لبنان اكسبه تاريخيا اهمية خاصة والا لبقي اسما جغرافيا في تاريخ سوريا.[٥٢]

ثامنا — ان اتصال الموارنة بالصليبيين والغرب فيما بعد جعل هذا الجبل احد المنافذ الكبيرة التي دخل منها (نور) الحضارة الغربية للشرق ويعتبر الدكتور حتي ان اعظم حدث في العصر التركي الاخير هو ظهور لبنان كدولة شبه مستقلة وغزو الحضارة الغربية للشرق عن طريقه.

---

٤٩ — المصدر نفسه، ص ١٩

٥٠ — ابو عباس احمد البلاذري، فتوح البلدان، (ليون ١٨٦٦) ص ١١٦، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨.

٥١ — R. Ristelhueber, op. cit. p.15

٥٢ — "Lebanon" in the Encyclopedia Americana, (N.Y. 1951) v.XVII.

لا يزال نزوح الموارنة الى لبنان موضع خلاف، فالبعض يعتقدون ان المارونية ظهرت في لبنان بطريق الوعظ ونزوح بعض الرهبان ويعتقد البعض الاخر ان الموارنة نزحوا بموجات صغيرة الى لبنان كما يذكر اسد رستم في كتابه الجديد وهو تحت الطبع وموضوعه تاريخ الكنيسة الارثوذكسية الانطاكية، والجائز ان يكون الامران.

كما ان هذه الاضطهادات ولّدت فيهم "عقدا نفسانية" كالخوف والحذر الشديد من جيرانهم. قال احدهم "واما الموارنة فلم يكونوا يحبون الاقامة في المدن صيانة لحريتهم الدينية[٥٣] لهذا كان الدين العامل الاول في تكوين وحدتهم.

تاسعا — ان تصرفات امراء الجبل ولاسيما فخر الدين، تلك التصرفات المهذبة — على حد تعبير هنرى غيز — التي ساس بها رعاياه الذميين، اجتذبت الى المناطق الدرزية في فترات مختلفت هجرة من الشمال الى الجنوب[٥٤] ولاسيما عندما باشر بتحسين العاصمة، دير القمر، فاستقدم المهندسين من الغرب والصناع من مختلف الحرف من نصارى سوريا ولبنان.[٥٥] ففي منتصف القرن الثامن عشر مثلا فرض الحرافشة على نصارى بعلبك ضريبة فادحة فأستأذنوا اللمعيين والتجاوا الى زحلة.(٥٦)

الـــدروز :

وظهرت الدرزية في وادى التيم فالشوف فالمتن ثم[٥٧] انتشرت وعرفت بشمالي سوريا، على الاخص في جبل السماق غربي حلب[٥٨]

---

٥٣ — الباشا، المصدر نفسه، ص ٩٠.

٥٤ — H. Guys, op. cit. v.2, p.292.

٥٥ — الباشا، المصدر نفسه، ص ٥٣.

٥٦ — عيسى المعلوف، تاريخ مدينة زحله، (زحله، ١٩١١)، ص ١٠٦.

٥٧ — The Encyclopedia Britannica, 11th. Ed., Article, "Druzes". The Encyclopedia of Islam, (Leyden, 1913), Article "Druzes".

٥٨ — الصغير، المصدر نفسه، ص ٢٣. سليم ابو اسماعيل، الدروز، (بيروت، ١٩٥٤)، ص ٤١.

واضطرت كالموارنة ان تهاجر على موجات نحو لبنان ومع ان بعض قبائلهم المشهورة ارسلت من قبل حكام دمشق للدفاع عن الثغور السورية من هجمات الافرنج وقد كانت تكافأ خدماتها احيانا بالجحود والنكران. قال تشرشل "وسرعان ما رجع ملك الآشرف الى القاهرة بعد تغلبه على الصليبيين حتى حاول ان يضطهد ويهاجم طائفة لم تعد خدماتها لازمة له. فاوعز الى حاكم دمشق ان يأمر الدروز ببناء جوامع لهم وان يلاحظوا ويمارسوا مبادئ وشرائع القرآن ولما رفض الدروز انقض عليهم الجيش ودمرهم في معركة صوفر فاضطر قسم منهم ان يلتجأ الى حوران".[٥٩]

ولما قدم تيمورلنك الشام رحل سكان وادى التيم جميعا الى لبنان ثم رجعوا مع اميرهم بعد انسحابه. وجاء في مجمع المسرات "ومنذ ظهورهم اصطدم الدروز بشيعة وادى التيم وفي جنوبي لبنان فاجلوهم عنها".[٦٠]

وفي اوائل القرن التاسع عشر وفي حكم الامير بشير الكبير يهاجم النصيريون العائلات الدرزية بعنف وشدة في جوار حلب فيلتجأ منهم اكثر من ١٥٠٠ نفس الى لبنان حيث استقبلهم الامير باخلاص وجمعت الاموال لمساعدتهم.[٦١] وهكذا نرى ان الطائفة الدرزية عانت ما عانته جارتها الطائفة المارونية من اضطهادات متوالية حملتها على الاعتصام بمرتفعات لبنان.[٦٢]

ولم يكن لبنان اذا مدينا فقط للطائفة المارونية بوضعه الخاص بل للطائفة الدرزية ايضا التي كانت الترس المنيع لصيانته من عبث الاتراك وقد دعى بحق ردحا من الزمن "بجبل الدروز". قال تشرشل "وكم مرة حاول الاتراك في

---

٥٩ - C. Churchill, Mount Lebanon, v.I, p.285

٦٠ - الدكتور شاكر الخورى ، مجمع المسرات ، (بيروت ، ١٩٠٨) ، ص ٣٣.

٦١ - G. Chasseaux, Druzes of the Lebanon, (London, 1860), p.170

٦٢ - The Encyclopaedia Britanica, "Druzes".

العصر الاخير اخضاعه مباشرة لحكمهم فباؤوا بالفشل". [٦٣] وباعتقاد "شاسو" ان الدروز لم يصونوا الجبل بقوة سلاحهم فحسب بل باعتناقهم مذهبا مغايرا لمذهب الاتراك حالوا دون انتشار طوائف غير مسيحية اخرى. [٦٤] ويظهر من معظم المصادر ان لبنان بقي بعد الفتح العربي باكثريته الغالبة مسيحيا بمعتقده، آراميا بلغته.

---

٦٣ — C. Churchill, The Druzes and the Maronites, Under the Turkish Rule 1940 - 1860, (London, 1862), p.21

والواقع ان هذه المحاولات كانت من قبل الولاة لا من السلطة المركزية العليا في الاستانة.

٦٤ — G. Chasseaux, op. cit. p.363.

يرجح رينه ديسو ان بعض القبائل العربية دخلت لبنان قبل الاسلام ويشير الى ان اسماء اكبر العائلات اللبنانية تشير الى اصل عربي. للاطلاع على دخول القبائل العربية الى لبنان والى دخول المسلمين اليه ولاسيما الى سواحله يشار بمراجعة المصادر التالية.

Rene Dussaud, Les Arabes en Syrie avant l'Islam, (Paris, 1907), p.13.

ومن المصادر العربية ـ ابو عباس احمد البلاذري، فتوح البلدان.

صالح ابن يحيى، تاريخ بيروت، (بيروت، ١٩٢٧)، ص ٩، ١١، ٤٧.

عيسى المعلوف، دواني القطوف في تاريخ بني معلوف، (بعبدا، ١٩٠٧)، ص ٥٠.

٣ - علاقة الطائفتين قبل الحوادث ووحدتها :

ظروف مماثلة جمعت بين الطائفتين مكانا وزمانا فتجاور الفريقان وتقاسما "مر الحياة وصفوها" بشهادة جميع من اموا البلاد في فترات واحقاب متباعدة.

كتب احد رحال السياسة الى دولته "ولا يخفى ان النصارى والدروز لم يكونوا من قبل اعداء ولا عرفوا خلافا مذهبيا بل سلاليا منقسمين الى حزبين سياسيين، قيسي ويمني".(٦٥)

ويلاحظ جوبلان وهو يدون تاريخ الطائفتين قبل الحوادث في كتابه المسألة اللبنانية وحدة الطوائف تجاه الخطر التركي فيقول "ولكن رغم الاختلافات الحزبية هذه، يتحدون بسرعة ان شعروا بالخطر".(٦٦) ثم يروى جوبلان عن مجلة الشرق المسيحي، ١٩٠٣، ج ١، ص ١٤٠، ان وفدا من الدروز والموارنة ذهب لمقابلة البابا وطلب ماعدته.(٦٧) ويروى الشدياق ان عام ١٦٠٩ وقعت فتنة بين مسلمي مجدل معوش فاتفقو على بيع القرية فاشتراها منهم الامير علي ابن الامير معن باثني عشر الفا غرشا وسلمها للنصارى.(٦٨)

وكتب رستلهوبر "ومن يظن ان الموارنة والدروز كانوا اعداء فهو مخطئ. كانوا على وفاق تام، وبقيت الحال كذلك الى عام ١٨٣٢... وقد حمل تعاونهم في القرون الوسطى على الاعتقاد بان الدروز من اصل مسيحي".(٦٩)

---

٦٥ - المحررات السياسية، ج ١، ص ٢١.

٦٦ - M. Jouplain, La Question du Liban..., p.146.

٦٧ - الشدياق، المصدر نفسه، ص ٢٥٤.

٦٨ - Ibid. p.143

٦٩ - R. Ristelhueber, op. cit. p.22.

وقد ثبت ان الدروز انجدوا الموارنة في الشمال على طرد الشيعة من جوارهم فكان الدروز يخضعون لمشايخ النصارى والنصارى يخضعون لمشايخ الدروز عن نفس طيبة نادرة.[٧٠] وروى الدكتور شاكر الخورى في كتابه مجمع المسرات "ولما حضر نصارى الشمال الى جنوبه في اوقات متفرقة عاشوا مع الدروز بالراحة والسكينة وكانت القرى التي تستقبل النصارى تسميها الدروز صاحبة الشرف".[٧١]

الدروز يساعدون بتشييد الكنائس والاديرة :

ومن الادلة على حسن تعاون الطائفتين ما رواه[٧٢] الخورى قسطنطين الباشا في كتابه تاريخ طائفة الروم الملكية ، قال : التمس رئيس الرهبان الملكيين الكاثوليك من الشيخ على جنبلاط ان يأذن له ببناء دير في احدى مقاطعاته وان يقيه وطائفته التعدى فانعم عليه بأرض من املاكه في اقليم الخروب شرقي جون ، وسلمه عقارات لمعاش الرهبان فبنى الرئيس ديرا وسماه دير المخلص وقد بنيت في ايامه معابد كثيرة.[٧٣] ويثبت الخورى قسطنطين الباشا صورة فوتوغرافية عن رسالة ارسلها صاحب الارض وهو الشيخ قبلان القاضي الى سيادة المطران ، وفي الرسالة حجة للارض ويقول "وان شاء الله ما نرضى لكم بهذا بس، لان يعلم الله ان حضرتكم عزاز وغاليين ، يد فرغت لاختها".[٧٤]

وعام ١٧٩٩ ساعد الشيخ بشير نفسه بتجديد بناء دير مشموشة للطائفة المارونية في اقليم جزين وساعد بكل ما يعود لمصالح الدير ونموه ، واحسن الى هذه الطائفة في جميع مقاطعاته فبلغ ذلك بابا روما ، فارسل له مرسوما يتضمن

---

٧٠ — حسر اللثام عن نكبات الشام ، (مصر ، ١٨٩٥) ، (ينسب لنعمان القساطلي)، لذا نكتفي بالاشارة اليه حسر اللثام.

٧١ — شاكر الخورى ، المصدر نفسه ، ص ٣٣.

٧٢ — الباشا ، المصدر نفسه ، ص ٢٣٦.

٧٣ — الشدياق ، المصدر نفسه ، ١٣٧.

٧٤ — الباشا ، المصدر نفسه ، ٢٣٧.

مزيد الشكر من حسن مساعيه." (٧٥)

وبهذه المناسبة نذكر ان جريس مشاقة بنى جامعا على حسابه في صور للشيعة لان اختلاف عقيدتهم عن السنة لا تجيز تأدية فروضهم الا في معابدهم. (٧٦) وعام ١٨٢٠ بنى الشيخ بشير جنبلاط كنيسة للموارنة في المختارة (٧٧) بعد ان وهبهم ارضها.

ويفاضل تشرشل بين حالة المسيحيين في الجبل وسوريا فيقول لقد ازدهرت احوال المسيحيين بين الدروز لان هؤلاء يفضلونهم على ابناء جلدتهم لمهارتهم في الزراعة فاصبح معظمهم من ارباب الثراء، واتخذ الدروز منهم المدربين، اى الكتبة والمستشارين، فاصبح بعضهم اصحاب الارض، فاقاموا الاديرة وشيدوا الكنائس واشتركوا مع الدروز في الصيد والعاب الفروسية. (٧٨) وقال ايضا اخر: "ويتمتع الموارنة باتم حرية دينية في الجبل، فالاجراس تقرع في انحاء الجبال وتتجاوب في الاودية، وهم معافون من الخدمة العسكرية لا يرون جنديا تركيا واحدا بينهم. فهنالك في الامبراطورية العثمانية جماعة من المسيحيين، احرار، لا تقل حريتهم عن حرية اية جماعة مسيحية في الغرب". (٧٩)

ويؤيد "باريار"، وهو مرافق سليمان باشا في الحملة المصرية الى لبنان، هذا القول، "فالموارنة يتمتعون بحرية مطلقة غير محدودة بممارسة طقوسهم رغم كره الاتراك لها فيحتفلون باعيادهم خارج الكنائس ويسيرون مواكب حاملين الاعلام والشموع والصلبان". (٨٠)

---

٧٥ - المطران باسيليوس قطان، (بيروت ١٩٢٩)، ص ١٦١.

٧٦ - م. مشاقة، مشهد العيان، المصدر نفسه ص ٥.

٧٧ - ط. الشدياق، المصدر نفسه، ص ١٤٤.

٧٨ - C. Churchill, Mount Lebanon,... III, p.26

٧٩ - Ibid, p.101.

٨٠ - Ferdinand Perrier, La Syrie sous le governement de Mehemet Ali jusqu'en 1840, (Paris, 1842), p.304.

والواقع ان الفضل الاكبر لهذا يرجع الى امرائهم واولهم فخر الدين الكبير، فقد ضرب مثالا رائعا للتساهل لمن بعده من الحكام، ويقول غيز لقد اكتسب شهرة اوروبية عظيمة نظرا لتصرفاته المهذبة وروح التساهل الذى ساس بها رعاياه المسيحيين حتى حمل تسامحه احد المؤرخين المسلمين على اتهامه بدعوة الناس سرا لاعتناق المسيحية.[(٨١)]

لقد اباح الامير المعني الكبير للمسيحيين ركوب الخيل المسرجة وحمل السلاح والاعتمام بالبياض وبناء الكنائس والاديرة وضرب النواقيس واظهار الشعائر الدينية في كل البلاد مما كان محظورا عليهم قبلا، وبقي محظورا في جميع الممالك العثمانية الى عصر السلطان محمود الثاني. (٨٢)

وكانت سياسة التساهل هذه مبعثا للقول، ان الامراء يدينون بجميع معتقدات طوائفهم، وخلافا للقول المأثور، الرعية على دين ملوكها، هنا انعكست الاية فالامراء على دين طوائفهم. فآذا مات امير شهابي يتولى الدروز دفنه على طريقتهم الخاصة بعد ان يتم رجال الدين المسيحي الفروض الدينية وينسحبون.[(٨٣)] وهذا ما يفسر القول المشهور "ان الامراء يولدون مسيحيين ويعيشون مسلمين ويموتون دروزا".[(٨٤)]

<u>عوامل الوحدة:</u>

عوامل الوحدة عديدة اشهرها على ما اعتقد:

---

٨١ - H. Guys, <u>op. cit</u>. II, p.292.

٨٢ - الباشا، المصدر نفسه، ص ٥٣.

٨٣ - H. Guys, <u>op. cit</u>. II, p.174.

٨٤ - <u>Ibid.</u>, p.153.

اولا — كل منهما طائفة اقلية ،عانت الاضطهاد السياسي والديني من طوائفها الكبرى فالتجأت احدها الى شمالي لبنان والاخرى الى الجنوب وجمعت الحوادث بينهما فالتقيتا في قلب لبنان .

ثانيا — تشابههما من حيث انهما وحيدتان غريبتان خاصتان بهذه البقعة من العالم فقط. فقد كان تاريخ الشام متحفا غريبا لكل طريف من الاديان والمذاهب فهي البلاد التي تنفرد بطوائف لا تحصى من المذاهب الخاصة بها كالموارنة والدروز.[٨٥]

ثالثا — الموقع الجغرافي ،فهما بنجوة الى حد عن تدخلات الفاتحين المباشرة، فلم يكن للسلطان على سكان الجبل من السلطة التي له في مصر او الشام لاعتصام هؤلاء بالجبل فاذا عز عليهم الامان في لبنان التمس فريق منهم النجاة في سفن البحار بالهرب الى قبرص، والتجأ الفريق الاخر الى حوران .[٨٦]

رابعا — نظام الملل المتبع في الدولة الذى جعل من الطائفة دولة ضمن دولة ، وهي منتشرة في انحائه فكيف بطائفة تجمعت في مكان واحد .

ويلاحظ ان دعوة الطائفتين ظهرت اولا خارج لبنان وان كان لها الى حد ما علاقة بشمال سوريا ،حماة ،فان اول خليفة فاطمي في مصر قدم اليها من سلمية "وانفذ ابو عبد الله السيعي الرسل الى المهدى في سلمية بدعوة للحضور الى افريقيا".[٨٧] "وقد حمل المهدى معه على ما ذهب ابن الاثير من سلمية جميع الكتب والوثائق التي كانت لابائه".[٨٨] واخيرا وليس اخرا — الاحترام المتبادل لعقائد بعضهم الشخصية وحرية ممارستها .

وذكر احد المؤرخين المارونيين انه لما اضطر الموارنة في الشمال ان يولوا عليهم حاكما من غير دينهم اشترطوا عليه ثلاثة امور مهمة جدا بل هي خلاصة

---

٨٥ — حسين مؤنس، الشرق الاسلامي في العصر الحديث ،(القاهرة ، ١٩٣٨) ، ص ٢٦٥ .

٨٦ — المصدر نفسه ، ص ٢٧١ .

٨٧ — حسن ابراهيم حسن ، الفاطميون في مصر واعمالهم السياسية والدينية ، (القاهرة ، ١٩٣٠) ، ص ٥٧ .

٨٨ — المصدر نفسه ، ص ١٣٣ .

الاستقلال في عرفهم وهي الدين ، والعرض، والدم ، فالدين حرية التعبد وانتخاب رجال الكنيسة ، والعرض من حيث الطهارة.. والدم بصيانة ارواح العباد .

والدروز طبيعة ودينا حريصون جدا على هذه الامور بل اشد حرصا من جيرانهم لان الدين بموجب مبادئهم وممارستهم علاقة شخصية وسرية ايضا بين الله والعبد ، واما الشرف والعرض فمقدس. كما ان الدعوة الدرزية قد اقفلت بعد السنوات العشر الاولى ويؤيد ذلك قولهم "تمت الدعوة واقفل الباب". ورغم ما اتصفت فيه بعض الحوادث من شراسة وفظاعة لم يستطع واحد من المؤرخين ان يذكر حادثة واحدة شاذة عن هذا المبدأ.

وهذا ما يلقي نورا على ما قاله الشيخ سعيد جنبلاط لمستر يوركهارت احد رجال السياسة البريطانية في الشرق آنذاك وقد تجول كثيرا في لبنان. فقد علل الشيخ جنبلاط هذه الوحدة وهذا التآلف بعوامل دينية قال "اتدرى لماذا نحب الموارنة ويحبوننا؟ لامرين اولا لا نرغب ان يعتنق اى مسيحي منهم مذهبنا فالدعوة قد اغلقت ابوابها." باب "التدرز" او اعتناق مذهب الموحدين قد اقفل ، فالدرزى قد يعتنق المسيحية ولكن ليس بالعكس، ثانيا ان لا يعطو بناتهم للمسلمين ولا يسلموا.(٨٩) قال احدهم "لثمانية اجيال عاش الطرفان معا بدون اى اختلاف ديني والظاهرة الغريبة في هذا البلد "لبنان" انعدام التميز بين الفريقين باللباس وكيفية اداء التحيات حتى في اسماء الاعلام.(٩٠) ويختم قوله بما يلي - "والخلاصة ان المسألة التي امامنا ليست مسألة تاريخية تعتمد على الوصف والنقل بل مسألة هندسية اقليدية تعتمد على العقل والاستنتاج وهي ان الدروز والموارنة شعب واحد.(٩١)

---

٨٩ - D. Urquhart, op.cit., v.1, pp.49, 211.

٩٠ - Ibid., p.48.

٩١ - Ibid., p.55.

وبعد الفتنة الكبرى نفسها يكتب الورد دفرين مندوب بريطانيا في بيروت الى المسيو بولفر في ١٤ ت ١ ، سنة ١٨٦٠ . "لقد اوعز الى الدروز والمسيحيين ان يجتمع كل فريق منهما في جهة من لبنان ، فلا تمضى عشر سنوات الا ويعود الاختلاط نظرا لميلهم الى الامتزاج معا لاسباب ثلاث ـ عداوتهما ليست دينية بل حزبية ، ثانيا ، مصالحهما مجتمعة متماثلة ، ثالثا الوصل بينهما ليس كالوصل بين الموارنة وطوائف اخرى . (٩٢)

---

٩٢ ـ المحررات السياسية مج ١٣ ، ص ٤٠ .

عدد الطوائف في لبنان :

ويقول هنري غيز انه يستحيل وتلك الحالة في جميع انحاء تركيا ، ان نحصل على معلومات صادقة تمكننا من معرفة عدد السكان معرفة صحيحة ، وليس ما يذكر في هذا الباب الا تخمين مبني على تحريات وحسابات قائمة على افتراضات غامضة . اما اما احصائي الذى قدمته عن سوريا فهو نتيجة عدة معلومات مستقاة من مصادر صحيحة فحصت طويلا . (٩٣)

المصدر	السنة	الموارنة	الارثوذكس	الكاثوليك	الدروز	الشيعة	السنيون	اليهود	المجموع
هنرى غيز	١٨٤٣	١٥٣٠٥٠	(مع الموارنة)		٢٦٤٤٥	٥٣٩٥	٨٧٧٥	٩٢٠	١٩٣٨٣٥
الشدياق+	١٨٤٩	٨٧٠٠٠			١٢٠٠٠	٦٠٠٠			
المحررات السياسية	١٨٦٠	١٠٢٠٠٠	٣٠٠٠٠	٤٠٠٠٠	٥٦٠٠٠	٢٨٠٠٠		٤٦٥	٢٧٥٤٩٠
دى تستا	١٨٦٠	١٦٦٠٠٠	٢٢٠٠٠	٤٠٠٠	٢٨٠٠٠	٩٠٠٠	٧٠٠٠		٢٣٦٠٠٠

+ يحصي شدياق الذكور فقط وفي المحررات السياسية يحص الذكور ثم يضرب بخمسة للحصول على مجموع الاشخاص ، ويظهر ان احصاء دى تستا اقرب للمعقول نوعا .

---

٩٣ ـ الشدياق ، المصدر نفسه ، ص ٧١٩

المحررات السياسية ، ج ٣ ، ص ٢١٧ ، الملحق ص ٤٨١٦ ، وفيه سكان حصبيا ، راشيا وزحلة .

H. Guys, op. cit., v.I, p.276.

Le Baron de Testa, Recueil des Traités de la Porte Ottomant, avect les puissance étrangères, Depuis le premier traité conclu, en 1536, entre Suleyman I et Francois I jusqu'a nos jours, (Paris, 1864..1901), p.374.

٣ — الوضع الاقتصادي:

(١) رجالات الاقطاع:

اتبع اللبنانيون انذاك الحكم العشائري والاقطاعي على الطريقة التي لا تزال اثارها في الوقت الحاضر في بعض البلدان العربية كجوران مثلا . وكان لكل قوم شيخ ثم مقدم ، وهو ذو القدم في الحسب والنسب ثم الامراء واشهرهم المعنيون ، الشهابيون ، والارسلانيون واللامعيون والحرافشة من الشيعة ، والمقدمون مثل ال مزهره والشيوخ دروز ونصارى وشيعيون ومن اشهرهم جنبلاط ، نكد ، عماد ، الخازن ، حبيش.[٩٤] ويشترط ان يكون الامير الكبير من العائلة الحاكمة ينتخب من قبل المقدمين والشيوخ والامراء . وكثيرا ما كانت الحروب الداخلية تقع بين هولاء الامراء فينقسمون الى فريقين قيس ويمني ، وهم اشبه بالفرق الرياضية اليوم يلتحق بكل فريق رجال من جميع الطوائف والعائلات . وكانت العادة ان لا يثار حرب ضد الامير الكبير الا وفي الجبهة الثانية امير اخر من عائلته ولو طفلا .[٩٥] وكان الشيوخ لترفعهم عن الاعمال لا يحسنون الكتابة فيتخذون في الغالب الكتبة والمحاسبين من النصارى ، ويعرف الوكيل باسم "كاخية".[٩٦]

وكان لرجال الاقطاع امتيازات يجب مراعاتها فلا يقتل احدهم ولا يحبس ولا يضرب واذا اذنب يكون قصاصه غالبا بمصادرة املاكه او بنفيه من البلاد .[٩٧]

(٢) انواع الارض:

املاك الامراء واملاك الاكليروس واملاك الفلاحين ، والفلاحين وهم الاكثرية الساحقة يستثمرون املاك الامراء والشيوخ لقاء ربع المحصول او نصفه وجميع الذين

---

٩٤ — الباشا ، المصدر نفسه ، ص ٤٨ .

٩٥ — ناصيف اليازجي ، رسالة تاريخية في العهد الاقطاعي ، حريصا ، ( ) ص ٢٠ .

٩٦ —

٩٧ — رستم ، بشير بين السلطان والعزيز ، ص ٤ .

اموا البلاد من سواح ورجال اعمال يمتدحون نشاط المزارع اللبناني ومنهم الرهبان الذين كانوا يقومون باشق الاعمال.(٩٨) ولقد انهكت قوى الفلاح فادحة الضرائب وتبلغ نحو مليونين ونصف من الفرنكات علاوة عما يدفع الفلاح عينا بمناسبة الافراح والاتراح في ديار اسياده من خراف ودجاج وغير ذلك.(٩٩)

(٣) انواع الضرائب :

نوعان — الفرضة او مال الاعناق وهي تفرض على الاعزب كل عام خمسة غروش والمتزوج سبعة، وتسعة على من يسكن ضواحي بيروت، والاميرية على الارض فيدفع غرشا عن كل مساحة سبعة فدادين، و١٨ غرشا عن كل قنطار زيت. والملاك الذى يبلغ دخله زهاء الفي غرش يدفع ضريبة سنوية تساوى ثلاثين، الا ان حاجة البلاد و"بلص" الباشا قد يحملان على مضاعفتها اضعاف الاضعاف.(١٠٠) ويقول مشاقة "وبما ان ثلثي الاراضي الصالحة للزراعة بيد الامراء والمشايخ واوقاف للمعابد والكنائس واكثرها معفى من دفع الاموال الاميرية اصبح الفقراء يتحملون اثقالها لذلك يوجد الوف من اهالي الجبل يتسولون في المدن ومنهم من يشتغل بلاجرة والوف خادمون في بيوت وحوانيت اهالي المدن في سوريا ومصر فلا ترى مدينة الا مزدحمة بهؤلاء اللبنانيين من حدود

---

٩٨ — ويقول مورى عن الفلاح اللبناني :

"Every spot on which a handful of soil can rest, every crany to which a wine can cling, every edge on which a mulberry can stand is occupied."
I.H. Murrey, A Handbook for Travellers, (London, 1855), v.I, p.413.

٩٩ — H. Guys, op. cit., v.2, p.143.

١٠٠ — Ibid.

حلب الى مصر. (١٠١)

(٤) صادرات لبنان :

الحرير ويخرج منه سنويا من الف الى الف وخمسمئة قنطار وسعر القنطار عشرون الف غرشا . والزيت اكثر من الفي قنطار والخمور بما فيها محصولات بيروت نحو ١٠٠٠ قنطار. وفيه من القمح ما يكفي اهله نحو ثلاثة اشهر وما تبقى يدخل اليه من البقاع. (١٠٢)

(٥) الاعمال والمهن :

بسيطة وغليظة كما وصفها هنرى غيز واهمها الحياكة وتربية دود القز واكثر العمال يتقاضون اجرا لا يسد رمقهم فاكبر مبلغ يتقاضاه العامل نحو فرنكين ونصف. ولعل اتعس طبقة هي طبقة العمال الذين يصرفون ثلاثة ارباع حياتهم بلا عمل بانتظار موسم القز الذى تستخدم فيه اذرعهم وظهورهم ويذكر تشرشل ان العامل يستطيع ان يعيش على مصروف شلن في اليوم. (١٠٣)

---

١٠١ — م. مشاقة ، الجواب على اقتراح الاحباب ، ص ١٤٣ ، ١٥٣ .

ويموجب احصاء فولني كان الجبل يدفع في مستهل القرن الثامن عشر ١٦٠ كيسا ثم خفضت عام ١٧٦٠ الى ٨٠ كيسا ثم اصبحت سنة ١٨١٠ ، ٥٣٠ كيسا وفي العهد المصرى تجاوز الخمسة الاف كيس.

م. مشاقة ، المصدر نفسه ، ص ١٤٣ .

E. Napier, op. cit. v.I, p.214.

لمدخول الامير بشير الكبير راجع باز ، مذكرات ، المصدر نفسه ، ص ١١٣ .

١٠٢ — H. Guys, op. cit. v.I, ch.VI, p.

١٠٣ — C. Churchill, Mount Lebanon, v.I, p.43

وفي بوركهارت بحث خاص يتناول ميزانية احد الفلاحين.(١٠٤)

١٠٤ ـ مصروف عائلة من اربعة اشخاص:

غرشا		المدخول	غرشا
٣٥٠	ثمن قمح	٢٠٠ شجرة توت تعطى	٥٠٠
٨٠	" زيت	٢٠٠ كرمة "	٦٠٠
٨٠	" سمن	شغل شخصين "	٨٠٠
٣٠	" خمر		——
٤٠	" مربيات		١٩٠٠
٤٠	" لبنة		
٤٠	" عدس وسواه		
٦٦٠	" ثياب		
——			
١٥٧٠	غرشا		

D. Urquhart, op.cit. vI, p.390.

الفصل الثاني
عوامل تغيير الاوضاع في لبنان

اولا ـ الفتح المصري

المسألة اللبنانية في جوهرها ، جزء من المسألة الشرقية تفاقم امرها او برزت مظاهرها ، كلما حاول الغرب الضغط او التدخل في اوضاع الشرق الراهنة بواسطة لبنان او ما جاوره من البلدان الاخرى .

ولا ريب ان اول تدخل او اقتحام سافر في العصر الحديث على البلاد الاسلامية العربية هي الحملة الافرنسية على مصر ، وعلى رأسها نابليون ، "ذلك الرجل الذى ، كانما خلق ليصنع التاريخ اينما حل ". (١)

تلك الحملة التي هيأت الظروف لشخصية فذة اخرى ، ظهرت في غمرة الحوادث في مصر ، ثم لعبت دورا هاما جدا بتاريخ لبنان الحديث ، (٢) بل كونت الفصل الاول من رواية حوادثنا ، ففتحت باب المسألة اللبنانية على مصراعيها ، مما حمل بعض المؤرخين على القول ان حوادث لبنان وكوارثه فيما بعد كانت نكسة او ردة فعل لما تمتع به المسيحيون في عهده من حرية ، وطمأنينة ، وعدل ورخاء .

---

١) محمد ضياء الدين الريس ، الشرق العربي والخلافة العثمانية . ص ٦٧

٢) ابتدأ التفاهم السياسي العسكرى بين مصر ولبنان منذ ١٨٢٣ ، وعوامل هذا التفاهم التجاء الامير الى مصر ١٨٢٢ ، تأثير نديم الامير المعلم نقولا الترك الذى كان شديد الاعجاب بالعزيز وخبير وعليم بقوته ودهائه ، ويقول اسد رستم "ولعل الفضل في هذا يعود الى فرنسا صديقة الاثنين معا والى الفاتيكان الذى رأى من الاثنين في معاملة النصارى في الشرق ما لم يره من غيرها من قبل " رستم بشير بين السلطان والعزيز ، ج ١ ، ص ١٥ ، ١٧ .

وان الفتنة الاولى وقعت بعد خروج المصريين بقليل وان ابراهيم باشا نفسه شعر وهو على اهبة مغادرة البلاد نهائيا ١٨٤٠ بما يضمر المسلمون للمسيحيين فهددهم بالرجوع لصيانتهم (٣) ، وان في حوادث ١٨٦٠ فكر وزير خارجية فرنسا آنذاك بطلب جيوش مصرية لاخماد الثورة (٤) .

ومهما كانت الاسباب التي حملت محمد علي باشا على اقتحام سوريا (٥) فهذا الغزو في عرفنا مظهر غير مباشر للاقتحام الغربي في الشرق فالفاتح المصرى ، بعرف معظم المؤرخين ، رائد للحضارة الاوروبية في مطلع القرن التاسع عشر ، فهو اول من افاق سوريا من سباتها بعد نابليون بل تركيا ، وانه بحق يدعى نابليون الشرق ، وانه بحملته هذه يتم حملة بونابرت ، وقد ابتدأت هذه بعكا ، حيث انتهت تلك ، ونهج نهج نابليون في بعض حروبه ومناشيره (٦) وكان للمنشور الذى اذاعه في القدس في مصلحة الذميين عامة صدى بعيد في الاوساط الاوروبية نفسها جعلها تستبشر بعهد رخاء وهناء للشرق (٧)

---

٣) Souvenirs de Syrie, Expedition francaise de 1800, "Un temoin Oculaire.", (Paris, 1903) , P. 100.

٤) France: Ministre des affaires étrangères, Documents diplomatiques, (Paris, 1861) P.193.

٥) Asad Rustum, The Royal Archives of Egypt and the Origin of the Egyptian Expedition to Syria (Beirut , 1946) p.49 .
Henry Dodwell, The Founder of Modern Egypt, A Study of Muhammed Ali, (Cambridge, 1931) p. 167.
F. Perrier, Op. cit. p. 339.

يراجع ايضا لاسباب الحملة اسد رستم ، المحفوظات الملكية المصرية . قال شاسو " ان ابراهيم باشا كان من اكبر محتكرى تجارة الخشب ، احراج بكاملها كانت تئن وتعن تحت ضربات فؤوسه من جبال طوروس الى جبال لبنان "

G. Chasseaux, op. cit., P. 304

Frederick S. Rodkey, The Turco-Egyptian Question in Relation of England, France and Russia 1832-1842 (Urbana. 1924) p.36.

٧) اسد رستم ، المحفوظات الملكية المصرية . بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد على الكبير . ٤ اجزاء وجزء فهرس (بيروت ١٩٤٠) ص ٢٥٢
بشير بين السلطان والعزيز ص ٩٨

ولا شك ان الاثر الفعال والمظهر الاقوى في قلب الاوضاع في سوريا ولبنان من جراء الحملة المصرية هو الاصلاحات والتنظيمات والقوانين التي فرضها الفاتح المصري فكان لها الصدى البعيد ، والاثر الكبير في نفوس الطوائف والطبقات المختلفة ، مما اثر بتحديد مواقفها واتجاهاتها من الفاتح ، ومن بعضها البعض الاخر .

موقف الطائفتين الكبيرتين منه وانقسامها تجاه الحملة

وهنا ، ولعلها لاول مرة في تاريخ لبنان نسمع بقتال او عراك طائفي منذ عهد المعنيين على الاقل ، بعد ان تعرض سابقا لعشرات الاشتباكات الحزبية ولم يشر الى الصراع الطائفي لا تلميحا ولا تصريحا بلفظتي درزي وماروني ، يقول الشدياق " وبعد ان شاهدت سوريا طلائع الجيش المصري التي حاصرت عكا في غضون ذلك حدث قتال بين الدروز والنصارى في دير القمر ، وزحلة والمتن ، وظهرت الاغراض وعزمت الدروز على الاجتماع في حمانا ضد الامير ليشغلوا ابراهيم باشا عن قتال عسكر السلطان في حمص." (٨)

موقف الدروز

وكتب الشدياق ايضا "ثم لما وصلت كتابة السير عسكر الى الامير ولم يعبأ بها ، هاجت الدروز وجعلوا يراسلون بعضهم سرا زاعمين انه لا بد من ان الدولة العثمانية تقوى على الدولة المصرية وفي اثناء ذلك امر ابراهيم باشا الامير خليل ان يتوجه بالف مقاتل الى طرابلس" (٩)

---

٨) رستم ، المحفوظات الملكية المصرية ج٢ ص ٢٨٤
الشدياق ، المصدر نفسه ، ص ٥٧١ .

٩) المكان نفسه ، ص ٥٩٦

ويلوح لنا ان الامير استشف نوايا بعض رعاياه ازاء الحملة المصرية فخلافا لعادته ، جمع لاول مرة في حياته السياسية ، الشيوخ والاعيان لاستشارتهم في الموقف تجاه محمد علي باشا ،" فاجمعت الامراء على ان الامر للامير وهم اتبع له من ظله" ٩٠

والواقع ان اكثر الناقمين على بطش الامير وسياسته واكثرهم من الدروز ابناء الشيخ الكبير بشير جنبلاط الذى فتك به عبد الله باشا بامر من حاكم مصر وبايعاز من الامير ، قد انضموا الى جيوش السلطان وكذلك بعض مشايخ عماد ونكد قال تشرشل (١٠) ان المشايخ النكدية قبل وصول جنود مصر قاموا من البلاد والتحقوا بعساكر الدولة العثمانية • ويستأنف تشرشل حديثه انه لما طلب محمد علي من الامير حراسة طرابلس ومراقبة قواتها مخافة ان تنضم الى جيوش حلب لم يبد المشايخ الحماس والحمية التي اشتهروا بها بل ان بعضهم استغربوا مهاجمة الامير لوالي الدولة الشرعي حتى ان كبار النكديين حمد، اتصل بالجيش العثماني سرا وهو من قادة وزعماء الجيش اللبناني فاعتبر البطريرك بولس مسعد عمل المشايخ النكدية خيانة للامير خليل الشهابي (١١) ويرى هنري غيز بانضمام هوءلاء الدروز الى تركيا انتقاما ونكاية بالامير ، ولو ناصر الامير تركيا لايد الدروز الجبهة الثانية• (١٢) ويروى ابو شقرا ان عددا كبيرا من سراة الدروز انضموا الى الدولة العثمانية فعرفوا "بضيوف الدولة" وبعد انتصار ابراهيم باشا في معركة النزب التجأوا الى مصر ملتمسين العفو فعينهم بالجيش• ويرى ابو شقرا بعمل

---

١٠) C. Churchill, Mount Lebanon ..., III, P. 396.

١١) البطريرك بولس مسعد ، تاريخ سوريا ولبنان في عهد الدولة المصرية (مأخوذا بالفوتوفراف ، مخطوطة في الجامعة الاميركية)

١٢) H. Guys Op. Cit. v. 2 P. 129.

الدروز وفاءاً واخلاصا لبني عثمان فقال " ان الامير بشير قد سلم ابراهيم باشا ازمة الامارة عن رضى واختيار ، فخضع اللبنانيون له خضوعا تاما ، ما عدا الدروز منهم فانهم لشدة اخلاصهم للدولة العثمانية وحبهم بحكومتها قد ابو الاعتراف بمحمد علي ملكا عليهم فقاوموه اشد المقاومة واصلوه من القتال نارا حامية (١٣) وكتب بولس مسعد "ولما انضم الامير بشير الى محمد علي باشا ، بعث والي حلب يثير اللبنانيين عليه ويطلب خلع الامير فانقسم اللبنانيون احزابا فمنهم من والى الامير واكثريتهم مسيحيون ، واقلهم دروز ، ومنهم من قاوم الفكرة واكثريتهم دروز ، وعمل هؤلاء مع بعض الشهابيين الطامعين بالحكم وبخلع الامير فانتقم منهم ، فاستظل بعضهم بحماية دمشق . الى تلك الحوادث يرجع الخلاف بين الدروز والنصارى وكان مقدمة للفتن التي اشتعلت نيرانها عام ١٨٤١ وانتهت بحركة ١٨٦٠ " (١٤) .

والخلاصة ان موقف الدروز في بعض النواحي لم يكن مختلفا عن موقف سائر الطوائف الاسلامية تجاه الحملة المصرية وما حملت طيها من بدع وتدخل اجنبي يمس الناحية الدينية .

ويستنتج اسد رستم من الرسائل السرية وتقارير حنا بحرى بك ومحمد شريف بك وكلام الامير بشير واحاديث مشايخ الطائفة الدرزية ان العامل الديني كان من الاسباب الرئيسية لتعنت الدروز في امر الخدمة العسكرية (١٥) ذلك

---

١٣) والواقع ان الدروز اشتركوا في الحملة المصرية وظهروا امام عكا وطرابلس وكان جيش الامير اول من دخل دمشق بعد تسليمها وقدر بعشرة آلاف مقاتل جلهم او بينهم عدد وافر من الدروز . مذكرات تاريخية ، احد كتاب الحكومة الدمشقيين ،(حريصا ؟؟) .
يرجح عيسى اسكندر معلوف ان الكاتب هو عبد الله نوفل ، راجع النسخة الرابعة ، من الكتاب ، الموجودة في الجامعة الاميركية في بيروت .

١٤) بولس مسعد ، لبنان والدستور العثماني (مصر ١٩٠٩) ص ٨٥ .

١٥) من اقوال الشيخين حسين واحمد تلحوق ، .

ان عقلاءهم وشيوخهم رأوا في التجنيد الاجباري واختلاط جهالهم مع غيرهم من الشبان من سائر الفرق والاديان ، رأوا بذلك خطرا على شبيبتهم قد يؤدي مع مرور الزمن الى ضعف بالعقيدة (١٦)

موقف المسيحيين من الحملة

واما موقف النصارى في جبل لبنان فكان منسجما مع موقف المسيحيين عامة في سوريا وفي غيرها ، ويوم كانت مدن سوريا تنظر الى ابراهيم باشا وجيوشه — كما يتجلى لنا من رسائله الى والده — نظرة الحقد والحذر والشك في نواياه ومعتقداته التحريرية ، وتتحين الفرص للانتقاض عليه ، لكونه متمردا على السلطنة العثمانية يحمل في طيات حملاته بذور حضارة غربية "كافرة" (١٧) كانت القرى المسيحية ترحب بالفاتح العظيم ، (١٨) وتهتف له كلما عقد له النصر وتتمنى على

---

١٦) المحفوظات المصرية ج ٣ ص١٦ رقم ٤٠٩٢

١٧) استصدر عبد الله باشا فتوى من علماء الشام تخرج محمد علي باشا عن الاسلام وتوجب محاربته . رستم ، اسد . المحفوظات الملكية المصرية المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٦ رقم ١٢١٢ وكذلك استصدرت الاستانة فتوى من شيخ الاسلام موقعة بامضاءات اربعين عالما ، وقابل العزيز ذلك باستصدار فتوى من شريف مكة بخروج السلطان عن قواعد الدين الحنيف . رستم ، اسد . بشير بين السلطان والعزيز المصدر نفسه ص ٧٢

١٨) جون كارن ، رحلة في لبنان في الثلث الاول من القرن التاسع عشر، (بيروت ١٩٤٨) ويتجلى لنا موقف الامير الكبير والنصارى من الحملة ما ذكر في رسالة حنا البحري السرية الى ابرهيم باشا بعد مقابلة الامير بخصوص تمنع الدروز عن "النظام" لامر ديني اخبره الامير "ان الدروز لا يتمكنون من المقاومة اذا هاجمت جيوش الباشا الجبل لان النصارى ليس معهم" وان الامير كتب الى النصارى ان لا علاقة لهم بذلك فاجاب البحري "وهل انتم على يقين ان لا نصارى معهم" فقال الامير " ولو على فرض اندمج معهم بعض النصارى الذين لا يعرفون قدر انفسهم فباستطاعتي اقصاءهم ... ويذكر البحري انه بعد مكوثه واتصاله بضعة ايام بمن يعتمد عليهم من النصارى فهم ان جميع النصارى عاملون بموجب تنبيه الامير." اسد رستم ، مجلة المشرق سنة ١٩٣٧ ص. ٤٨١ .

الله امتداد حكمه واستمراره ، (١٩) فان اقتباسه بعض عناصر الحضارة الاوروبية وتسليم ادارة بعض الامور المالية والعسكرية الى قادة وزعماء مسيحيين ، واعلانه الحرية والمساواة بين الملل والاجناس جعلت المسيحيين ان يتقبلوه كمحرر لهم ، (٢٠) قال هنرى فيز ، وهو معاصر ولم يكن على صلات ودية مع المصريين ، واستقبله الموارنة وجيوشه كانهم انصار لهم منقذون ، لانهم كانوا يعلمون ما لصاحب مصر من الميل والحب الى فرنسا ، بل اكتسب الامير محبة رجال الدين وبركتهم وتأييدهم له . (٢٠) وقد عللوا النفس ، وهو صديق فرنسا بتعزيز الكثلكة في الشرق ولا سيما المارونية (٢٢) وما عهد فخر الدين واتصالاته السرية مع قداسة البابا ، ببعيد عن اذهانهم . وهو الذى لم يترك سانحة او فرصة الا وانتهزها لاظهار عطفه الشديد على الاجانب امام شعبه ، فالغى المواكب التقليدية التي كانت تثيرها القاهرة رمزا للحروب الصليبية فيذهب ضحيتها عدد من الاجانب (٢٣) وقد استقدم ثلاثين عائلة مارونية الى مصر منذ ١٨١٦ لتربية دود القز .

---

١٩) ومن حديث البحرى مع الدكتور مشاقة يعتبر مقاومة موارنة الشمال للمصريين جحودا وعقوقا لمعروف الدولة المصرية مع النصارى . مشاقة "الجواب على اقتراع الاحباب" ص ١٤٣ .

٢٠) M. Jouplain Op. Cit. p. 184, 21

٢١) R. Ristelheuber, Op. Cit. P. 30

٢٢) ويذكر رستم ان العزيز استشار صديقه قنصل فرنسا في الاسكندرية قبل حملة سوريا وانه كان يأمل مناصرة المسيحيين له في بر الشام وتأييد اوروبا لسياسته التحريرية في سوريا بشأن الذميين وفي حديثه مع القنصل يقول " سينال نصارى الشام من الاستقلال والسعادة ما لم يروه من قبل وسيقرعون اجراسهم متى شاءوا . اكدوا لحكومتكم ولمواطنيكم تحررى في هذه الامور ".

رستم ، بشير بين السلطان والعزيز . ص ٥٨ .

٢٣) شكرى ، محمد فؤاد واخرون ، بناء دولة ، مصر محمد علي ، (مصر ١٩٤٨) ص ٢٣ .

اصلاحات ابراهيم باشا ،ثورة في الوضع الاجتماعي تلهب روح التعصب والحسد

ولا نستطيع ان نسبر غور هذا التغيير والانقلاب الا عندما نطلع على مقدار ما حاق بالمسيحيين من ظلم واستبداد في اوائل القرن التاسع ولا سيما بعد اشتداد ازمة المسألة الشرقية ، ويروى احدهم (٢٤) وهو شاهد عيان ما كان يتعرض له المسيحيون من التحقير والاهانة والسخرة فهو ملزم ان يلبس لباسا خاصا وان يبني بيته بشكل لا يعلو بيوت المسلمين ، وان صادف مسلما عليه ان يشمل " او يطورق " ، يقتل لاتفه سبب كتجربة بندقية او سيف ودية القتيل المسيحي كما ذكرها احد كبار المرسلين ٢٣ قرشا ، تسعة قروش اقل من دية الكلب (٢٥) ، لا تقبل شهادته ، ممتلكاته ، عرضه ، حياته جميعها معرضة للخطر والاغتصاب ويذكر تشرشل والمرسل الاميركي جسب بانه لم يسمح بحفر او صنع ختم باللغة العربية بل باحرف اخرى لانها اشرف من ان يكتب بها ذمي (٢٦) .

وكتب موءنس "وفي ذلك الحين كانت الشام تشقى وتئن تحت حافل من الويلات ، كانت احفل بلاد الاسلام للمصيبة ، واعضلها فقد كانت تحمل على عاتقها فوق مصاعب العصر الحديث ، ويلات قرون ماضية ، ذلك ان الحروب الصليبية وضعت اهل الذمة في الشام في وضع لا يخلو من حرج فظل الذميون يعاملون معاملة المغلوب على امره ." (٢٧)

وقد حاول السلاطين رفع هذه المظالم تحت تأثير الدول الاوروبية فلم

---

٢٤) مشاقة مشهد العيان ص١٠

٢٥) Missionary Herald Feb. 1843 p. 74

٢٦) Henry H. Jessup, Fifty - Three Years in Syria , (N.Y. 1910), I.P. 160.

٢٧) موءنس ، المصدر نفسه ص ٢٦٤ .

يفلحوا ، اما عجزا او تقاصرا تجاه ضغط العامة ، ومسايرة التقاليد ، فاصدروا البيانات واعلنوا التنظيمات فضج المسلمون منها واتهموا اصحابها بالمروق والخنوع ، فكيف بهم الان امام رجل حديدي لا يعد بل يطبق الاصلاحات بعنف ، فيجرى العدل والمساواة بين الرعية ان ظلما وان غدرا ، بل يلتجيء الى القوة فيفرضها فرضا . (٢٨) وذكر جسب ان بعض القضاة والحكام حاولوا ان يتجاهلوا اوامر السلطة المصرية ولا سيما حينما كان الباشا بعيدا عن سوريا فلما رجع امر باعدام هؤلاء القضاة فورا (٢٩) .

المساواة بالضرائب والوظائف والجزاء

ومع ان الضرائب كانت مرهقة جدا احيانا فقد كانت عادلة من حيث فرضها وجبايتها ومنها ضريبة الفردة . وقد اثارت هذه الضريبة نقمة المسلمين ولم يغفروا لنائب الملك هذه الخطيئة بوضعهم على صعيد الذميين (٣٠) .

وتساوى الناس امام الموت والحياة فكان قتل الذمي لا يستوجب قتل المؤمن بل لا يثير اى اهتمام ، وقد تجرأ مسلم وقتل مسيحيا فامر سليمان باشا بقتله حالا وهاجت المدينة ولكن بدون جدوى (٣١) .

---

٢٨) قال رستم : "اما العدل فحدث عنه ولا حرج فمنذ عهد عمر بن الخطاب لم تنل الشام ما نالته في عهد العزيز" .
رستم ، البشير بين السلطان والعزيز ص ٩٨

٢٩) H. Jessup, op. cit., v.1p.160

٣٠) H Guys, op. cit., v2 p. 225

٣١) F. Perrier, op cit. p. 66.
"وكانت عادة بالشام ، وبكل مدينة في سوريا اذا دخلها نصراني من الجبل ان يقبضوا عليه ويأخذوه للحكومة ولا يطلقوه الا بعد دفع الجزية وهي ٣٣ قرشا ... هذه العادة ابطلها ابراهيم باشا واصبحت الفردة بقدر مالية الفرد من ٣٠ - ٥٠٠ قرشا" . باز المصدر نفسه ص ٣٦
وعادة اذا مسلم قتل مسيحيا لا يقتل بل يغرم
W.Eton, A Survey of Turkish Empire, (London, 1798) p. 105.

وكان ارتداد المسيحي عن الاسلام اذا ما اعتنقه ، عقابه الموت ، فاهمل الباشا هذا القانون . وغض الطرف عن ثلاثة من الموارنة ارتدوا بعد ان تقبلوا الاسلام . فاستمال الباشا قلوب الرعايا اذ كتب فصلا جديدا في حرية المعتقد في بر الشام .(٣٢) ويسمع بحادثة الشدياق اسعد ، واعتقاله بدير البطريركية المارونية واختفائه فيه ، فلم يتورع ان يأمر ثلة من جنده باقتحام صرح البطريركية بحثا عن المعتقل لاطلاق سراحه .(٣٣)

الوظائف واللباس وركوب الخيل

وكانت معظم الوظائف الكبرى محظورة على الذميين واذا بحنا البحرى ، يصبح بمثابة مدير مال للدولة ، ثم يرتقي بعد فتح عكا لمرتبة امير لواء (٣٤) وقد حاول بعض اعيان المسلمين ان ينتقصوا من كرامته بعدم وقوفهم له فارغمهم الباشا على ذلك بطريقة كيسة مشهورة (٣٥). ولاول مرة يجلس بعض وجوه الشام المسيحيين مع اخوانهم المسلمين في مجلس واحد . اما في بيروت فتساوى عدد الطائفتين في المجلس ستة من كل طائفة .(٣٦)

---

٣٢) رستم ، بشير بين السلطان والعزيز ص ١٠٠

٣٣) Issac Bird, Bible Work in Bible Lands's or,Events in the History of Syria Mission.(Philadelphia, 1872) P. 280.

٣٤) مشاقة ، الجواب على اقتراح الاحباب ص١٣

٣٥) طلب الباشا من المجلس الشورى في دمشق ان ينعقد لرغبته في زيارته واوعز بحضور المفتي والقاضي والنقيب ، وقدم الباشا ووراءه حنا البحرى ثم وقف الباشا في الباب والتفت الى البحرى قائلا ، بحرى بك ، بحرى بك تفضلوا يا افندينا بصيغة الجمع للاحترام وجعله ان يدخل قبله ، ثم طلب اليه ان يجلس بالعبارات نفسها ، والجمع وقوفا ثم التفت الى المفتي والقاضي والنقيب وطلب كل منهم ان يتفضل بالجلوس ـ بصيغة المفرد ـ وقد شعر الجميع بما يقصد الباشا فاصبحوا يظهرون للبحرى كل احترام واكرام .
اسد رستم ، بشير بين السلطان والعزيز ، ص١٠٠

٣٦) المكان نفسه .

ولقد عينت الحكومة البريطانية قنصلا لها في الشام عام ١٨٢٨ فلم يجرؤ ان يدخلها راكبا (٣٧) اذ كان ذلك محظورا على المسيحيين فبقي في بيروت الى ان دخلها بدخول ابراهيم باشا (٣٨) وقد شكا نفر من علماء دمشق كيف اباح الباشا للذميين بان يمتطوا الخيول فيعلوا على المسلمين فاجابهم بسخرية لاذعة (٣٩) لا بأس امتطوا انتم الجمال فتصبحوا اعلى منهم. (٤٠)

وكان المسيحيون محرومين من لباس الالوان الزاهية البيضاء والحمراء ولا سيما الخضراء حتى ان الاجانب فرض عليهم الالبسة الوطنية القاتمة ، وكانت نساء القناصل تخشى ان تظهر في شوارع بيروت بلباس افرنجي مخافة الاهانة

---

٣٧) لما راجعه القنصل بالامر اجابه ابراهيم باشا انتظر ستدخلها في لباس افرنجي ، او عربي او بدون البسة ان شئت ، وكان ابراهيم باشا منهمكا بحصار عكا .

I. Bird . op. cit. p. 297

٣٨) وفي ١٧٨٧ حضر قنصلان الواحد من قبل المسكوب والآخير من قبل النمسا الى صيدا ومرادهم ان يسكنوا الشام فرفض اهل دمشق قائلين هذه باب الكعبة لا يقطن فيها قناصل .

الامير حيدر احمد شهاب ، تاريخ احمد باشا الجزار (بيروت ، ١٩٥٥) ص ٤٠٨

٣٩) H. Dodwell, op. cit. p. 251.

٤٠) ويذكر لنا شاهد عيان في كتابه مذكرات تاريخية بعد ان يصف لنا عرض الباشا لجنده بسهول دمشق ، ان ظهور الاوروبيين في دمشق ممتطين الخيول المطهمة والالبسة الزاهية كانت تثير حقد المسلمين عليهم وكان المسلمون "يزدادوا في بغض النصارى ويتوعدوا لهم "مذكرات تاريخية ، المصدر نفسه ص. ٥٩ .

التعدى (٤١) اذ يعتبر عملها تحديا للشرع، اما في عهد الباشا فقد تجاوز بعض المسيحيين حدود آلاداب واللياقة فالبسوا نساءهم شروايل خضراء للتحدى والاستفزاز . وامر ابراهيم باشا بترك العمائم فطرحوها وتبعهم سائر الاعيان . ولم يكتف الباشا باقحام بعض محاسن الحضارة الاوروبية في الشرق بل غض الطرف من ادخال مساوئها فقال هنرى غيز "ومما اثار تقزز المسلمين ونفورهم فتح الخمارات في المدن والجبال ، واقامة معسكرات الغواني والعوالم في بعض المخيمات . بل لم يحترم جنوده حرمة الجوامع نفسها فكانت تطوف للقبض على الرجال حتى اصبحت اعياد المسلمين اشبه بمناحة (٤٢)

ثم فجع الباشا المتعصبين وخيب امالهم بان حضر حفلة من حفلات المسيحيين وشهد طقوسهم فرحا جذلا (٤٣) مما حمل يوما احد الاتراك ان يصعد منارة الجامع في نابلس ويصرخ باعلى صوته "هل زال الدين المحمدى السنا اتراكا ، فليحمل كل منا سيفه للدفاع عن الدين القويم ضد رجل استباح جميع المنكرات فتناول المشروبات ، واكل لحم الخنازير واختلف الى اديرة الذميين للصلاة " (٤٤) وكانت هذه الاعمال كما قال الاستاذ بيهم بعرف الفئة الجاهلة المحافظة بمثابة تحدى للشرع واقتداء بمدنية الكفار ." وانقلاب خطير في مسالك الحياة الاسلامية اليومية واستفزازات جارحة للجهلة وسموم للحقد والضغينة ، يعبون منها ما شاءوا وما انسحبت الحملة المصرية او كادت حتى انفجرت الاحقاد وظهرت الانتقامات مريرة دامية .

---

٤١) اما اليوم فتقول اللادى ستنهوب فترى الاوروبيين يسيرون زرافات ووحدانا بين لعنات المتعصبين الذين يضمرون لهم كل حقد وشر

H. Stanhope, Memoires of the Lady Hester, Stanhope, (London 1845) I 217 .

٤٢) H Guys, op. cit. v2 p. 228.

٤٣) موئس، المصدر نفسه ، ص ٢٧٥

٤٤) H. Dodwell, op. cit. p. 150.

ثانيـــــا
تكاثر الارساليات الاجنبية وتناحرها

ولعل من اهم العوامل المؤثرة في تغيير الاوضاع في البلاد تدفق الارساليات الاجنبية وتوسعها اثناء الفتح المصرى على الاخص وبعده ، وكان من جراء سياسة المصريين في لبنان تجاه الاجانب (٤٥) ان تدفقت جموع الارساليات فأموا البلاد زرافات ووحدانا يتنافسون في تشييد المعابد والمعاهد ونشر المبادئ والمشارب المتنوعة وخلق البلبلة في صفوف العائلة الواحدة ولعل في عائلة الشدياق اكبر دليل على ذلك . اعتنق اسعد الشدياق الانجيلية فاضطهد وقضى ضحية مبادئه واعتنق اخوه فارس الدين الاسلامي نكاية وانتقاما من ظلم الايكليروس . وبقي المؤرخ طانيوس مخلصا وفيا لمعتقداجداده (٤٦).

---

٤٥) قال اسعد خياط ، وبعد ان جلت في البلاد طويلا اقتنعت ان الاهالي يتنافسون على بناء المدارس والحصول على نسخ التوراة والانجيل . خريج بريطانيا ، اصبح قنصلا لها فيما بعد ، رافق الكولونيل نابيير

As'ad Khayyat, <u>A Voice from Lebanon,</u> (Lonodn, 1847) P. 157.

٤٦) بولس مسعد ، فارس الشدياق ، (مصر ، ١٩٣٤) ص١٤
ويعلق هنري فيز ساخرا حانقا ولو كان اصحاب التوراة ينشرون دعوتهم بين المسلمين لهان الامر وشكرناهم الا انهم لا يهتمون الا بالمسيحيين حتى اذا ما وفقوا الى انتزاع احدهم خلقوا البلبلة في صفوف العائلة ... انهم يشركون نساءهم في التبشير والوعظ فيوحي جمالهن محبة الارض اكثر من محبة السماء .

H. Guys op. cit. vl P. 45

الارساليات الانجيلية

ولئن كانت اصلاحات ابراهيم باشا تحديا وانقلابا في حياة الشرق الاسلامي فقد كان دخول الانجيلية (٤٧) تحديا اخر وانقلابا في حيـاة الطوائف المسيحية ولا سيما في الناحية الفكرية ، ولا شك ان حماسة زعماء الدين بين الطوائف المسيحية لمحاربة ومناهضة البروتستنتية لم يكن ناجما عن صيانة طوائفهم فحسب بل دفاعا عن نفوذهم وسلطانهم لانه بانتشار الانجيلية ينتشر الوعي العلمي والشعور بالفردية والتحرر الفردى ، والتقليل من اهمية ونفوذ الكهنة ، لان من مبادئ الانجيلية الجوهرية حرية الفرد وكرامة الفرد ، وكهنوت جميع المؤمنين ، اى ان كل مؤمن هو كاهن لله (٤٨) .

---

٤٧) يذكر المرسل جورج شيرر ان المرسلين الاولين Fisk و Kirz اتصلا بالامير بشير وهو في مصر ١٨٢٢ ، فتعرفا عليه فدعاهما لزيارة لبنان والسكن في دير القمر ، فلبيا الدعوة واستصدرا اذنا بالعمل في البلاد ولكن عمل الارسالية الرسمي ابتدأ في بيروت ١٦ ت ٢ سنة ١٨٢٣ ثم ضعف ولكن في عهد الحكم المصرى ازدهر العمل وانتشر ، وهو في تاريخ الارسالية ، عهد التوسع والازدهار . فمنذ ١٨٢٣ - ١٨٦٣ ام البلاد نحو سبعين مرسلا مع عائلاتهم . يراجع ملحق جورج شيرر رقم ٩ . وفي عام ١٨٢٤ عززت روما ارسالياتها بعشرين مرسلا لمقاومة التوسع الانجيلي وارسلت نحو ١٣ الف دولار لهذه الغاية .

G. Scherer, op. cit., p. 150

ولكن السلطة العثمانية لم تعترف بالطائفة الانجيلية الا عام ١٨٥٠ ، وقد صدر الفرمان السلطاني موجها لجماعة البروتستانت راجع

I. De Jehay op. cit., p. 220 .

٤٨) وهذه الدعوة تنافي الفكرة السائدة في لبنان آنذاك وهو ان للكاهن السلطة المطلقة وانه افضل من الملائكة .

F. Perrier op. cit., p. 298
H. Guys op. cit., II, p. 93.

وهذا ما كانت ترمي اليه اهداف المبشرين الاولين وكما ذكر الدكتور بلس ومستر جسب لم تكن غايتهم تنصير المسلمين لان شريعتهم آنذاك تحتم اعدام المرتد ولا اضافة كنيسة جديدة للكنائس المسيحية في الشرق بل تنوير وتثقيف المسيحيين انفسهم روحيا وتطهيرها بما علق بها من ادران الخرافات واستبداد رجال الدين (٤٩).

تخوف الموارنة من انتشار المذهب الانجيلي

ولم يكن من الصدف ان تنشب هذه الفتن بعد تدفق الارساليات المختلفة الى هذه البلاد فان الموارنة آثروا الاعتصام بالجبال القاحلة على سهول سوريا الخصبة الممرعة محافظة على معتقداتهم من تدخلات اجنبية .

ومما اقضى مضاجع الموارنة ان الانجيليين شرعوا يمدون نفوذهم وينشرون تعاليمهم في حصن المارونية ومعقلها كسروان واهدن . كتب المرسل الاميركي مستر طمسون "زارنا عدد من مشايخ الخازن واظهروا استياءهم من معاملة البطريرك لهم وان في فوسطا ٧٥ رجلا يجتمعون سرا لقراءة الكتب المقدسة" وكتب مستر سمث زارني ثلاثة شبان من كسروان ليتحدثوا بالامور الدينية ، احدهم خريج عين ورقة ، جميعهم متحمسون للانجيلية ويفكرون بضم ٥٠٠ شخص لفكرتهم (٥٠)

---

٤٩) H. Jessup . op. cit., p. 82 .

Daniel Bliss, The Reminiscences of Daniel Bliss, (N.Y. 1920) P. 101.

ويروى بلس انه سمع كاهنا بيده انجيل يتلو منه " وفي القرن التاسع عشر سيخرج اليكم من البحر انبياء ومرسلون كذبة فاحترسوا " فتحداه بلس ان يريه ما يقرأ ففر هاربا .

IBID.,

٥٠) Missionary Herald, June, 1848 , p.212.

ومن اسباب حقد الموارنة على الدروز وتدخلهم في اقطاعهم ان المدارس الانجيلية اخذت تنمو وتترعرع في اقطاعاتهم (٥١) وان الدروز يتلهفون على المدارس الانجيلية ويلحون بشدة على فتحها ، ويوزع المرسلون الكتب او المنشورات الدينية فيتلقفها الدروز برغبة ، اما المسيحيون فيحرقونها .(٥٢)

لهذه الاسباب يتدخل الموارنة في شؤون الدروز الخاصة فيأمر الامير بشير بايعاز من البطريرك ، باقفال المدارس الانجيلية . (٥٣) ويرتاع الدروز لهذه التدخلات كأنهم في ظل حماية البطريرك . قيل ان البطريرك ارسل الى ناصيف بك نكد رسالة لطرد الانجيليين من دير القمر ورفع حمايته عنهم ، فيتلقى ناصيف بك الرسالة بامتعاض شديد .(٥٤)

وعلى اثر الفتنة الاولى كتب احد المرسلين في عدد شباط ١٨٤٣ في مجلة الارسالية " يشاع ان حكومة بابوية ستقام في لبنان ، لن ترض بريطانيا بذلك ، الدروز يقاومون الفكرة بقوة ، ان صحت الاشاعة ضاعت آمالنا واذا رجعت تركيا عمت الفوضى ، اما اذا بقي للدروز من سلطة نحظى بفتح مدارسنا بكثرة .(٥٥) ويلاحظ ان انتشار العمل الانجيلي في البلاد كان يزدهر ويقوى بضعف سلطة الاكليروس الماروني ، او نفوذ الموارنة انفسهم . لهذا يلاحظ ان النشاط الانجيلي يزدهر بعد الفتن الثلاث وفي العهد المصري حينما كان النفوذ الاعلى للسلطة المصرية . ولعل من الاسباب التي حملت الموارنة على محاربة محمد علي باشا

---

٥١) H. Jessup, op. cit., v.1 p. 161.

٥٢) Missionary Herald, op. cit., June, 1848, p. 45

٥٣) H. Jessup, op.cit., v.1, p. 160.

٥٤) A. Paton, Modern Syrians, (London 1844) p.70.
I. Bird. op. cit., p. 349.

٥٥) Missionary Herald, Feb. 1848.
جاء في كتاب جسب ان عدد المدارس الانجيلية الاميركية كانت عام ١٨٥٩ ، ٣٢ مدرسة والطلبة نحو ١٠٥٦ ، اكثرهم دروز وعدد النشرات التي وزعت نحو مليونين نشرة دينية .
H. Jessup op. cit., p. 153.

هو تساهله في هذه الناحية وفي رواية يوركهارت (٥٦) عن المطران طوبيا ان صحت ، ما يؤيد هذا القول قال المطران لمستر يوركهارت اننا لم نقم لمحاربة محمد علي باشا الا بعد ان اكد لنا مستر وود (٥٧) ان بريطانيا ستحصل على فرمان سلطاني يقضي باقصاء البروتستانت عن لبنان ولكن مستر وود لم يبر بوعده " .

وذكر المسيو شارم - انه من المؤسف ان يكون البروتستانت سببا جديدا لانقسام طوائف منقسمة على نفسها . اننا لا ننكر الخدمات الجلى التي يقدمها المرسلون لهذه البلاد طبيا وثقافيا وروحيا .(٥٨)

والخلاصة لقد اصبحت الطائفة الدرزية بنظر الموارنة ،من الطائفة الانجيلية ، كالمسيحية في الشرق بنظر المسلمين من الحضارة الغربية وسيلة لنشر مبادئ دخيلة واقتحام اجنبي في عقر دارها لذا يجب مقاومتها واضطهادها . (٥٩)

---

٥٦) D. Urquhart op. cit., II, p. 262

٥٧) كان مستر وود كاثوليكيا وهو من عمال بريطانيا الذين اتهموا باثارة الموارنة على حكم ابراهيم باشا وقد كان سابقا احد تراجمة السفارة البريطانية في الاستانة . مشاقة ، ميخائيل . الجواب على اقتراح الاحباب ، ص ١٤٠ .

٥٨) Gabriel Charmes Voyage en Syrie ; Impressions et Souvenirs. (Paris, 1891) p. 253.

تشير معظم مصادر المرسلين التاريخية المعاصرة الى ظهور حركة أو ميل بين الدروز لاعتناق المذهب الانجيلي اجماعيا طيلة الحكم المصرى تخلصا من "النظام" او الجندية ولم يشجع المبشرون هذه الحركة لانها ناجمة عن غايات واهداف غير روحية وقد علل هذه الحركة احدهم بقوله ان العوامل التي ادت اليها هي اولا التخلص من "الجندية النظامية " ثانيا نكاية بالموارنة وتدخل البطريرك بشؤونهم ثالثا تأكيد حماية بريطانيا لهم للعلاقات الممتازة التي كانت بين المرسلين والبريطانيين ، وتشير المصادر نفسها ان تركيا قاومت هذه الفكرة بقوة،وتشير المحفوظات الملكية المصرية ان ابراهيم باشا قاومها ايضا مخافة استفزاز الجماهير المسلمة .

G. Scherer, op. cit. p.51. Julius Richler, History of Protestant Missions in the Near East.(N.Y., 1910), P. 169.
I. Bird. op. cit., p. 314.
رستم المحفوظات الملكية ج ٣ ص١٣٧، ٢٨٥ ، ٢٩٥ ، ٤٤٤ ،

الارساليات اللاتينية الكاثوليكية

وليست هذه الارساليات بحديثة العهد في لبنان (٦٠) بل الجديد في اعمالها مضاعفة نشاطها وتوسع نفوذها وتأثيرها، ويعزى اسباب هذا النشاط لاربعة عوامل كبرى على الاقل اولا الفتح المصرى وتشجيعه للاجانب ثانيا تنصر الامراء وازدياد عطفهم وحدبهم عليهم • ثالثا مقاومة الحركة الانجيلية في الشرق مقاومة عنيفة •

وكتب احد المرسلين الانجيليين ان تسعين بالمئة من الاضطهادات التي ابتلينا بها ليست من الاتراك او من الشعوب الاسلامية بل من الكنائس المسيحية وزعمائها في الشرق (٦١)

---

٦٠) نظرا لعلاقات الموارنة بروما وفرنسا ولما حظيت هذه الاخيرة بامتيازات قديمة من السلطة العثمانية منذ عهد سليمان القانوني ، بل ظهرت الارساليات اللاتينية منذ القرن الثالث عشر ، ونشطت الحركة منذ اوائل القرن السابع عشر حين قدم اليسوعيون وبمعاضدة مشايخ الخازن اسسوا كلية عينطورة الشهيرة • قال رستلهيوبر "والموارنة بسبب علاقاتهم هذه بروما وفرنسا كانوا اول الشرقيين الذين تأثروا بحضارة الغرب وعلومه فبرز كثير من علمائهم في التاريخ والدين والاداب السريانية حتى استدعى منهم لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر اساتذة لتعلم اللغات الشرقية كالحصروني والصهيوني" •

R. Ristelhueber, <u>op. cit.</u>, pp. 84-108.

٦١) E.D. Prime, <u>Forty years in the Turkish Empire</u>, or Memoires of Rev. W. Goodwell, (N.Y., 1876) P. 403.

ولم يقتصر عمل هذه الارساليات على التبشير فكانوا ينقلون الى فرنسا المعلومات عن عوائد البلاد ولغاتها ومحاصيلها كما انهم كانوا يتبادلون مع الهيئات الافرنسية في البلاد وفي الخارج المعلومات والتوجيهات [٦٢] واعتبر البعض هذه الارساليات بمثابة حملات صليبية حديثة على الشرق تعمل حيث فشل السيف . وكان من جراء تدخلاتهم في الامور السياسية ان ارتفعت حمى التعصب بين الطوائف المسيحية نفسها وسرت البغضاء بين ممثلي الدول الغربية السياسيين ، ولم ينج المرسلون الانجيليون انفسهم من هذه التهم فقد حمل الكاتب البريطاني ريتشارد مادن حملة منكرة على قناصل دولته في الشرق لانهم اصبحوا يمثلون الارساليات التبشيرية لا الحكومات البريطانية . [٦٣]

---

٦٢) بيهم ، المصدر نفسه ص ١٠١

٦٣) Richard Robert Madden, The Turkish Empire in its Relations with Christianity and Civilization, (London, 1862) p. 36

ثالثـــــا
يقظة الطبقة الوسطـــى

وكان من نتائج نشاط البعثات الدينية وانتشار معاهد العلم وفتح الثغور للاجانب ولا سيما في العهد المصرى وبعده ، وتنافس رجالات الحكم في الاستانة والقاهرة من اصدار البيانات والتنظيمات والاصلاحات ، ان ظهرت في البلاد حركة وعي فردى وجماعي ، وبرزت طبقة جديدة من طبقات الشعب بفضل العلم والتجارة شرعت تنافس الاقطاعيين ورجال الدين ، السلطة والثراء(٦٤)

---

٦٤) ويذكر مستر تشرشل امثلة على هؤلاء مثال طوبيا فلاح بسيط جمع ثروة مكنته ان يدفع الميرة للامير عن مقاطعات البترون وجبيل والفتوح واصبح نفوذه يفوق نفوذ اصحاب المقاطعات انفسهم ، وكذلك الياس جريس في مقاطعة غزير من اصل وضيع نافس مشايخ حبيش السطوة والنفوذ .

C. Churchill, Mount Lebanon ...... I, pp. 72, 87

وفي غمرة الحوادث يتولى السدة البطريركية رجل من طبقة الشعب هو البطريرك بولس مسعد بعد ان كان هذا المركز اشبه بوقف على العائلات الكبرى كالخازن وحبيش وغيرهم ويعتقد تشرشل لكونه من عامة الشعب اشتهر بكرهه للاقطاع .

C. Churchill , The Druzes and the Maronites .... p. 122.

ويذكر المطران يوسف الدبس بان المطران بولس مسعد كان المرشح العتيد للبطريركية بعد وفاة يوسف حبيش عام ١٨٤٥ ولكن مراعاة للظروف وللاقطاع الدرزى انتخب المطران الخازني وبوفاته ١٨٥٤ تولى السدة البطريركيـــة بولس مسعد .

بل حدث انقلاب كبير في الوضع الاجتماعي والاقتصادى (٦٥) كان من جرائه ان اضطرمت ثورة شعبية هي الاولى من نوعهـــا في الشرق العربي .

وليس من المصادفات ان تظهر هذه الثورة في الوسط الماروني (٦٦) دون الدرزى (٦٧) وفي مقاطعة كسروان حيث يد الاقطاع على اشدها وهي الى ذلك اوفر المقاطعات المارونية سكانا واكثرها ازدحاما (٦٨) مما ادى الى هجرة متوالية .

---

٦٥) ويحدثنا لويس فارلي ، وقد كان موظفا في بيروت في البنك العثماني في اول تأسيسه ، عن ازدهار التجارة رغم صعوبة المواصلات في الداخل ، واكتظاظ ميناء بيروت بالمراكب البخارية العاملة مع موانيء اوروبا رأسا ، وقد كان المرء منذ امد قصير قلما يشاهد مركبا بخاريا فيها ثم يحدثنا عن آندفاع الاهالي لاقتباس الازياء الاوروبية والاثاث الاوروبي والذوق الاوروبي . ثم يذكر لنا كيف ان في خلال سنتين فقط كادت تختفي بعض معالم الطرق القديمة في بيروت .

Lemis Farley, Two Years in Syria, (London, 1849) p. 29.

٦٦) قال رستلهوبر ، ان الطباعة انتشرت في لبنان منذ اوائل القرن السادس عشر وضمنت للموارنة ادارة الحركة العقلية التي شرعوا فيها

R. Ristelhueber . op. cit., p.24.

٦٧) بينما الفلاحون الدروز ـ كما قال جوبلان ـ ظلوا اوفياء لاسيادهم لمتانة نظامهم الاقطاعي وشدة العلاقة الدينية بينهم وبين زعمائهم وضعف التطور الاجتماعي الثقافي ، ويؤيد ابو شقرا هذا بقوله "كان الدروز مهملين امر العلم اهمالا كليا وقلما تجد بينهم من يحسن القراءة لقلة العاملين منهم في الارض" ، يوسف ابو شقرا ، الحركات في لبنان في عهد المتصرفية (بيروت ١٩٥٤) ص ٢٥ .

٦٨) ضاهر العقيقي ، ثورة وفتنة في لبنان (دمشق ١٩٣٨) ص ٢٦ ، ٤٥ ، ذكر جوبلان انه في عام ١٨٥٨ كان عدد المهاجرين من خمسة قرى في لبنان خمسة آلاف مهاجر

M. Jouplain op. cit., 368.

وفي حديث الدكتور مشاقة مع حنا البحرى ما يؤيد هذا القول ، مشاقة ، الجواب على اقتراح الاحباب ، ص ١٤٣ . ويذكر احد المرسلين ان في العشر سنوات السابقة للفتنة ازداد عدد الموارنة ، من جراء الازدهار زيادة لا تتناسب مع ضعف خصوبة الارض .

G. Scherer, op. cit., p. 23.

واخيرا لما توافر في كسروان من وسائل العلم بفضل الارساليات الكثيرة فيها . وتأثير الحضارة الغربية والثورة الافرنسية . ففيها تأسست اول مدرستين في لبنان وهما مدرسة عين ورقة ومدرسة عينطورة وكان للمدرستين علاقة او شبه علاقة بالانتفاضات العامية .

ولعل الى هذا يشير قنصل بريطانيا في بيروت فيقول ان قائد الثورة طانيوس شاهين من ريفون محل اصطياف الاباء العازريين ، اصحاب مدرسة عينطورة الشهيرة . (٦٩)

ويلاحظ ان اول ثورة عامية في لبنان ظهرت في كسروان في عهد الامير بشير الكبير نظمها رئيس عين ورقة ، المطران يوسف اسطفان ، (٧٠) فتعاون الامير بشير والشيخ بشير لاخمادها فهرب المطران متنكرا وقتل الشيخ بشير الخوري نهرا المتيني احد المتحمسين لها والداعين اليها . (٧١)

ويرى رئيف خوري اثرا للثورة الافرنسية فيها وان استعمال طانيوس شاهين في مناشيره " بقوة الحكومة الجمهورية "ما يقارب منشور نابليون في مصر من طرف الجمهور الافرنسي المبني على الحرية . (٧٢) كما ان في منشور الثوار ضد محمد على باشا اشارة الى بطولة ابناء الثورة الافرنسية (٧٣) ويقول شاهد عيان لقد الف شبان الموارنة في بيروت لجنة على غرار اللجنة التي سمعوا عنها في فرنسا ولكن لم يكن لهذه اللجنة من اثر سوى تحريك نقمة الدروز والاتراك معا . (٧٤)

---

٦٩) المحررات السياسية ، ج ٣ ص ٣٢٧ .
٧٠) الشدياق ، المصدر نفسه . ص٥٠٠
٧١) طنوس الحتوني ، نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية ، (بيروت؟١٨٨٤) ص٢٥٠ مشاقة ، الجواب على اقتراح الاحباب ، ص٨٣
٧٢) رئيف الخوري ، الفكر العربي الحديث واثر الثورة الافرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي . (بيروت ، ١٩٤٣) ص٩٤
٧٣) المحررات السياسية ، ج ١ ص ٣٢٧
٧٤) Souvenirs de la Syrie, op. cit., p. 31.

ويرى جوبلان وجها للشبه بين ثورة ١٨٥٨ في كسروان وثورة ١٧٨٩[٧٥] ثم ان انتقاض الفلاحين على حكومة محمد علي قوت فيهم روح التمرد على النبلاء وتولدت فيهم روح الديمقراطية وهذه الفكرة التي كانت غامضة مبهمة اخذت تنمو منذ ١٨٤١ - ١٨٦٠ .[٧٦] ويتعجب Paton من كثرة ترديد لفظة الحريـة والمساواة بين الاهلين[٧٧] ويشعر فوكي بذلك فيقول ان ريحا ديمقراطية هبت على الجبل فاثارت فلاحيه ضد الشيوخ[٧٨] ويستدل من النبذة المدرجة ادناه ان الموارنة قد اطلعوا على بعض تفاصيل الثورة الافرنسية[٧٩] .

ومما هو جدير بالذكر ان زعيم الثورة الحقيقي وعقلها المدبر لم يكن طانيوس شاهين بل هو الياس المنير الزوقي ، نسيب صاحب المخطوطة ومن بلدته وفي

---

٧٥) M . Jouplain op. cit., p. 373

٧٦) Ibid. p. 252

٧٧) A Paton, op. cit., p. 57

٧٨) Comte Melchoir de vogüe, Les evenements de Syrie (Paris, 1860) P. 4.

٧٩) من مخطوطة للخوري حنانيا المنير الزوقي ، وهو رجل معاصر للثورة الافرنسية سجل حوادث لبنان آنذاك عاما فعاما .. قال "وسنة ١٧٩٦ (١٢١٠هـ) في بدء هذه السنة تحقق وظهر وشاع خبر الهرطقة التي نشأت في فرنسا وامتدت وعظمت جدا جدا وقامت ضدها الملوك والمماليك ... وهذه البدعة صار لها سنون ولم تشهر الا منذ اربع سنوات اذ قام العامة برأى واحد وعزم واحد على ملكهم فقتلوه وعينوا اناسا اصحاب مشورة ....". شهاب ، تاريخ الجزار ، المصدر نفسه ص٤٤٨ .

كتاب الحتوني وصف مسهب لعلاقة هذا الرجل وتأثيره بالثورة (٨٠) وعلاقته بالامير وكثرة تردده على القنصل الافرنسي . (٨١).

وهكذا يظهر ان تفاصيل الثورة الافرنسية لم تكن مجهولة لدى بعض المتعلمين وعلى الاخص جماعة الاكليروس. قال جوبلان ولا شك ان قوة الثوار الكبرى اتتهم من انحياز الاكليروس الماروني الى جانبهم وهو من الطبقة المتنورة

---

٨٠) قال الحتوني "فاستوثق الامير واحلافه اولا برجل ملكي كاثوليكي يسمى الياس المنير من زوق مكايل واوعز اليه ان ينشر هذا السر (سر الثورة) ثم اخذ بالتتابع يزرع هذا المبدأ في عقول من كان يوثق بهم ويوافقونه بانشاء هذه الثورة ." ثم يعدد صفات الحاكم ... " ويقول ان عدم السيادة والسلطة هما من متطلبات الحرية . الحتوني ، المصدر نفسه ص ٢٣٢ . ويسمي الحتوني هذا الرجل مدير الاعمال وانه كان يتلقى التعليمات من الامير احمد " اما مدير الاعمال الزوقي فقد شمله الفرح لنجاح عمله وكتب الى الامير يبشره"، وفي اثناء قدوم المطارنة للمفاوضة للصلح كان هذا الرجل " يتصدر للمجاوبة واخذ يتفاصح ويطيل الاسهاب بالجدال ص ٣٣٩ ، ٣٤١ . ويظهر ان طانيوس شاهين لم يكن الا اليد المنفذة له فيما بعد .

٨١) يذكر عن البرنس ماترنيخ ، بعد توالي الثورات في عواصم اوروبا عام ١٨٤٨ ان قال " ما هذا أكلما عطس رجل افرنسي "رشحت" جميع اوروبا ولا ندرى ما اذا كانت احدى اسباب الثورة هذه افرنسية عن طريق القنصلية او بعض عمالها للقضاء على الاقطاع المسيحي ولا سيما بعد ان ظهر للافرنسيين اثناء الحملة المصرية ان عامة الشعب ورجال الدين اكثر وفاء لهم واخلاصا . ويرى شبها بين روح هذه المناشير والمناشير التي كان يكتبها الثوار ١٨٤٠ بايحاء العامل البريطاني مستر وود .

التي تكره الظلم (٨٢) قال الاب خانجيان وطلب الفلاحون ان ترفع رتبة المشيخة ويصير اعطاء الشرف كمقدار الغنى فعد المشايخ هذا الطلب جسارة وافتراء (٨٣) .

قال المطران يوسف الدبس ان انتشار روح الحرية حمل الاهلين على الازدراء بسلطة المشايخ وانكار وجاهتهم ، وسرت هذه الروح الى جهات لبنان فانحط شأن امراء ومشايخ الموارنة بل اعيان ومشايخ الطوائف الاخرى (٨٤).

ولا ننسى روح الثورة التي كان يبثها عمال بريطانيا في العهد المصرى امثال ريتشارد وود ، ويتلون على مسامع العامة مبادئ الحرية والمساواة التي تضمنها الخط الشريف ١٨٣٩ للعائدين للحضن التركي ، والخط الهمايوني سنة ١٨٥٦ (٨٥) كل هذه الامور كمنت في نفوس العامة واختمرت واضطرمت فيما بعد بتأثير عمل

---

٨٢) ويظهر لنا من مخاطبة الشيخ بشير للخورى نهره وهو من "اعظم القائمين بهذه الفتنة" فتنة لحفد ، شدة سخط ونقمة رجال الاقتطاع على بعض اعمال رجال الدين فقد ذبح الخورى نهره ذبح النعاج . قال مشاقة : " وصادف الشيخ بشير بطريقه ، الخورى نهره ، فارسا ومتقلدا بالسلاح الكامل بالطابية الكبيرة على رأسه وكان من اعظم القائمين بالفتنة فعندما شاهده الشيخ بشير قال له — المجد لله يا ابينا الخورى (كما يقول النصارى) ... ثم قال له لا يليق بالكاهن ركوب الخيل ... ثم قال له اني اخشى عليك التعب بالمشي فالاحسن ان ترتاح في ارضك وامر بذبحه . فكان يصيح ويترجى والشيخ يقول له ابوتك تسامحنا لان ذبحك اوفق لصالح الرعية . مشاقة ، المصدر نفسه ص ٨٤ .

٨٣) انطون خانجيان ، نبذة مختصرة في حوادث الشام ١٨٤٠ — ١٨٦٠ (بيروته ١٩٢٧) ص ٧ .

٨٤) اسطفان بشعلاني ، لبنان ويوسف كرم (بيروت ، ١٩٥٢) ص ١٥١

٨٥) ويذكر هملن تأثير الخط الشريف في الاقليات فيقول فلا تسمع الا اليونان والارمن وسواهم يتحدثون عن مصالحهم القومية ويعنون بها الطائفية ، لهذا تقدم فريق تجار الارمن بالاستانة يطالبون البطريرك بتمثيلهم في مجلسه انها حركة ديمقراطية داخلية وقد يتهمها المبغضون بانها وليدة عوامل خارجية

Cyrus Hamlin, Among the Turks, (N.Y.,1877), p. 67.

الارساليات والاتصال بالغرب والمصالح السياسية (٨٦) مما حملها على ان تتململ من سيطرة الاقطاع . وزادها ثقة بنفسها اشتراكها الفعال بطرد ابراهيم باشا وتنشقها روح الحرية والمساواة في عهده (٨٧) فانتفضت ثائرة في كسروان وحاول اقرانها ان يتحركوا في الجنوب محاولين زحزحة يد الاقطاع الدرزي ، فحولها رجال الاقطاع الى ثورة اهلية وفتنة طائفية ، لتغطية اغراضهم الشخصية ومصالحهم العائلية .

---

٨٦) ويظهر من رواية احدهم " ان محمد علي باشا بايعاز من فرنسا اتبع سياسة تمكن المسيحيين الفلاحين من امتلاك الاراضي ولاسيما في الاقطاع الدرزي لاضعاف نفوذهم .

Captain Bouron. Les Druzes, Histoire de Liban et de la Montagne Humanaire (Paris, 1930) p. 149 .

٨٧) ولا ريب ان النظام المصري في لبنان اضعف نفوذ الاقطاع وكف يدهم وجعلهم امام الشريعة مع الشعب سواء بسواء .. وكان ذلك باعثا قويا على كره الامراء والمشايخ للحكم المصري .

مشاقة - مشهد عيان المصدر نفسه ص ١٠٢ ، ١١٤ - ١١٦ .

رابعـــــا
تنافس بريطانيـا وفرنسا

ومن مظاهر التغيرات الكبرى في تاريخ لبنان انتقال الصراع فيه من الصعيد القبلي السلالي الداخلي ، الى الصعيد الدولي ، فاصبح لبنان محور الاهتمـــام الاوروبي نحو ثلث قرن ، ومسرحا للنزاع الافرنسي البريطاني بين نفوذ عريق قديم موتور ، ونفوذ قوى مستجد .

تراجع المصريون عن لبنان ، ازاء ضغط بعض الدول الاوربية الكبرى وتخلي فرنسا عنهم وتمرد اللبنانيين ، فتوارت المسألة المصرية ، لتبرز بعنف وشدة الازمة اللبنانية ، وهي ازمة بسط النفوذ بين تركيا وفرنسا وبريطانيا . وانتقل الصراع البريطاني الافرنسي من اوروبا الى لبنان ، واصبح اتفه الاشياء يثير قلق واهتمام الدولتين . وقد عبر من ذلك بلغة بسيطة ساذجة يوسف بك كرم الى ممثل بريطانيا المستر يوركهارت احسن تعبير اذ قال " لقد اصبحت امورنا في هذه الايام مرتبطة بانكلترا وفرنسا وانه اذا ضرب احدهم رفيقه كما تصبح المسألة مشكلة افرنسية بريطانية ، وربما اختلفت الدولتان من اجل فنجان قهوة يهرق على الارض" (٨٨) .

وبحملة نابليون على مصر ، وغزوة ابراهيم باشا للبنان ، وتأييد فرنسا للفاتح المصرى ظهرت بريطانيا على المسرح في الشرق (٨٩) ، وبرزت سافرة على المسرح اللبناني ، تحاول مقاومة امتداد النفوذ الافرنسي بشـــــــدة

---

٨٨) D, Urquhart op. cit., v. 2 . p. 77 .

٨٩) يلاحظ ان بريطانيا كانت الى امد قريب بنجوة عن حوادث الشرق الادنى فاغلقت قنصليتها في مصر ١٧٦٩ . بناء دولة ، المصدر نفسه ص ٦٤ . رغم انها كانت تلاحظ بحذر وقلق ازدياد النفوذ الافرنسي فيه وترنو احيانا بعطف للتدخل الروسي عله يضعف هذا النفوذ .

وعنف ، (٩٠) وتتودد للموارنة علها تكتسب مودتهم بعد ان تغاضت فرنسا عنهم ردحا من الزمن ابان محنتهم • فلم تفلح الا قليلا (٩١) لهذا قال الكولونيل روز جملته المأثورة " ان الموارنة مستسلمون روحا وجسدا لفرنسا ••• وعليه لم يبق لبريطانيا ان تختار بالامر ، بل امسى عليها مناصرة الدروز •" (٩٢) ويعتقد بوجولا ان الموارنة تجنبوا بريطانيا مخافة ان تنشر بينهم المذهب الانجيلي (٩٣)

بريطانيا تعضد وتحتضن الدروز

وعملا بهذه الفكرة لم تدع بريطانيا فرصة الا وانتهزتها لاظهار عطفها على اصدقائها الجدد (٩٤) وهذا العطف البريطاني نحوهم كما سنرى مع ما تمتعت به من نفوذ في هذه الفترة في الشرق شجع الدروز على العدوان واعتقدوا انهم باستئصال الموارنة او اضعافهم يخدمون المصالح البريطانية •

---

٩٠) وحينما اتصل نابليون بامير لبنان اتصلت بريطانيا بمشايخ الطائفتين ، ووزعت في لبنان المنشور الذى اذاعه نابليون في مصر توددا للمسلمين وفيه كيف ان الثورة قضت على نفوذ رجال الدين المسيحي واضطهدت بعض مؤسساتهم واخيرا ينهي الاميرال نابيه منشوره بقوله وعليكم الان ان تختاروا بين قائد ملحد ورجل مسيحي نبيل • E. Napier , op. cit., v.1 .p.201

وحاولت بريطانيا رشوة سليمان باشا نفسه بمنحه حكم قبرص طيلة حياته فرفض•
Dodwell ,op. cit., p. 64.

٩١) وكانت البروتستانتية بعرف العامة وبتلقين لرجال الدين مرادفة "للماسونية" و "للكفر" ويذكر مشاقة كيف ان العامة عندما شاهدت المرسل الاميركي كنج وهو جميل الطلعة تجسرت لكونه بروتستنتيا • مشاقة ، الجواب على اقتراح الاحباب ص٩٦•

٩٢) المحررات السياسية ، ج ١ ص ٧٣ •

٩٣) B. Poujoulat, Recits et Souvenirs d'un voyage en Orient.(Tours 1883)p.133

٩٤) بعد انسحاب المصريين توترت العلاقات بين الدروز والاتراك فاصدر السلطان امرا بقتل نحو ثمانين زعيما ، فالتجأوا الى القنصلية البريطانية فاعلنت بريطانيا ان الاتراك لن يدخلوا اليهم الا على جثث القتلى وانتشر الخبر بين الدروز فاشتدت اواصر المودة بينهم وبين بريطانيا

وقد انتقد تشرشل نفسه ، موقف حكومته هذا ، مستغربا وقائلا " ورغم التعسف والظلم الذى كان يسومه سعيد بك جنبلاط للمسيحيين ، فان معاضدة بريطانيا له ، وغض الطرف عن سيئاته ، اثار استغراب الدروز انفسهم فتشجعوا على احتقار المسيحين واعتقدوا ان بريطانيا ترضى بسحق الطائفة المارونية ، اضعافا لنفوذ فرنسا ، وانهم بالفتنة الاخيرة ١٨٤١ ، ١٨٤٥ قد قدموا خدمات جلى لمصالح بريطانيا باضطهادهم ملة تنظر الى البريطانيين "كهراطقة" و "ماسونيين" و "كفار" . (٩٥)

وفي حديث للمستر جراهام المرسل الارلندى ما يؤيد هذا القول ، قال في تقرير قدمه الى لجنة بيروت الدولية ١٨٦٠ " زارني في بيتي زعيم ، وهذا لا يلفظ اسمه المسيحيون الا بمزيد الرعب ، وجرى بيننا حديث ظهر منه ان كثيرين من الدروز يعتقدون ان الحكومة البريطانية قد ترتاح كل الارتياح لما فعلوه ، لظنهم انهم يخدمون مصالحنا ... فأثبت له ضلاله وقلت ان الشعب البريطاني هو اكثر الشعوب مقتا لاعمالهم المشينة (٩٦) .

وبعد ان استعرت نار الحرب الاهلية ١٨٤١ ارسل مستر "وود" رسالة بتاريخ ٢٨ ت٢ الى والي صيدا ينصح الاتراك بالحياد ، (٩٧) وكان الحياد بصالح الدروز ، فاثارت هذه الرسالة الشبهة والتأويلات الكثيرة حول موقف مستر

---

٩٥) يوسف خطار ابو شقرا ، الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية (بيروت ١٩٥٢) ص٦٧

Churchill, Mount Lebanon ...., I, p. 125

" The Druzes and the Maronites.... p. 151

٩٦) المحررات السياسية ج ٢ ص ٢٧١

٩٧) نص الرسالة في المحررات السياسية ، ج ١ ص٨٦ .

وود آنذاك ، ومما يلاحظ لسوء الحظ ان كثيرا من عمال فرنسا وبريطانيا كانوا يتبعون سياسة مناوئة لزملائهم وحكوماتهم . (٩٨)

ولعل ابرز دليل على تدخل برطانيا هو عمل الكولونيل تشرشل نفسه الذى كان على حد تعبير صديقه المرسل الاميركي مستر جسب العقل المنظم والمستشار الحربي للدروز في لبنان ولكن ما تحولت المعارك الحربية الى مجازر اهلية حتى استنكرها اشد الاستنكار وحمل على الدروز والاتراك حملة شعواء (٩٩)

التهم الموجهة الى بريطانيا

وقد تعرضت بريطانيا الى هجوم صاعق مركز من الصحافة الافرنسية واثارها النواب الافرنسيون حملات لا هوادة فيها ولا لين ، في قاعة المجلس، قال احدهم " انتم تعلمون من اين تهب الرياح والعواصف التي تجتاح تلك البلاد التعسة ، فمهبها ليس من بحر المتوسط بل من وراء بحر المانش" (١٠٠)

واخذت الصحف الافرنسية والبريطانية تتبادل التهم ، والجدير بالذكر وبحرية الرأى في بريطانيا ان احد النواب البريطانيين نهض في المجلس البريطاني يتهم حكومته نفسها بانها المسؤولة ، ان لم تكن مباشرة فغير مباشرة ، فقال انما وضح من التدقيق في تاريخ العشرين سنة الاخيرة ، ان بريطانيا هي سبب ما جرى هنالك فماذا فعلنا فقد وجدنا ابراهيم باشا والامير بشير ممثل اهم اسرة في تلك البلاد يسوس شؤونها ، ان لم يكن على ما يرغب فيه ، فعلى الاقل بطريقة من شأنها

---

٩٨) D. Urquhart op. cit., II, p. 430

٩٩) H. Jessup op. cit., I, p. 159

١٠٠) المحررات السياسية ، ج ٢ ص ٣٧٣ .

ملافاة حدوث مثل هذه الكوارث الهائلة ، فسعينا الى ابدال هيئة الحكم نكاية بفرنسا ، ومعارضة لبعض الدول ، فعملنا على التفريق بين الدروز والموارنة ... واذكر ما قاله الباسل امير البحر نابيير ، الذى اشترك في مشاكل ١٨٤٠ في اجتماع عقد سنة ١٨٤٥ فقد صرح " انه مخجول ان يعترف .... فوقف السير شارل نابيير في الجلسة نفسها وقال ان ما قاله حضرة العضو صحيح ، قد قلت "اني مخجول من الدور الذى لعبته ، مخجول عن نفسي ، مخجول عن امتي ، كانت سوريا تحت الحكم المصرى هادئة مطمئنة ولولا لم يرسل سفير (١٠١) بريطانيا عماله لاثارة الشغب لما تمكنا من طرده ولدينا قوة ضئيلة .

تبرير موقف بريطانيا

ويبرر بعض المؤرخين موقف بريطانيا بانه دفاعي محض فاحتلال فرنسا للجزائر ومناصرتها لمحمد علي باشا ، وهو معروف بميولــــه لـفرنسا ، وازدياد نشاطها في لبنان ، وتفكيرها باحياء قناة السويس ، كل هذه الامور اقلقت بريطانيا اشد القلق ، وقد عبر عن ذلك القلق بكل صراحة رئيس وزراء بريطانيا للمسيو فيزو بقوله ، ما هو بمعناه " ان هذه السياسة خطرة ومضرة لنا جدا " (١٠٢) لا سيما وسياسة بريطانيا آنذاك كانت تدور حول محور المحافظة على طريق الهند ، لازدياد تجارتها وتوسع مصالحها في الشرق .

---

(١٠١) Hansard, Parliamentary Debates, 3rd series. 23 July to 28 August 1860 Columns 1479- 1486.
(Quoted by M.H. Kerr, Revolution and Civil War in the Lebanon; An unknown page from the history of Lebanon from 1841 -1871, by a contemporary of the time, Antun Dahir, Al-Akiki , publication, commentary, and marginal notes by I.Y.Yazbak . Tran. comm. and annotations by M.Kerr, Thesis, A.U.B. 1955)
F. Guizot, A Popular History of France, (Boston, 1888) VIII, p. 406.

(١٠٢) Great Britain: Foreign Office, France and the Levant (London 1920) p. 17

اهمية جبل لبنان لها

وبحملة ابراهيم باشا انكشفت اهمية جبل لبنان الاستراتيجية لبريطانيا وكان اكثر المتحمسين اهتماما بموقعه من عمال بريطانيا يوركهارت (١٠٣) وتشرشل الذى نصح ابناء ملته قائلا "يجب لاسباب واضحة ان يعرف كل بريطاني بانه اذا ارادت بريطانيا ان تحتفظ بتفوقها في الشرق عليها ان تسيطر بحكمها او نفوذها على مصر وسوريا واني لادعو مواطني ان يتبنوا هذا المبدأ وهو اذا انسلخ لبنان عن الامبراطورية العثمانية ، اما يجب ان يكون تابعا للنفوذ البريطاني واما ان يكون جزءا من دولة مستقلة ... ، لبنان هو القلعة الطبيعية في وسط هذه البقعة من العالم " (١٠٤) وكتب ممثل بريطانيا في لجنة بيروت الدولية الى حكومته عام ١٨٦٠ " لو كان يتوجب علينا ان ننظم شؤون لبنان مجددا ، دون الاعتداد بسابق تاريخه ، لقلت ، ان افضل طريقة وأبسطها هي الحاق لبنان بولاية سوريا " (١٠٥)

نشاط عمال فرنسا في لبنان بعد هبوط نفوذها

وليست علاقة فرنسا بلبنان امرا حديثا يستوجب البحث من حيث تغيير الاوضاع في لبنان ، ولكن الجدير بالامر هو ذلك الهبوط الكبير في النفوذ الافرنسي بعد انسحاب المصريين ، ونشاط عمال فرنسا لاعادة ذلك النفوذ بشتى الوسائل ومختلف الاساليب ، هذا الهبوط او الانخذال اعتبره الساسة الافرنسيون صفعة

---

١٠٣) خصص فالكس فاليي ، بحثا خاصا للدور الذى لعبه يوركهارت في الشرق

Felix Valyi, L'Europe en Asie Mineure, La Signification Profonde du Probleme Turc, (Paris, 1922) pp. 26-32.

ازدادت تجارة بريطانيا بين ١٨٢٥ - ١٨٥٣ في الشرق هذا من ٦٠ مليون الى ٢٢٥ مليونا .

F. Bailey, British Policy and the Turkish Reform Movement, p. 69.

١٠٤) C. Churchill, Mount Lebanon, ..., II, p. 8

١٠٥) المحررات السياسية ، ج ٢ ، ص ٢٣

اليمة لسياستهم بل كما قال احدهم "واترلو الدبلوماسية الافرنسية" (١٠٦) وفي تعبير لامارتين الشاعر والنائب "حثالة كاس شربناها عام ١٨٤٠" ثم قال مخاطبا زملاءه النواب "وكان عليكم على الاقل ان تبذلوا الجهد لئلا تتحول تلك الحثالة الى نقطة دم" (١٠٧)

وهبط النفوذ الافرنسي في الاستانة ولبنان معا فخطب غيزو في الندوة البرلمانية ١٨٤٥ قائلا "لقد كنا اهملنا الموارنة حديثا في مقاومتهم باشا مصر وعضدنا الباشا ضد الباب العالي بل ضد الموارنة مما اضعف موقفنا في الاستانة بمخاطبة الدولة العثمانية في شأنهم" (١٠٨).

والدليل على هبوط النفوذ الافرنسي ان رجال الاقطاع الماروني ومنهم مشايخ آل الخازن اولئك المدينون لفرنسا بنفوذهم لاسنادها اول قنصلية لهم، مالوا نحو بريطانيا وترددوا كثيرا على الارسالية الاميركية في بيروت (١٠٩) فكان عمال فرنسا من المحرضين على الثورة الشعبية ضدهم، وامتدت نحو الاقطاعية الدرزية فحولها الاقطاعيون الى فتنة طائفية، ولعل اروع دليل على النفوذ البريطاني ان البطريرك نفسه، وهو الى ايام قلائل، كان يحرم كل من يرنو بنظرة نحو المراكب الانكليزية، التجأ الى احدى المراكب البريطانية بعد اشتداد ثورة ١٨٤١ (١١٠)

---

١٠٦) M. Jouplain, op. cit., p. 244

١٠٧) المحررات السياسية، ج ٢ ص ٢٦٨، ثم قال لماذا اتخذت النمسا سياسة مخالفة لاميالها ذلك بغية ارضاء بريطانيا التي اتخذ مواطنوها على عاتقهم مهمة معقوتة قوامها بذر الشقاق بين الدروز والموارنة واضرام نار الاحقاد. المكان نفسه.

١٠٨) المصدر نفسه ج ١ ص ١٩٩.

١٠٩) Missionary Herald 1842, Feb., p. 301.

١١٠) العقيقي، المصدر نفسه ١٠٦ – حسر اللثام، المصدر نفسه ص ٩٢.

ازاء تدخل بريطانيا السافر في لبنان نشطت الدعاية الافرنسية نشاطا قويا ، فكيف ترضى بهذا الانخذال وهي اول دولة اوروبية كبرى انفردت نحو نصف قرن بامتيازات خاصة (١١١) فملوكها الوحيدون الجديرون بلقب بادشاه واندادا لسلاطين بني عثمان ، سفراؤها ،مدة من الزمن ، مقدّمون على زملائهم (١١٢) ، سفنها الوحيدة التي تستطيع ان تؤم الموانيء السورية ، ويتحتم على غيرها ان ترفع العلم الافرنسي (١١٣) بل مضى ردح من الزمن لا يستطيع بريطاني او غيره ان يدخل سوريا الا "بتأشيرة" من القنصل الافرنسي (١١٤) .

وكانت نقطة الانطلاق لهذا المركز الممتاز وحماية المسيحيين في الشرق معاهدة ١٥٣٥ بين تركيا وفرنسا التي جمعت بينهما المصالح الحربية (١١٥) وترجع العلاقات الافرنسية المارونية الى عهد الصليبيين وتوطدت مع مر الاجيال فانتشرت ارسالياتها ودعاتها في لبنان فاستقر الكبوشيون في بيروت عام ١٦٢٥ ان لم يكن قبل ذلك . (١١٦) .

واستغلت فرنسا هذه الروابط اكبر استغلال ان لم يكن اسوأه ، فاعلن ملوكها ان لبنان، فرنسا الشرق وجزء منها (١١٧) بل تمنى لامارتين في كتابه رحلة للشرق

(١١١ I. De Testa, op. cit., p. 16 . Passim

(١١٢ I. De Testa,op. cit., I . P. 186.

(١١٣ B. Poujoulat, op. cit., p. 133

(١١٤ Ibid.,

(١١٥ I. De Testa, op. cit., I . p45.

(١١٦ R.Ristelhueber, op.. cit., p. 88 . H.Guys, II, P. 192.

يقول هنري فيز في الصفحة المذكورة اعلاه ان كتاب سوريا المقدس المطبوع عام ١٦٦٠ ، يحدثنا ان مدينة بيروت كانت منذ مدة طويلة مركزا للكبوشيين .

(١١٧ E. Napier op. cit., I. 221

قيام دولة مسيحية راقية قلبها لبنان تتعهدها دولة اوروبية كبرى [١١٨] ومن رسالة الكولونيل فريزر الى السفير البريطاني في الاستانة قوله " والنظرة الافرنسية ان تجعل لبنان دولة مستقلة برئاسة امير موراني . [١١٩] وتباهى الموارنة بهذه العلاقة فتخطوا حدود اللياقة نحو الدولة التركية وحدود الكياسة نحو جيرانهم الدروز ، فاذا ما انتقل سفير فرنسا من قرية الى قرية استقبل استقبال الفاتحين ، واعلنوا مرارا ان الدم الافرنسي يجرى في عروقهم . وكثيرا ما اشار رجال السياسة الى دولهم انه من اسباب الفتن ما علقه الموارنة من امال على مساعدة فرنسا لهم ، ولكن فرنسا خيبت امالهم احيانا . ويعلق على هذه الخيبة المطران طوبيا الى مستر يوركهارت في بيروت قائلا ، "هنا ، وفي جميع اقسام سوريا ، ومصر ، وقبرص، منذ منتصف القرن السابع عشر الى آخر حملة نابليون (الثالث) ، بلغ عدد ضحايا الموارنة في سبيل فرنسا نحو اربعين الفا ، فتك بهم الاتراك ، او سواهم وهذه هي ثمرة حماية الافرنسيين لنا [١٢٠]

والواقع ان علاقة الاتراك كانت احيانا تحلو او تقسو بتأثير علاقة تركيا بفرنسا وكما مر سابقا نقلا عن الوثائق الافرنسية الرسمية ان تركيا كانت تنظر الى الموارنة نظرة تختلف عن نظرتها الى سائر المسيحيين في امبراطوريتها فهم بعرفها من انصار روما وفرنسا .

ومن مساخر الاقدار ان هذه الفتنة التي كان من بعض عواملها اقصاء النفوذ الافرنسي والتفريق بين "حبيبين قديمين" انتهت بالوصال والاحتلال الافرنسي ،

---

١١٨) A. Lamartine, Voyage en Orient, I, p. 147.(Quoted by E. Napier op. cit., I, 222 f.

١١٩) Great Britain : Foreign Office . Correspondence relating to the affairs of Syria, 1860-1861 ., (London 1861)

١٢٠) D. Urquhart , op. cit., v.2. P. 261.

فعلق على ذلك يوركهارت ساخرا مستهلا كتابه من الحوادث بقوله " وسترى فيه كيف ان الدول الاربع التي اجتمعت وباشرت اعمالها ، بحجة اقصاء النفوذ الافرنسي ، انهت مهمتها "بتسليم البلاد الى احتلال افرنسي عسكري" (١٢١) ويفاخر رينه رستلهوبر قائلا :

"هذه العلاقات التي باشرها الصليبيون، وكرسها لويس الرابع عشر، واحترمتها الثورة، ونفذها نابليون الثالث" (١٢٢) .

(١٢١ D. Urquhart, op. cit., I p. 5

(١٢٢ R. Ristelhueber, op. cit., p. 2

خامســـــا

اشتداد ازمة المسألة الشرقية في النصف الاول من القرن التاسع عشر

ما انصرم القرن الثامن عشر او كاد حتى برزت المسألة الشرقية (١٢٣) على اشدها بازدياد التدخل الاوروبي الاجنبي ، فبلغ الذروة في منتصف القرن التاسع عشر (١٢٤) .

وتعرض المسيحيون فيه من عامة الشعب على الاكثر ، للاهانة ، والمضايقة والفتك بهم احيانا ، فكانت مصائبهم وبلاياهم تجاوبا او عقابا لما ابتليت به الامبراطورية العثمانية من بلايا الغرب وتدخلاته .

---

١٢٣) والمسألة الشرقية كما عرفها البعض" ما اطلقه الاوربيون على موجة المد العثماني في الشرق والغرب ثم انحسارها تحت الضغط الاوروبي وبداية المشاكل التي نجمت عنها او كيفية اقتسامها سواء كان الضغط من الداخل اوالخارج " حسين النجار ، السياسة والستراتيجية في الشرق الاوسط ص١٤٠ .

١٢٤) J. A. Marriot, The Eastern Question, an Historical Study in European Diplomacy (Oxford, 1951) pp. 1-6

قال احدهم ان طيلة القرن التاسع عشر ، برز عاملان من عوامل التدخل الاوروبي في الشرق ، الاول علماني يتجلى باقتباس اساليب الحكم والتجارة والصناعة والحرب ، وعامل ثقافي روحي يحاول تغيير داخلية الشرق وهو نشر مبادئ وعقائد جديدة والواقع ان التدخل ابتدأ من زمن ابعد ولكن ظهر بصورة عنيفة في هذا القرن . ومما يؤسف له اننا ندخل للشرق كثيرا من مشاكلنا غير المحلولة" . وقال كوهن "طيلة القرنين الماضيين كانت الامبراطورية العثمانية حومة الميدان للنزاع بين الشرق والغرب .

Edward C. Moore, West and the East; The Espansion of Christendom and the naturalization of Christianity in the Orient in 19th Century, being the Dale lectures (N.Y. 1920) p. 6f.

Hans Kohn, Western Civilization in the Near East, (London, 1936)p. 67.

ويتجلى لنا التدخل او الاقتحام الاوروبي باربعة عوامل او مجاري كبرى: اولا الاقتحام العسكري ، وحاملة لوائه روسيا ، ثانيا انتفاضات البلدان المسيحية التحريرية من جراء وعي الشعب وتأثيره باوروبا ، وفي مقدمتها اهمية ، ثـــورة اليونان ، ثالثا اقتباس بعض عناصر الحضارة الاوروبية بتأثير الثقافة الافرنسية على الاكثر وبواسطة السلاطين ، او تسربها بواسطة الافراد والهيئات التربويـــة والدينية ، رابعا الاصلاحات والتنظيمات فيما يختص برفع الغبن عن الاقليـــات وكانت هذه على الاكثر بوحي (التأثير) بريطانيا محافظة على وحدة الامبراطورية وانعاشها . (١٢٥) وكونت هذه العوامل بنظر عامة الشعب العثماني ، انقلابا خطيرا في حياتهم وانظمتهم وتحديا خطيرا لشرائعهم وتقاليدهم وعاداتهم وفقدت الحكومة هذا الشعور وامتشقته سلاحا لمجابهة اسلحة الغرب فكان سلاحا ذا حدين ، كلما ازداد التعصب كلما ازداد التدخل والعكس بالعكس. (١٢٦)

<u>المجرى الاول : الاقتحام العسكري</u>

وكان اول اقتحام عسكري سافر ، كما ذكرنا سابقا حملة نابليون وكان من جرائها ان تعرض المسيحيون للنهب والقتل (١٢٧) وكاد المسلمون في دمشـــق ان يبطشوا بهم فنهاهم العقلاء (١٢٨) و " تنافرت عواطف الموارنة والدروز حيالها

---

١٢٥) Charles Hallberg, The Suez Canal (N.Y. 1931) p. 70.

١٢٦) قال احمد امين "ولسوء حظ الشرق والغرب معا ان اوروبا فزت الشرق واطلت عليه بوجهها الديني والعسكري : حملات عسكرية ، ارساليات دينية ، مدارس تبشيرية وجميع هذه يعرف الشرق انواع حديثة لحروب صليبية جديدة" احمد امين ، يوم الاسلام ص ١٢١

١٢٧) نقولا الترك ، مذكرات (القاهرة ١٩٥٠) ص ٨٣

١٢٨) كتاب الاحزان ، ص ٢٣

فانسر الموازنة ووقع الذعر في قلوب الدروز (١٢٩) وقال الامير حيدر شهاب " واما اهالي الجبل نفرحوا بقدومهم ... اما مشايخ جبل الدروز والعقال فانهم خافوا جدا من استيلاء الافرنج على عربستان وعزموا على الرحيل الى نواحي حلب والجبل الاعلى وحوران ." (١٣٠) ولم تكن هذه الاولى من نوعها فقد تعرض المسيحيون سابقا لاضطهادات مماثلة عندما تحرش الغرب بالشرق (١٣١)

---

١٢٩) الشدياق ، المصدر نفسه ص ٤٤٩ ، حيدر شهاب ، الجزار ص ١٣٢

١٣٠) واستشف نابليون بثاقب نظره ما ستثيره حملته من تعصب شديد في العالم الاسلامي فكان يكتب الى قواده في عدة مناسبات " مهما فعلتم تأكدوا من ان النصارى في صفكم ، فلا تترددوا اذن في تفضيل المسلمين على النصارى . " وصرح مرة امام الاعيان والعلماء في مصر متوددا للمسلمين " نعم اني اكره النصارى .. لقد حطمت هياكلهم وقتلت قساوستهم ... وعلى الرغم من ذلك فاني اراهم يفرحون لفرحي ويتألمون لالمي ." ويعلق جاك شاكر " ويمكننا ان نستنتج من حوادث هذه الحملة ثلاثة مسائل هامة : اولا - ان احتقار المسلمين للاقباط جعل التفاهم عسيرا ، ثانيا - ان وجود امة مسيحية في مصر اساءت الى العلاقات بين المسلمين والاقباط بالرغم ان هذه الامة كانت مشبعة بروح العطف على الاغلبية ... ، جاك تاجر ، اقباط ومسلمون منذ الفتح العربي الى عام ١٩٢٢ (القاهرة ، ١٩٥١) ص ٢١٣ ، ٢٢٧ .

١٣١) ويروى الشدياق عن ثورة مسلمي بيروت على المسحيين عام ١٧٥٨ من جراء استيلاء احدى سفن القراصنة الاجنبية على سفينة للمسلمين ، الشدياق المصدر نفسه ص ٣٧٦

وبلغت ازمة المسألة الشرقية ذروتها في حرب القرم (١٣٢) • اذ كان لصدى التدخل الروسي في اذلال بني عثمان اثره العميق في العالم الاسلامي عامة والشرق الادنى خاصة ، هذا الصراع في عرفهم حرب متواصلة يشنها المسيحيون لاذلال المسلمين وتعزيز الذميين ، او ليست اسباب الحرب الاخيرة اختلاف المسيحيين فيما بينهم في بيت المقدس ؟ او ليست نتائج هاته الحروب المتوالية امتيازات مستجدة للرعايا الذميين ؟ وقد كانت بالامس استمناحا واستعطاء ؟ فاصبحت فرضا وواجبا ؟ او ليست هذه الحرب سببا للاستنجاد "بالكفار" من افرنسيين وبريطانيين وايطاليين ، فيسرحون ويمرحون في الاستانة نفسها ويعيث بعضهم الفساد والتهتك والالحاد (١٣٣). ثم جرت وراءها ذيول كموتمر باريز والخطوط الهمايونية لهذا ظهرت حوادث منعزلة وحوادث عامة في اضطهاد المسيحيين في كافة انحاء الامبراطورية العثمانية فالهبت واذكت روح التعصب الديني بين الفريقين مما سنلمس اذاه وصداه ، في حوادث لبنان •

---

١٣٢) ظهرت روسيا للميدان والحرب سجال بين الاتراك والنمسا وجيرانها فاخذت روسيا على نفسها منازلة تركيا نيابة عن اوروبا جمعاء واصبحت المسألة الشرقية في القرن الثامن عشر وما بعده وكأنها المسألة التركية الروسية ، وتجسمت المطامع الروسية بعهد كاترين العظمى فاعدت حفيدها لتولي عرش القسطنطينية وجعلت نفسها حامية الارثوذكس وتوالت الاصطدمات وتوالت المعاهدات والامتيازات وكان اشدها وقعا معاهدة كوجك قنارجة ١٧٧٤ التي وصفت بانها مثال رائع للغباوة التركية والمهارة الروسية ولاول مرة تلقى تركيا نفسها باحضان روسيا اتقاء من جيوش محمد علي •

J. Marriot, op. cit., pp.6, 153
Lord Eversely, op. cit., p.224
J. de Hammer, Histoire de L'Empire Ottoman depuis son Origine jusqu'a nos jours, (Paris, 1839) XVL , p. 392.

١٣٣) Henry Dwight, Constantinople and its Problems (N.Y.1901) p. 187

وجاء في كتاب مشهد عيان " وكان المسلمون يسفهون على الدولة عملها عقب حرب القرم وكثر تذمر المسلمين من الدولة وبلغ من حقد المتعصبين انهم تآمروا والفوا الجمعيات السرية ، يطلبون فيها خلع الدولة التركية واستبدالها بدولة تعيد مجد الاسلام والاسترقاق للمسيحيين ".(١٣٤)

قال شاسو : "كان اللبنانيون يراقبون فهوم حرب القرم الممتدة فوق الاستانة كما راقب ايليا من على جبل الكرمل غيمة الشتاء ، وكان لانتصارات السلطان صدى عميق كاد يؤدي الى انفجار في لبنان ".(١٣٥)

وجاء في كتاب " حسر اللثام " وكانت نتيجة حرب القرم شؤما وشرا على بلاد الشام واهلها ذلك ان الاتراك انفوا من عودة بلادهم اليهم على يد الافرنج وخافوا ان يعرف الناس ضعفهم فجعلوا يظلمون ويبطشون بكل من عرف له ميل للافرنج ".(١٣٦)

المجرى الثاني ـ الانتفاضات التحريرية

وكان لاستقلال اليونان اصداء الاستحسان والفرح في العالم الغربي وقابله العالم الشرقي بالسخط الشديد مما ادى الى حوادث مؤلمة في سوريا وسواحل لبنان قال تشرشل : " لقد اثارت ثورة اليونان مخاوف السوريين لا آمالهم ، فان صدى كل انتصار في بلاد اليونان ، كان يسبب الخوف والجزع في قلوب المسيحيين في بيروت وصيدا وغيرهامخافة ان ينتقم الاتراك منهم . وقد صح تخوفهم ، فلما غزا الاروام بيروت وارتد هؤلاء بفضل مساعدة المسيحيين للاتراك ، فرض الاتراك على المسيحيين غرامة واتهموا بمساعدتهم ".(١٣٧) وذكر رتشارد مادن انه كلما تعرضت الامبراطورية

---

١٣٤) مشهد عيان المصدر نفسه ص١٧٠ .

١٣٥) G. Chasseaux, op. cit., p.313.

١٣٦) حسر اللثام ، المصدر نفسه ص١٢٨ .

١٣٧) C. Churchill, Mount Lebanon..., III, p. 384

لخطر خارجي جال في الاذهان ذبح المسيحيين واحيانا نفذت هذه الفكرة ، او منعت ، ويذكر انه بعد معركة " نفارينو " جال بذهن السلطان الفتك بالمسيحيين ولكن فكرة التعقل انتصرت وعوضا عن ذلك رغب باصلاح احوال الرعية .(١٣٨)

وجاء في الشدياق ما يثبت تعرض المسيحيين للخطر آنذاك اذا اتهموا بمساعدة الاروام ، فهاج المسلمون ثائرين للانتقام ولما شعرت النصارى بذلك شرعوا يهربون الى الجبل وقبض المسلمون على من ادركوه منهم (١٣٩) ودب الذعر في الاوروبيين فاغلقت بريطانيا قنصليتها في بيروت وفر قسم من المرسلين الى مالطة . واصدر امير لبنان منشورا مآله انه لا يقبل الاوروبين اللاجئين في مقاطعاته (١٤٠) ولكن رغم ذلك التجأ نفرمنهم الى حمى اللادى استنهوب ،(١٤١) قال جوبلان وظهرت موجة التعصب بثورة اليونان منذ ١٨٢٠ (١٤٢) وكتب مشاقة في الجواب على اقتراح الاحباب وهو شاهد عيان ورجل واسع الثقافة في جيله وواسع الاطلاع ، "ثم صدرت الاوامر السلطانية بقتل المفسدين من كبراء طائفة الروم ، واذلال النصارى في جميع الممالك . وعند ورود الامر لوالي الشام ، عقد مجلسا من اعيانها ، فكان كلامهم ان النصارى عندنا لا يوجد منهم مفسدون ، بل جميعهم ذميون ، سالكون بشروط الذمة فلا تجوز اذيتهم ... وحضرة نبينا اعطاهم العهد الذى فيه يقول من قتل ذميا كنت خصمه يوم القيامة ... فقرّ الحال بان كتبوا عرض محضر للدولة بحسن سلوك النصارى ... وقد اكتفى وزير الشام بالحتم على النصارى ان تكون جميع ملبوساتهم الخارجية ذات الوان قاتمة ... ويوم "المنادات" كان عند محرره (مشاقة) مشايخ بيت الدحداح ويوسف الخورى

---

١٣٨) R. Madden, op. cit., p. 304.

١٣٩) الشدياق المصدر نفسه ص ٥٦٠.

١٤٠) R. Anderson, op. cit., v.1 p. 50.

١٤١) H. Stanhope, op. cit., v.1 p. 54.

١٤٢) M. Jouplain, op. cit., p. 251.

شلغون وغيرهم ولم يعودوا يستطيعون على الخروج للازقة بالاحذية الحمراء حتى استحضرنا الزاج مع خادم توجه للسوق حافيا وصبغناها سوداء ...(١٤٣) ولحسن حظ المسيحيين ان الامر تلي على اعيان دمشق لا على رعاعها ، لان الاعيان قد كبحوا جماح الفتنة في دمشق الا انهم لم يستطيعوا انتزاعها من القلوب فكبتت لتتفجر فيما بعد بفتنة دامية مريرة .

المجرى الثالث ، التدخل الوقائي ، الخط الشريف والخط الهمايوني

ويختلف هذا التدخل بنظر العامة على الاخص بانه اشد التدخلات مرارة ، واكثرها تحديا ، واوقعها اهانة وتحقيرا ، وقد يستساغ الاقتحام العسكرى وقد مارسه الاتراك اجيالا في اوروبا ، وقد تبرر الانتفاضات التحريرية ولا سيما اذا كانت في اطراف الامبراطورية اما هذا التدخل فهو في عقر دار حاضرة الاتراك وفي صميم الحياة الروحية والاجتماعية وهو تحدى للشريعة والتقاليد ، ومنافيا لكرامة الدولة ومجدها . ١٤٤)

---

١٤٣) مشاقة ، الجواب على اقتراح الاحباب ص ٨٠ .
راجع كرد علي ، خطط الشام (دمشق، ١٩٢٧) ج ٣ ص ٢٣٩.

١٤٤) كان الاتراك نظرا لانتصاراتهم السابقة في اوروبا يعتقدون بانهم ارفع من الاوروبيين مقاما وشرفا ، فكانوا يرفضون في ابان عظمتهم انتداب السفراء الى اوروبا متوهمين ان اوروبا بحاجة اليهم لذا يتحتم على الاوروبيين ان يقيموا السفارات في العاصمة التركية . بيهم المصدر نفسه ص١٤٩. واذا قدم السفراء للسلطان هدايا تعتبر ضرائب من "الكفار" ، وكان يقتضي على السفير وقتا طويلا ليحظى بمقابلة السلطان ، وفي هذه الحالة عليه ان يرتدى جلبابا تركيا لاخفاء ملابسه الاوروبية ، وان ينزع سيفه قبل الدخول ولكن عندما ضعفت تركيا ابى السفراء التقيد بهذه الامور وقيل ان اول من ثار على هذه العادة سفير فرنسا اذ ابى ان يخلع سيفه بل رفس الوزير الذى طالبه بذلك

W.Eton , op. cit., pp. 112-114.

ولا ادل على غرور الاتراك وغطرستهم من رواية ذكرها المؤرخ ايتون وقد شاهدها بام عينه في روسيا ، قال سمحت السلطة الروسية لجندى تركي اسيران يتجول في بلدة ما ، فالتقى بضابط روسي في مكان ضيق لا يتسع لاكثر من شخص فطلب الاسير التركي من الضابط ان "يطورق" وقد امتنع الضابط ساخرا ... ثم اطلع الحاكم على الحادثة فسأل الاسير التركي عن سبب سوء تصرفه فقال ولما لا ؟ اليس هو كافرا وانا مؤمن ؟ وقيل خرج التركي وهو يتهدد بانه سينتقم يوما ما من بعض المسيحيين في الاستانة لاهانته آنذاك .

Ibid, p. 166.

وسواء كان مبعث هذه الاصلاحات والتنظيمات تفتح عقلية بعض المسؤولين الاتراك، اما تقليدا بمحمد علي باشا (١٤٥) ،او روسيا (١٤٦) ام استيحاء من بريطانيا او سواها ، لقد شعر الاتراك ازاء ما تكيل لهم روسيا من ضربات ان لا بد من الاصلاح واقتباس بعض عناصر الحضارة الاوروبية . فكان من الطبيعي الشروع باصلاح الجيش اولا ، لهذا شاع المثل القائل "بع سيفك ولو كان يمانيا او وطنيا وأشتر به مسدسا اجنبيا" .

بوادر الاصلاح

وشرع السلاطين بالاصلاح التدريجي وكان اكثرهم جرأة محمود الثاني فابتدأ بالجيش فأباد الانكشارية ومنع لبس العمامة واستبدل بها الطربوش، (١٤٧) وارتدى هو نفسه الملابس الافرنجية واقام الحفلات للسفراء ونسائهم مما لم يعهد له سابقة

---

١٤٥) Frank Bailey, op. cit., p. 33

١٤٦) والدليل ان روسيا وهي الدولة الشرقية مثلهم قد كانت للامس القريب دولة ضعيفة خائرة فما مسها سحر الحضارة الغربية حتى اصبحت تكيل لهم الضربة تلو الضربة والدليل الاخر تفوق محمد علي باشا وانتقاله من نصر الى نصر بفضل القادة الاوروبيين .

١٤٧) واحتج العلماء على لبس الطربوش وهو اجنبي ثم لفوا العمامة حوله على انه لا يزال اسيرا لها .

R. Davey, op. cit., p. 162 footnote

في البلاد العثمانية (١٤٨) وتوسع في الاصلاحات وفتح الباب على مصراعيه بعد ان كانت الابواب مغلقة لمعظم عوامل الحضارة الاوروبية ، لاحتقار الاتراك لها وتخوفهم منها ، وثار الشعب يقاوم هذه الاصلاحات فقتل رئيف محمود بثورة متعصبة ، (١٤٩) ولعن السلطان ، ونعت بانه "غيور" و "كافر" ومات محمود الثاني في غمرة الحوادث وجيوش محمد علي باشا تتابع فلول جيوشه ، فكان يوم وفاته ، يوم مناحة بين الرعايا المسيحيين ، وتولى الحكم بعده عبد المجيد الاول فسار على غرار والده بل ذهب ابعد من ذلك واصدر الخط الشريف .

الخط الشريف ، كليخانة ٣ ت ٢ ، ١٨٣٩ والخط الهمايوني ١٨ شباط سنة ١٨٥٤

ولعل اعظم خطوة واخطرها في مسالك الاصلاحات هو الخط الشريف الذى استهل به عبد المجيد حكمه بتشجيع وزيره رشيد باشا وفيه وعد الخليفة جميع رعاياه بصيانة ارواحهم وشرفهم ، وممتلكاتهم . وبتوزيع عادل للضرائب وجمعها رأسا لا بطريق الالتزام والمساواة امام القانون ، وعلمانية التعليم ، واضعاف المركزية (١٥٠)

---

١٤٨) وقد يضيق البحث ويخرج عن نطاقه اذ ما اسهبنا في اصلاحات هذا الرجل الجسور انشأ ديوان للترجمة بعد ان اصبح اليونانيون غير مرغوب فيهم لثورتهم ، اسس مدرسة طبية على غرار مدارس الغرب ، وثلاث اخرى للزراعة ، والهندسة والبحرية شجع ظهور الجرائد في عصره وانشأ اول جريدة باللغة التركية ، اول من ادخل عربة لبلاده وكان يقودها بنفسه ، اول من ارسل بعثات دبلوماسية منظمة للخارج ، وذكر دفسون انه فكر بانشاء مجلسين "برلمان" على غرار المجالس في اوروبا وان نسخة من مشروعه موجودة في مكتبة الاستانة .

Roderie Davison, op. cit., p. 14.
Richard Davey , op. cit., p. 164f.
R. Madden op. cit., p. 436

١٤٩) رئيف محمود كان سفيرا لتركيا في لندن ، ارسل للخليفة تقريرا عن نظام الحكومة في بريطانيا فاستدعاه الخليفة لتنظيم الدولة فثار عليه الشعب وقتله لانه رجل خطر وذو نظرات واسعة

R. Davison op. cit., p. 15.

١٥٠) I De testa, op. cit., V, 140.

ومع ان الخط الشريف كان بيانا ساذجا في اعين معظم الاوروبيين وهو اقرب للتمنيات منه "للدساتير" او "المرسومات" (١٥١) فقد هز الامبراطورية هزة عنيفة ، ونظرا للتناقض والازدواجية فيه ، فهو يدعو للتجدد ولكن في الوقت نفسه يعزو ضعف الدولة للابتعاد عن تقاليد السلف العظام فاتخذه الرجعيون حجة للتغلغل في رجعيتهم وانعكافهم . واتخذه "التقدميون" دلالة على ضعف الدولة وعلى مقدار ما احيق بهم من غبن وانتشرت الفتن التعصبية في معظم المدن والامصار وتعرض المسيحيون لاسوأ ما تعرضوا اليه سابقا (١٥٢)

الخط الهمايوني

وبعد حرب القرم وقطعا لاسباب التدخل الروسي ضغطت الدول الكبرى على السلطان، فاصدر منشورا اصلاحيا عرف بالخط الهمايوني وكان في الواقع خطة اجرأ واصرح من الخط الشريف، لا ازدواجية فيه ، ودعا للمساواة بين عناصر الامبراطورية ،

---

١٥١) قال تشرشل ما الخطوة الشريفة والهمايونية وما رافقتها من تصريحات ما هي الا بمثابة براميل فارغة القمتها سفن الاتراك للحيتان الاوروبية الهاء وخداعا عنها .

C. Churchill, The Druzes and the Maronites...., p. 2.

١٥٢) وقال هملن لقد هز الخط الشريف العاصفو الامبراطورية العثمانية في فترات متنوعة نحوا من اربعين سنة .

C.Hamlin op. cit., p. 66.
Anon, The Ottoman Empire : The Sultans, The Territory and the People, (London, 1799) p. 225.
Driault, L'Egypt et L'Europe I Lettres 79 II Lettres pp. 9,57,95. (Quoted by R. Davison op. cit., p. 23).

من حيث الضرائب ، والتجنيد العسكرى واصلاح جهاز الدولة ، وكان هذا "الخط الهمايوني "بمثابة انقلاب خطير قاومه المتعصبون من المسيحيين انفسهم ومن المسلمين ، ففضل المسيحيون " دفع بدل الخدمة العسكرية " على الانخراط في الجندية وقاومه البطاركة والمطارنة لانه يحدد من سلطتهم ، (١٥٣)

ولكن مع ذلك فقد كان الخط الشريف والخط الهمايوني بمثابة تربية او ثقافة سياسية للشعب، وتنويرا لمعرفة حقوقهم وتهيأة لثورة في اذهانهم وتفكيرهم واحوالهم (١٥٤) فثاروا وانتشرت الفتن والمذابح ، وكما جاء في تاريخ كمبرد ج "قليلة هي فترات الحكم التي بلغت فيها الفتن والمذابح على مثل هذه الشدة والكثرة ". (١٥٥)

المجرى الرابع ـ الاقتحام الحضارى

قال ايتون الى اواخر القرن الثامن عشر بقيت تركيا متأخرة نحو مئتين سنة عن اوروبا ، فشكل العجلات مثلا لم يكن معروفا في البلاد ، والطباعة كذلك الا في لبنان ، وقال د. فولاى "الى اوائل القرن التاسع عشر ظلت السلطنة تقاوم كل الافكار الحديثة دون الاهتمام بما يجرى وراءها ". فالتمدن في زعمها تجدد من عمل الاعداء ، الاعداء في السياسة والدين . ولكن ما انقضى الربع الاول من القرن التاسع عشر حتى تغيرت الاوضاع تغييرا كبيرا بفضل السياسة التي اتبعها السلاطين منذ مستهل القرن التاسع عشر فانفتحت نوافذ الامبراطورية للحضارة الاوروبية ، فكثرت الجاليات الاوروبية (١٥٦) والبعثات الى الخارج ، وظهرت الطباعة وتعددت الجرائد (١٥٧)

---

١٥٣) R. Davison, op. cit., pp. 30-41

١٥٤) C. Hamlin , op. cit., p. 268.

١٥٥) "The Levant" Article in the Cambridge Modern History(Cambridge 1909) , XI, p. 275.

١٥٦) بلغ عدد الاوروبيين في الاستانة وما حولها نحو خمسين الف
R. Davison, op. cit., p. 94.
كان عدد الجرائد في الاستانة عام ١٨٥٣ ، اربع جرائد افرنسية ، و ٤ ايطالية وواحدة في كل من اللغات الانكليزية والبلغارية واليونانية والارمنية .

١٥٧) R. Madden op. cit., p. 436.

وشيدت المعاهد ، ومنها "الجامعة الاوروبية" فتحها اليونان مدرسة علمانية، فقاومها رجال الدين بشدة (١٥٨) وادخل التلغراف اثناء حرب القرم (١٥٩) وظهرت الماسونية في الاستانة عام ١٨٥٧ وكان لها التأثير الكبير في حركة جمعية تركيا الفتاة (١٦٠) ومن اطرف الجماعات التي ظهرت في العاصمة واثارت استياء الاتراك واهتمامهم ، جماعة "سان سيمون الاشتراكيين" حيث شرعوا بنشر مبادئهم في ٢٤ نيسان ١٨٣٣ فكونت نوعا جديدا من التحدى (١٦١) ، وكان من ذيول حرب القرم وتساهل الاتراك ان بقي في الاستانة عدد من الجنود الاجانب يسرحون ويمرحون ويتخطون اللياقة والكياسة فيخطبون جهرا مهاجمين المسلمين والقرآن (١٦٢) وسرعان ما اعلن الخط الهمايوني حتى تحولت احدى الهيئات التبشيرية من تبشير المسيحيين الى تبشير المسلمين انفسهم وتنصيرهم فاضرمت نار التعصب مجددا ، وكان من الاعمال التي تدل على الجهل والحماقة ما فعله احد المبشرين باصداره كتابا يهاجم فيه الدين الاسلامي (١٦٣) وكان من نتائج تسرب بعض عناصر الحضارة الاوروبية ان ظهرت فئة من شبيبة الاتراك تنكرت لتقاليد البلاد ، واقتبست مظاهر الحضارة الاوروبية ، واصبحت اللغة الافرنسية من مستلزمات الرقي والتأنق، فقال احد الاباء عن ابنائه افضل لو اعتنق ابني النصرانية على ان يتجه هذا الاتجاه الاوروبي الفاسد "A la Franca" ويلاحظ احد الكتاب المعاصرين كثرة انتشار الالحاد بين الشبيبة . فقال احدهم لقد اصبحت عقلية الاتراك في القرن التاسع ولا سيما في العاصمة مؤلفة من مزيج عجيب يجمع بين اقدم التقاليد الاسلامية ، الى احدث

---

(١٥٨) J. Reid, Turkey and the Turks: Being the Present State of Ottoman Empire, (London 1840) p. 267.

(١٥٩) R. Davison, op. cit, p. 99.

(١٦٠) Ibid.,

(١٦١) E.D.Prime, op. cit. p. 151.

(١٦٢) Ibid., p.432

(١٦٣) C. Hamlin op. cit., p. 92.

الافكار الافرنسية العلمانية (١٦٤) وتولد عن هذا المزيج تفاعل خطر، وازاء هذا التحدى انقسم الاتراك الى ثلاث فئات كبرى، الفئة الاولى "فئة المتجددين" المتطرفين فئة "الا فرنكا" وفئة المعتدلين تحاول "التوافق" والانسجام بين الحديث والقديم، والفئة الثالثة فئة الانعكافيين والانكفائيين التي هبت تدافع عن الدين وتقاوم هذا التدخل الاوروبي بجميع وسائله وطرقه، وتزعمت هذه الفئة شخصيات رسمية كبيرة من رجال البلاط ورجال الدين، وقد لعب الدراويش دورا هاما فيها، والى هذه الفئة الرجعية ترجع معظم المصادر اسباب الثورات والفتن .

---

١٦٤) Turkey and practically its capital was in these years the focal point for influences ranging from the oldest moslem lore to the most recent French secular thought.
R. Davison, op. cit., Introduction , p. IX.

الفصـل الثـالـث

تأثير هذه العوامل في الوضع الطائفي في لبنان

١ ـ الحملـة المصـرية :

تشجع الامير بشير الكبير على المجاهرة بمسيحيته وتحيزه للموارنة:

يؤخذ من مجمل المصادر ان الامير بشير ومن سبقه من الامراء كانوا يحترمون ويجارون جميع الطوائف. فكان احدهم كما قيل عنه، درزيا مع الدروز ونصرانيا مع النصارى ومسلما مع المسلمين.(١) ويستدلون على ذلك بانه كان في قصر الامير خلوة وكنيسة ومسجد. وقيل انه اذا ما ولد ولد للامراء نصره الاكليروس واذا ما ترعرع سلمه للمسلمين لاجراء عملية الختان. واذا مات الامير سلم نعشه للدروز. لذا ردد اكثر من واحد من الاوروبيين الذين زاروا البلاد المثل المأثور (٢) "ان الشهابيين يولدون مسيحيين ويعيشون مسلمين ويموتون دروزا" (٣) وان جرى القول المأثور ان الشعوب على دين ملوكها فقد صح العكس في لبنان فان الامراء كانوا احيانا على دين شعوبهم

---

١ ـ M. Jouplain, op. cit. p.173.

٢ ـ H. Guys, op.cit., II, p.53.

٣ ـ F. Perrier, op.cit., p.347.

قيل ان ابراهيم باشا لما سمع هذا القول المأثور سأل حنا البحرى والان على اى دين تعتقد الامير بشير فاجاب الداهية المسيحية على دين مولاى، يا سيدى، فخجل ابراهيم باشا لانه لم يكن له من دين خاص.

٤ ـ H. Guys, op.cit., p.

وباعتقاد اللادى ستنهوب ان الامير الكبير لم يكن له من دين خاص في اول حياته ولا سياسة خاصة فهو افرنسي مع الافرنسيين وبريطاني مع البريطانيين وترك مع الاتراك.

ويعتقد بوركهارت ان الامراء تنصروا ليكتسبوا ود النصارى وتظاهروا بالاسلام ارضاء لولاة عكا، وقد ساور عبد الله باشا شك احيانا في تدين بعضهم فارسل "ملى" لمراقبة صحة اسلامهم.(٥)

ويظهر ان الامير بشير الكبير اخترس في مستهل حكمه، بمعتقده ارضاء للجميع وقد خرج عن هذا الاحتراس اثناء الحكم المصرى ويقال ان الباشا احْرجه فاخرجه، لاجهار معتقده لاغراض سياسية.(٦)

ويرى بوركهارت يد بطرس كرامة الكاثوليكي بهذا الامر ولاسيما ان بينه وبين حنا البحرى صلة نسب وطن.(٧)

ويرجح ان ابراهيم باشا عندما قلب له الدروز ظهر المجن، رغب ان يستغل العاطفة الدينية، وحب المسيحيين له تقديرا لما منحهم من الامتيازات، اوعز للامير ان يجهر بمسيحيته بل هدده ان لم يفعل ذلك.(٨)

وقد علق المؤرخون اهمية كبرى على هذا التحول المكشوف. قال بوركهارت "لولا اعتناق الامير بشير المسيحية لما اجتاح محمد على باشا سوريا سنة ١٨٣٢. ولولا الحوادث الست.. لما نشبت بلك الحرب الدينية في لبنان واصبح هذا البلد بين فرنسا وبريطانيا كما كانت صقلية بين روما وبريطانيا.(٩) ثم قال مبالغا لو اخلص

---

٥ - D. Urquhart, op.cit. I, p.154.

٦ - F. Perrier, op. cit., p.348.

٧ - D. Urquhart, op.cit., v.I, p.157.

٨ - Ibid.

٩ - Ibid., I., p.158.

الامير بشير لسلطانه لهان على محمد علي باشا ان يغزو القمر من ان يفتح سوريا(١٠) وليس من الانصاف ان يحمل الامير وزر عائلته فان تنصر اسلافه قد اضاع التوازن الطائفي في الجبل.(١١) كتب تشرشل في عام ١٧٥٦ حدثت حادثة غيرت مجرى

---

١٠ — Ibid., II, p.112.

ويشارك تشرشل المستر بوركهارت في هذا الرأى فيقول ومهما كانت نتائج الحملة فان استقبال امير لبنان لابراهيم باشا ضمنت له الخطوات الاولى نحو انشاء امبراطورية شرقية — لان الباشا يعرف اذا قبل لبنان تأييده فان سوريا باسرها ستخر جاثية امام مواطئ قدميه.

C. Churchill, Mount Lebanon... III, p.339.
Ibid. p.393.

١١ — يعزى تنصر الشهابيين الى اسباب سياسية اما هنرى غيز فيرى ان والد الامير بشير الكبير كان معجبا جدا بالثقافة الاروبية والعقلية الاروبية وعندما اظهر اعجابه لاحد البطاركة قال له اذا كنتم تسلمون ان الاروبيين متفقون الى هذا الحد، فكيف يمكنكم الاعتقاد انهم اتبعوا دينا وهم يجهلونه، فاجاب تعمدني فورا".

H. Guys, op.cit., II, p.153.

ويذكر الشدياق انه في عام ١٧٥٤ نصر الخورى مخائيل الامير حيدر الشهابي ثم تبعه اكثر الشهابيين ثم الامراء اللمعيون.
الشدياق، اخبار الاعيان، ص ٣٧٥.

ويروى شيخو ان الشهابيين تنصروا في القرن الثامن عشر، حينما اعتنق الامير عبد الله الشهابي على ايدى الاباء الكبوشيين.
الاب لويس شيخو، بيروت تاريخها واثارها، (الاباء اليسوعيون، ١٩٢٥)

اوليس هذا دليلا اخر على التدخل الاجنبي الديني وتأثيره.

العلاقات بين الدروز والموارنة وأثرت ليس في مستقبل الشهابيين انفسهم بل في مستقبل الجبل نفسه وهو تنصر آل الشهابيين .[١٢] وكتب شاهد عيان "ان تنصر الامير كان حدثا مهما في الشرق . فقد ارتعدت فرائص المؤمنين غضباً من تنصر الامراء وهم ينتمون الى اشرف العائلات العربية ، واحداهما ترجع بنسبها الى العائلة النبوية ."[١٣]

ومهما يكن من امر فان تنصر الشهابيين بعد ان كانوا يدينون بمذهب مغاير لمذهب الطائفتين الكبيرتين ، قد افقد عنصر التوازن بينهما . ونقم الدروز على ذلك وازدادت نقمتهم حينما كشف الامير عن تنصره ويتجلى لنا غضبة الدروز بما كتبه ابو شقرا وهو معاصر للحوادث قال : "ولم يكن تنصره المكشوف الا نكاية الى النصارى ، حتى ترك دينه الاسلامي الذى ولد فيه ، وشب عليه ، واعتز به ، مارقا منه الى الدين المسيحي . ومما زاد غضب الدروز وحقدهم ان الداء لم يلبث ان سرت عدواه الى الامراء اللمعيين ، سادة المتن ، الذين كانوا دروزا فحذوا حذو الشهابيين بالمروق الى الديانة المسيحية ." ثم قال : "فهو الذى حمل اللبنانيين على نبذ التحزب السلالي ظهريا والتمسك بالتحزبات الطائفية . تلك السياسة التي اتخذها ذريعة لاستبداده ... وكان يعزز جانب الفئة المسيحية ، وجاهد في توطيد دعائم النصرانية في البلاد فبذرت بذلك بذور الحسد وتأصلت في افئدتهم بذور البغض والمشاحنة ."

---

١٢ — C. Churchil, The Druzes and Maronites..., p.22.

ان تنصر الامير بشير وموته مسيحيا مما لا شك فيه ولكن المختلف عليه متى الامير بشير اعتنق المسيحية او جاهر بها وفي الارارق اللبنانية ليوسف يزبك نظريات مختلفة كتبها افراد لهم اطلاع واهتمام بالتاريخ اللبناني .

١٣ — ابو شقرا ، المصدر نفسه ، ص ٨ .

١٤ — المصدر نفسه ، ص ٢٦ .

ويروى ابو شقرا امثلة عديدة على تحيزه للمسيحيين "وقد كان في النصارى من لا يستحرمون الحرام ،فيرفعون على بعض الدروز دعاوى بهتانية"... "وكان الامير وابناؤه يدفعونهم ايضا لتقديم مثل تلك الدعاوى. وحين يعرض له دعوى نصراني على درزى يصدر في الحال الاوامر المشددة بتحصيل ما يدّعون به ، ويزعمونه حقوقا لهم. وكان يقوم بتنفيذ ذلك خيالته الذين كانوا يسمون "الحوالية" وكان جميعهم من طائفة النصارى".(١٥) ويؤيد المعلوف بعض هذه التهم بتحيز الامير الى النصارى(١٦) تمشيا على سياسة معلمه محمد على باشا.(١٧) ويؤخذ على ابي شقرا انه كتب او املى مذكراته بعد مدة من الوقت وهو رجل امي. ولا يخلو اسلوبه من اللهجة "العنترية" ولكن يستدل مما مر ذكره ومن بعض المصادر ان الامير كان درزيا(١٨) وتظاهر بالاسلام واعتنق النصرانية ثم احتضن المارونية وربما بالغ بعطفه عليها مما اثار حسد وحقد الطوائف الاخرى. ويظهر ان اعتناقه المارونية حدث بين ١٨١٧ و١٨٣٥ وهو العام الذى استلم فيه رسالة

---

١٥ - المكان نفسه ،

١٦ - معلوف ، زحلة ، ص ١٥٨.

١٧ - D. Urquhart, op.cit., I, p.112.

١٨ - رستم ، بشير بين السلطان والعزيز ، ص ١٧

ويذكر عارف ابو شقرا قول عارف النكدى بمحاضرة له (...جاء الامير بشير الى حكم لبنان درزيا ، ثم مسلما سنيا ، ثم مسيحيا ثم مارونيا متعصبا...)

تعليق لعارف ابو شقرا عن دين الامير. الاوراق اللبنانية ، الجزء الخامس ، (سنة ١٩٥٦) ، ص ٢٠٢.

من قداسة البابا يشكره على اهتمامه بالموارنة واحتضانه الكثلكة.[١٩]

بطش الامير بشير الكبير بالاقطاع وسوء الامراء الشهابيين للدروز :

ويظهر ان الامير بشير بعد ان توفي الجزار وتوطدت علاقاته مع عبد الله باشا وصداقته مع محمد علي باشا عزم على دعم سلطته بالجبل ، فشرع يهدم ويفتك برجالات الاقطاع ضاربا بعضها ببعض. فاضعف العائلة النكدية والعمادية على يد صديقه الشيخ بشير جنبلاط.[٢٠] ثم وزع املاك البعض على اولاده واصحابه. وكما قال هنري غيز "اخذ الشهابيون ينمون املاكهم باقامة انفسهم ورثة للعائلات المنقرضة".[٢١]

---

١٩ — من رسالة قداسة البابا بتاريخ ١٥ شباط سنة ١٨١٧ الى الامير وليس فيها ما يشير الى تنصره. اما الرسالة الثانية بتاريخ ١٠ تشرين الثاني سنة ١٨٣٥ من قداسة البابا غريغوريوس السادس عشر ، من مخطوطات الكرسي البطريركي مترجمة عن اللاتنية جاء فيها "انه لقد اتصح لنا مرارا عديدة من مجمعنا ، مجمع انتشار الايمان ومن القصاد الرسوليين ومن بقية رؤساء الكنيسة في سوريا عن غيرتكم وحمايتكم الخصوصية التي بها ايها الابن الحبيب والامير المعظم تعلنون عن احتضانكم وحمايتكم للايمان الكاثوليكي ... ومن ثم اننا مرسلون لكم شخص المسيح من فضة... مع جزء من عود صليب السيد الموقر... وايقونة من ذهب... واخيرا مرسلون مسبحة للصلاة مغفرة التي نرغب ان تتسلم الى قرينتكم ابنتنا الحبيبة بالمسيح الكلية الشفقة... ثم نناشدكم بالرب ان تظهروا بكل عناية غيرتكم الفعالة التي اظهرتموها نحو الديانة الكاثوليكية ونحو خدامها وبنوع خاص نحو القاصد الرسولي .....

الامير حيدر شهاب ، المصدر نفسه ، ص ٢٣٦. يعتقد انه تنصر عام ١٨٢٧ ، او ١٨٢٨.

٢٠ — رستم ، بشير بين السلطان والعزيز ، ص ٨. ابو شقرا ، المصدر نفسه ص ١١.

٢١ — المصدر نفسه ، ص ٧. باز ، المصدر نفسه ، ص ١١٣.

وسواء كانت هذه السياسة مستوحاة من طبيعته وحبه للسلطة والاثره ، او من اختباراته في الحياة ، وعبر التاريخ ، فقد نهج على غرار سياسة محمد علي تجاه المماليك ، وربما بايعاز منه تمهيدا للحملة المصرية.(٢٢)

ولقد استغل الامير الاحتلال المصري فأتم مهمته بالقضاء على نفوذ الاقطاعيين من الطائفتين ويرى البعض بنقل عاصمته من دير القمر الى بيت الدين مغزى خاصا للابتعاد عن تأثير العائلة النكدية وغيرها .(٢٣)

---

٢٢ — ويذكر الامير حيدر شهاب ان اضطهاد الامير بشير للشيخ بشير قد كان مما القاه في اسماعه محمد على ان يضطهد الاعيان ويذلهم وما غاية حاكم مصر الا ان يتخلص من المعارضين لمقاصده فلا يجد في سوريا مقاوما او معاندا".
الامير حيدر شهاب ، ص ٢٦٤ .
لوصف شخصية الامير يراجع مقال بقلم اوجين بوره . في كتاب غيز .

H. Guys, op.cit. II, p.289

C. Churchill, Mount Lebanon..., III, p.322.

H. Stanhope, op. cit. III, p.484

٢٣ — وقد جاء في كتاب الجواب على اقتراح الاحباب لمشاقة ،"كان الامير قد صغرت نفسه من تصرفاتهم لانه يقيم في دير القمر كرسي الحكومة واما رجالها وحكمها الخصوصى فهو للمشايخ النكدية فلو اذنب انسان في باب سراى الحكومة فلا يسمح لاتباع الامير بلحقوه لقاطع الماء ومسكه ، ص ٣٤ .

ومهما يكن من امر فان نتائج حكم الامير بشير في هذه الفترة كان لها الاثر البعيد في تاريخ الجبل ، بين الاختلال المصرى وحوادث الستين ، بل في تاريخ لبنان الحديث والتمهيد لحوادث مؤلمة ومهمة. فهو اول من فتك وبطش برجالات الاقطاع واغتصب معظم املاكهم. وشتت بعضهم في ديار النفي فلما عاد هؤلاء بعد سقوطه ، زعزعوا حكم سلفه واسقطوه وطردوه وباشروا لاسترداد ما اضاعوا من نفوذ وثروة.

ثانيا :— وبما ان اكثرية رجالات الاقطاع ذوى النفوذ كانوا دروزا وكانوا على علاقات مستمرة معه ، لقربهم من مقر سلطته ولحاجته اليهم ، فان الفتك بهم قد فسره البعض تفسيرا طائفيا " ان صح التعبير ، ولاسيما بعد ان ظهر تنصر الامير. وازداد اتصالا بالاكليروس الماروني فاعتبر عمله محاولة من زعماء المسيحيين لاضعاف الطائفة الاخرى ، مما دفع بالدروز ان يولوا وجوهم شطر المرسلين الانجيليين وبالتالي نحو بريطانيا. فحقد الدروز عليه وعلى اسرته جمعاء. وجاء في المراسلات البريطانية الدبلوماسية ما يشير الى هذا القول "ففي ٢٤ اذار ١٨٦١ قدمت معظم العائلات الدرزية معروضا للقنصل البريطاني تلتمس منه عدم عودة الشهابيين للحكم قائلين انهم هم اول من غذوا روح البغضاء بين الطائفتين."(٢٤)

ثالثا :— اثار مخاوف الاتراك وقلقهم وأبرز خطورة وضع لبنان الخاص وتاثير وضعه الستراتيجي فعمدوا الى الغاء وضعه الخاص.(٢٥)

رابعا :— قضى على الحكم التقليدى في لبنان ، وهو الامارة ، فاوجد ازمة حكم فرخت وترعرعت فيها عوامل الفوضى والهدم.(٢٦)

---

٢٤ — ابو شقرا ، المصدر نفسه ، ص ٢٦.

Great Britain & Foreign Office. Correspondance Relating to the Affairs of Syria.., II, p.21.

٢٥ — المحررات السياسية ج ١ ، ص ٢٦٧.

٢٦ — يقول هنرى غيز "جدير بنا ان نلاحظ بان خلع الامير بشير كان يخفي تحت الظواهر السياسية فكرة دينية. كان يؤمل بهذا العمل دك الكثلكة وهدم نفوذ فرنسا القديم العهد في وقت معا." H. Guys, op.cit. II, p.309.

خامسا :- اوسع المجال للتدخل الاجنبي بصورة سافرة.
سادسا :- اثار الطبقة العامة بما ارهقها من ضرائب كلما ارغم على الاستقالة للعودة للحكم.

اختلاف البشيرين :

قال احدهم ،" ولكن الكارثة التي هزت مشاعر الدروز هو فتك الامير بالشيخ بشير جنبلاط لان كان له عندهم اسمى مقام".(٢٧) ومهما تكن اسباب

---

٢٧ ـ سليمان ابو عز الدين. ابراهيم باشا في سوريا ، (بيروت ، ١٩٢٤) ص ٤٦.

لقد تضاربت الاقوال بالاسباب التي ادت الى اختلافهما. فقال هنري غيزانه كان يقف من الامير موقف الند ،لا كاحد الرعايا فثروته الضخمة التي قيل انه كان يملك ثمن لبنان ونحو ٦ اقاليم و٢٨ قرية وقيادته الجيوش بصفته زعيم الامة الدرزية كانت قد اكسبته سلطة ثانية في الجبل ، ويذكر ابو شقرا ان الشيخ كان يحلم بتولي الحكم في لبنان ويرى جمع الدروز في منطقة واحدة فيأتي بدروز حلب ويسكنهم البقاع ودروز فلسطين في جزين ويتم له انشاء منطقة درزية تمتد من البحر شرقا الى جبل حوران. وقيل ان الشيخ بشير اعتقد بان تنصر الامير افقده صفة الحاكم المحايد لان المتعارف ان يكون الحاكم مسلما لهذا فكر الشيخ باعتناق المذهب السني فبنى جامعا وكان يصلي فيه على مرآى من الجمهور. وجاءت هذه الرواية في الشدياق وفي مشاقة وفي بوركهارت ، ويشير الامير حيدر شهاب الى هذه النظرية فيقول "وما لجّ الامير في اضطهاد الشيخ بشير والسعي في قتله الا انه داخله الوهم ان الشيخ عامل على اختلاس منصبه مع ان ذلك الفكر لم يمر ببال الشيخ ..لان مناصب لبنان لا ترضى به فلا تطيق ان يسود فيها من هو قرينها وان الشيخ يعرف ذلك حق المعرفة." شهاب ، تاريخ الجزار ، ص ٢٧٥.

الشدياق ، المصدر نفسه ، ص ٤٩٣.

ابو شقرا ، المصدر نفسه ، ص ١٤ ، ١١ ، ١٨.

مشاقة ، الجواب على اقتراح الاحباب ، ص ٦٦ ، ٩٤.

H. Guys, op.cit., II, p.79.
D. Urquhart, op.cit., I, p.135. Ibid., II, p.91.
H. Stanhope, op.cit. I, p.100.

الاختلاف فان طموحهما والتنافس بينهما ادى كما قال شاسو الى درجة "ان سلامة احدهما تقتضي هلاك الاخر". (٢٨) ولعل تدخل رجال الدين بين الفريقين كان من شأنه كما قال مشاقة ان يوسع شقة الخلاف بين البشيرين. (٢٩) اخذ كل منهما يستعد للنزال والحرب فتجمعت جيوش الشيخ في المختارة ولاول مرة نسمح تلميحا الى جبهتين ، دروز ونصارى ، فيقول الشدياق "واشاع بعض الغايات ان حركة المختارة هي لتسلط الدروز على النصارى ، لينفروا الناس من الذهاب اليها". (٣٠)

واستنجد الامير بالباشا فتحمس بارسال عشرة آلاف جندى وامده عبد الله باشا بالجند فانكسرت انصار الشيخ ، فهرب ثم قبض عليه في دمشق بمكيدة وارسل الى عبد الله باشا في عكا فاعدمه في ٢٥ ايارسنة ١٨٢٥ ، بايعاز من حاكم مصر. (٣١) وسرعان ما الغم الامير جامع الشيخ بالبارود ودكه دكا. (٣٢) ويذكر تشرشل ان الامير نسف الجامع ودك القصر الفخم في المختارة واستعمل حجارته الثمينة لبناء قصر بيت الدين. (٣٣)

وكانت هذه النكبة الاليمة المسمار الاول في نعش صداقة الطائفتين فاثارت كره الدروز للشهابيين (٣٤) وملأت القلوب بالاحقاد. (٣٥) ولم يغفر الدروز هذا الاثم الفظيع للشهابيين بل حاولوا فيما بعد في معظم المناسبات منع اعادة الامارة الشهابية للحكم.

---

٢٨ — G. Chasseaux, op. cit. p.22.

٢٩ — مشاقة ، الجواب على اقتراح الاحباب ، ص ٩٤.

٣٠ — الشدياق ، المصدر نفسه ، ص ٥٥١.

٣١ — قيل ان الباشا ارسل مركبا خاصا للاسراع باعدامه.
C. Churchill, Mount Lebanon..., III, p.378.

٣٢ — ابو شقرا ، المصدر نفسه ، ص ١٥.

٣٣ — C. Churchill, Mount Lebanon..., III, p.33.

٣٤ — C. Churchill, Druzes and Maronites..., p.36.

٣٥ — الشدياق ، المصدر نفسه ، ص ٦٠١.

ويمكن الاستدلال من مختلف هذه الروايات ان تنصر الامير حمل الشيخ على منافسته الحكم او شجعه ، ومن المحتمل ان يكون الامير نفذ الامر بايعـاز او استحاء من الباشا لنسف العراقيل الكبرى من طريق الجيش المصرى كما مر.

سوء تصرف الامير بشير الثالث مع الدروز

وفرضت الظروف ان يكون الامير بشير الثالث خلف للامير الكبير.(٣٦) ومن سوء حظ الامير العاشر ، وسوء حظ البلاد انه تولاها بعد ان عرفت وخبرت نظام ادهى رجلي العصر في الشرق الادنى وهما ابرهيم باشا والامير بشير الكبير. قال جوبلان ، "ان لم يكن الامير بشير محبوبا فقد كان مرهوبا ، اما هذا فلا هـو بالمحبوب ولا هو بالمرهوب". (٣٧) ولعل اظرف وصف له في مخطوطة ابكاريوس وقد كتبها سجعا قال ، "وتولى مكانه الامير بشير الثالث ابن عمه ، الذى كان مسمى باسمه ، ولكن لم يكن له من محاسن جسمه ، ولا من جودة اخلاقه ، فاستخدم اوباش الناس ، ورفض عمدا الطوائف ذوى الباس ، وكان لا يكرم اصحاب المراتب ، ويسيء معهم الادب ، فاشتعلت في قلوبهم نيران الغضب ، اضمروا السوء والعطب ، حتى حاصروه في دير القمر.. ولما خرج ابراهيم باشا من سوريا وتولى الامير بشير الثالث ولم يكن له قدر وانعام ، اخذوا يدبرون على هلاكه واهلاك الامة العيساوية ، وعاضدهم على ذلك بعض رجال الدولة العلية ، كيدا من النصارى لاجل تمسكهم بالفرنساوية". (٣٨)

---

٣٦ ــ تولى الحكم بايعاز من بريطانيا ، راجع كتاب ريتشارد وود التاريخي الى الامير بشير الثالث ، مخطوطة تنشر لاول مرة. اوراق لبنانية ، ج ١ ، كانون ثاني ، سنة ١٩٥٥.

٣٧ ــ M. Jouplain, op. cit. p.254.

وقال تشرشل وكان قليل الكياسة كثير الهزل ، غليظ الكلام مع مشايخ الدروز الذين تأبى طبائعهم وادابهم الغلاظة ، لاسيما وقد اعتادوا الرزانة وحرمة الجانب من الامير بشير فباتوا ينظرون الى المسيحيين شزرا.

C. Churchill, Druzes and Maronites...., p.37.

٣٨ ــ اسكندر ابكاريوس ، نوادر الزمان في ملاحم جبل لبنان ، (سنة ١٨٦٠) مخطوطة في الجامعة الاميركية ، ص ١٨ ــ ٢٠.

"وبعد انسحاب ابراهيم باشا من سوريا عاد فريق من زعماء الدروز من مصر الى لبنان وهم في طريقهم اليه بيافا . فخرج اللبنانيون الى ملاقتهم يطلقون النار فرحا ، وفي صباح اليوم التالي ذهبوا الى مقر الامير للسلام عليه ، فاخذ يوبخهم على لبسهم خلع الباشا المصرية ثم امر ان تنزع منهم النياشين والخلع ، فانصرفوا من عنده يبطنون له الغيظ ويكتمون في قلوبهم نار الحقد والعدوان". (٣٩) ويؤيد مشاقة هذا بقوله "ووافق هذا عدم لياقة الامير بشير قاسم لكثرة هزله وفحش كلامه مع كبراء الدروز حول كون طباعهم تأبى ذلك سيما وانهم قد نشأوا بمدة بشير الكبير الذى لم يعهدوا منه هزلا ولا كلمة غير لائقة". (٤٠)

ومما يحكى عنه "انه كتب الى اصحاب المقاطعات ان يوافوه مع رؤساء العشائر الى عيناب.. فوصل نعمان بك جنبلاط وناصيف بك نكد في موكب فخم . فساءت تلك المشاهد الامير فقال الامير لنعمان بك "ما لهولاء المشايخ "الكلاب" يستحضرون معهم مجريات بنات آوى" فقيل ان نعمان بك اجابه بقسوة وهدده بالقتل". (٤١)

ومن اشنع التهم التي الصقت بالامير انه اوعز لرجاله بقتل الاميرة حبوس الارسلانية بسبب اختلاف على مزرعة من المزارع وكان قتلها ولاسيما كونها امرأة امرا جسيما وخطبا فادحا وهي من الاميرات المشهورات ...وكان قتلها من البواعث الاولية على نفخ اضرام نار الفتنة في لبنان وحصول المحاربة الاولى بين الدروز والنصارى المسماة بالحركة الاولى . (٤٢)

---

٣٩ ــ خليل همام فايز ، ابو سمرا غانم او البطل اللبناني (القاهرة ، ١٩٠٥) ، ص ٦٦ .

٤٠ ــ مشاقة ، الجواب على اقتراح الاحباب ، ص ١٥٥ .

٤١ ــ ابو شقرا ، المصدر نفسه ، ص ٣٥ .

٤٢ ــ ابو شقرا ، المصدر نفسه ، ص ٣٤ .

ومن جراء حروب ابراهيم باشا اضطرت بعض العائلات الدرزية وهـي بدون رجالها ان تبيع بعض الاراضي باثمان بخسة ، فرجع الدروز يثيرون المشاكل القانونية وغير القانونية بحق استرجاعها فتعقدت وتضاعفت المشاكل بينـهم وبين المسيحيين فتولدت الاحقاد .(٤٣)

---

٤٣ ـ وجاء في الكتاب الازرق ١٨٤٣ عن الكولونيل روز بتاريخ ١٨٤١ انـه كثيرا ما كانت تنشب الفتن بسبب ملكية الارض وامر تافهة وكان الدروز فيها المعتدين بتحريض الاتراك .

D. Urquhart, op.cit., II, p.397.

اغراء الموارنة على محاربة الدروز دفاعا عن المصريين

والفاتح العظيم الذى دفع بجيوشه المنتصرة حتى ابواب الاستانة ، ادهشته جرأة الدروز ومهارتهم في الحرب فاشغلت جيوشه سبعة اشهر ، وانزلت بها خسائر جسيمة. (٤٤) لهذا رغب ان يستعين بالموارنة وهم ادرى بمسالك الجبل ومهالكه فاتخذ منهم معاونين لتفتيش القرى الدرزية ولجمع الاسلحة. (٤٥) "منهم قادة مرشدين لمهاجمة القرى الدرزية ثم ينعم على الموارنة بعدد وافر من الاسلحة قائلا هذه

---

٤٤ — يقدر ابو عز الدين الخسائر بعشر الاف. سليمان ابو عز الدين ، ابراهيم باشا في سوريا ، (بيروت ، ١٩٢٩) ، ص ٦٥٤.

تعددت الاراء بخصوص الاسباب التي حملت الدروز على الثورة على حكم ابراهيم باشا فقد جاء في المحفوظات الملكية المصرية "حاول ابراهيم باشا فرض نظام التجنيد على الدروز فرفضوا لا خوفا او جبنا وهم معروفون بشجاعتهم ولكن لاسباب دينية وخوفا على شبيبتهم ان يفسدها الاختلاط الاجبارى مع غيرهم وقد عرضوا على الباشا مساعدته عن طريق ما الفوه من الحروب فلم يرضى فثاروا عليه. رستم المحفوظات الملكية المصرية ، ج ٣ ، ص ١٦ ، رقم ٤٠٩٢. ولا ندرى كيف نوفق بين هذه النظرية وقول معظم المرسلين الاميركيين بان الدروز كانوا على وشك ان يعتنقوا الانجيلية ويتركوا دينهم تلافيا من الدخول في "النظام". فهل كان الدروز يقدمون على ذلك تمويها ونوعا من "التقية" مما حمل المرسلين على ان يتريثوا بقبولهم ؟ والظاهر ان الدروز ابو ان يكونوا مطية لاغراض محمد علي باشا او ان يخسروا ذلك النوع من الاستقلال الذى تنعموا به ولعل من الاسباب التي حملتهم على ان يفكروا باعتناق الانجيلية او تأييدها هو الطمع بحماية بريطانيا لهم من نفوذ الموارنة وفرنسا معا.

٤٥ — F. Perrier, op. cit, p.390.

لاجل حفظ حياتكم ولتفخروا بها على اقرانكم الطائفة الدرزية العاصية.(٤٦)

وكانت افظع تجربة تعرض لها المسيحيون هي اشهار السلاح في وجه جيرانهم الدروز دفاعا عن محمد علي باشا وجيوشه، والدروز في اشد حالات النفس الما وارتباكا، بعد ان عاش الطرفان عدة اجيال بسلام، وكان الدروز في معظم الاحيان الترس الواقي لصيانة الجبل وحرمته وقد عرف لمدة طويلة "بجبل الدروز".

وتشير المصادر الى انه لما اشتد القتال بين جيوش الباشا والدروز في وادى التيم، وشعر الباشا بحراجة الموقف لصعوبة القتال بالارض الوعرة، كتب الى الامير مستنجدا باربعة الآف، على ان يجمعهم من النصارى ويسلمهم اسلحة موءبدة لهم ولذريتهم(٤٧) وحاول الامير التملص من هذا الطلب الذى يزرع بين رعاياه الاحقاد المذهبية فارغمه الباشا، فارسل اليه الف مقاتل فنازلوا ثوار حاصبيا. ويذكر ان الذى اوحى الاستنجاد بالموارنة هو سليمان باشا اذ ضج عسكره من الحروب الجبلية فاقترح على الباشا فكرته قائلا ان الجبلي ادرى بمحاربة ابناء الجبل وان النابلسيين لم يغلبوا تماما الا حينما ناصر ابو غوش وجماعته جيوش الفاتح، وتردد الموارنة كما تردد اميرهم فقدم المصريون للموارنة اكثر مطاليبهم وذكروا الموارنة بان مصر حليفة فرنسا وان قائد الحملة هو افرنسي. (٤٨) وذهب المسيحيون متجندين مع العساكر المصرية وخاضوا المعارك.. وابلى اللبنانيون وبينهم " الزحلاوة" وكانت الثورات تتوالى والخصام يزداد اتساعا وعوامل الحقد تسكن القلوب فتحركها للفتك وجر الدماء.(٤٩) وشعر الدروز بالضغط من الناحيتين فاستسلموا، وربما على شفاههم ما قاله قيصر "وانت ايضا يا بروتس" وكانت هذه المعركة اشد ايلاما عليهم من النكبة الاولي يوم سمح الامير الكبير لجيوش ابراهيم باشا ان تنقض على الجبل من الجهات الاربع لجمع الاسلحة.

---

٤٦ ـ الشدياق، المصدر نفسه، ص ٨٥٧.

٤٧ ـ رستم، المحفوظات الملكية المصرية، ج ٣، ص ٣٣٩.

٤٨ ـ Aime Vingtrinier, Soliman Pacha, Colonel Seve, (Paris, 1886), p.290.

٤٩ ـ عيسى معلوف، مدينة زحلة، (زحلة، ١٩١١)، ص ١٨١.

وقليلا ما دنست اقدام الفاتحين قبلا قمم الجبل ،فاعلن الامير انه اخذ على غرة ، واعلن الدروز انها موآمرة فانصاعوا للواقع ولكن على مضض.(٥٠) ويصف ابكاريوس الحالة في مخطوطته باسلوبه السجعي فيقول "وكان السبب الاول في وقوع النفور والعدوان بين النصارى والدروز في ذلك الزمان... ان جناب ابرهيم باشا .. الذى افتتح المدن والبلدان ، طلب عسكرا من الدروز فاظهروا العصيان ، وجرت له معهم وقائع كثيرة في وادى التيم وحوران ، وفي ذلك الوقت استخدم النصارى لتلك المهمة ، فنهضوا مع عسكره باحسن همة ونهبوا خلوة شبعاء وكان فيها كثير من كتب الدين... واخذ سلاحهم من جميع البلاد فزادوا احقادا على احقاد..الخ."(٥١) وتعلق معظم المصادر اهمية كبرى على هذه المحادثة وهي بعرفها السبب الرئيسي الاول لاختلاف الطائفتين وغرس بذور الحقد والكره بينهما ، فلم يمتشق الموارنة الحسام بوجه اخوانهم وجيرانهم ومخدوميهم فحسب بل استباحوا امرا طالما حافظ الدروز على سريتهم وقداسته وهو كما ذكر المرسل الاميركي اندرسن "ان هوءلاء استباحوا اقتحام "خلوات البياضة" اثناء اشتباك الدروز مع القوات المصرية واختطفوا الكتب السرية المقدسة وعرضت على الاجانب... ولم يغفر الدروز للمسيحيين هذا الاثم".(٥٢) ويقول رشارد مادن ،"هنا في هذا العام ، في هذه البقعة بذرت وغرست بذور الحقد بين الطائفتين".(٥٣) وليس من المصادفات ان تكون مذابح حاصبيا ودير القمر اشد الفتن هولا.

---

٥٠ - H. Stanhope, op. cit. III, p.60.

٥١ - ابكاريوس، المخطوطة ،ص ١٩.

٥٢ - Rufus Anderson, History of the Missions of the American Board to the Oriental Churches, (Boston, 1872), I, p.274.

٥٣ - R. Madden, op. cit., II, p.383.

٣ ـ اذكاء روح الحقد والتعصب بين الطوائف

ثراء بعض المسيحيين وشقاء بعض الدروز :

ان كانت الحملة المصرية نعمة على بعض المسيحيين ، فقد كانت نقمة على معظم العائلات الدرزية . اذ قلبت اوضاع المعيشة في الطبقة الوسطى بين الطائفتين . فأشقت الى حد احداها واغنت الى حد سواها ، فاثارت روح الحسد والحقد بينهما . لان الاصتدامات المتوالية بين الدروز وجيوش الفاتح قد شتت شمل العائلة الدرزية وحرمتها من عائل لها . دفعها الى ان تبيع املاكها او ان ترهنها لدى جارها المسيحي فافتقر هؤلاء واثرى اولئك حتى اذا ما عاد الدروز من النفي والتشتيت وجدوا ديارهم والحالة كما وصفها ابو شقرا متألما . "اذ وجدوا الدروز على شفير الهلاك والاضمحلال وفي حالة ضعف وهوان ، لم يصلوا اليه قط منذ وطئوا البلاد الشامية . وشاهدوا المنازل والمساكن متداعية .. وجدوا البيوت المثرية مستنزفة اموالها بمظالم الامير رازحة تحت اعباء الديون .. وبعكس ذلك النصارى فقد وجدوهم على خلاف ما يعهدونهم ... في قعس وخيلاء وعتو وشموخ ، مرتبطين الصافنات ، بعد ارتباط الحمير والابقار وسكناهم العلالي الشامخة .. والخلاصة وجدوا الذليل عزيزا ، والعزيز ذليلا معنى يحرق الارم على ما مضى له من العزة القعساء". (٥٤)

حفلات المسيحيين الاستفزازية :

وكان للمظاهرات وللحفلات التي اقامها المسيحيون بعد كل انتصار يحرزه الباشا صدى اليم في نفوس المسلمين . ففي مناسبة انتصار الباشا في حمص "اجتمع جهال النصارى في دمشق ومرادهم ان يعملوا "عراضة" اى مظاهرة فمنعهم وجوه النصارى فأستأذنوا المتسلم فأذن لهم ، فزوقوا جملا وركبوا عليه رجلا مسلما وحطوا "مسودتين عرق" على ظهر الجمل وشكلوا الزهور على ظهر الجمل بشكل

---

٥٤ ـ ابو شقرا ، المصدر نفسه ، ص ٣٣ .

صلبان واخذ احدهم يغني ويمدح ويقول "ابراهيم باشا يا منصور الله يلعن المقهور(٥٥)"
ومن المقهور سوى السلطان ، خليفة المسلمين ، ويعلق الكاتب وهو شاهد عيان بقوله
"هذا عمل سفاهة وجهالة مطبقة وقد اقدموا على ذلك كيدا عمن كان غير راض
عن حكومة ابراهيم باشا ، وقد اقدموا عليه وهم سكارى ولما صحوا في الصباح تندموا
كثيرا عليه . . ." ويذكر ان كثيرا من المسلمين "بكوا من قهرهم وصاروا يتوعدون النصارى"(٥٦)

وبعد معاهدت كوتاهية ايار ١٨٣٣، زين المسيحيون ابتهاجا بهذه المعاهدة(٥٧)
"مما اثار غضب الفئة الثانية من غوغاء المسلمين فتآمروا على مهاجمة حارات المسيحيين
وعملوا العارضة "الله ينصر السلطان ، الله يهلك الكفار" ويسقط البطريرك والمطران".(٥٨)

ويلاحظ ان السلطة كانت تغض الطرف عن هذه المظاهرات وتشجعها ولا
نستطيع ان نتغاضى او ان نفرق بين حوادث الشام ولبنان فهي متقاربة متفاعلة
ويعتقد الكثيرون كما مر معنا ان الشرارة الاولى انطلقت من دمشق . ويذهب احد
المؤرخين وهو كارنفون للقول "ان لدروز حوران يد بنقل روح التعصب والكره من دمشق
الى لبنان . وهم لبعدهم عن الساحل اللبناني وعن روح التساهل التي لمسها دروز
لبنان ، في حكامهم كانوا من غلاة المتعصبين كغوغاء دمشق". (٥٩)

---

٥٥ ــ مذكرات تاريخية ، المصدر نفسه ، ص ٨ .

٥٦ ــ المصدر نفسه

٥٧ ــ والواقع ان "عامية" المسيحيين الجهلة منهم على الاخص اكثروا من البواعث الاستفزازية في معظم حوادث المسألة الشرقية وقد كتب مؤنس فلما اقبل العصر الحديث وتسامع المسلمون بتفوق اوروبا وبدا للرعية ضعف الدولة انضافت لمصاعب الشام مصاعب جديدة . . . وهي ان طوائف النصارى لم تكد تتنسم اخبار تفوق اوروبا حتى رفعوا رؤوسهم واخذوا يستعدون ليردوا للمسلمين ما اسلفوا لهم في العصور الماضية .

٥٨ ــ المصدر نفسه .

٥٩ ــ مؤنس ، الشرق الاسلامي ، المصدر نفسه ، ص ٢٦٧ .

Henry Carnarvon, Recollections of the Druzes of Lebanon, (London, 1860), p.113.

وانهم كانوا بمثابة دعاة او رسل نجيب باشا لبث روح التعصب الديني في قرى لبنان ، فمن سراى نجيب باشا كما قال هنرى غيز انطلقت الشرارة الاولى . وكان من سوء حظ المسيحيين ان تسند ولاية دمشق لهذا الرجل الذى اشتهر بتعصبه الشديد ، فهو منذ قدومه الى دمشق كما ذكر تشرشل وهو يوقظ روح البغضاء وبيثها بين الطوائف ، وكانت فاتحة اعماله تجريد المسيحيين من الاسلحة وحبس بعض ذوى النفوذ منهم .(٦٠) ثم تشكيل ديوان في دمشق كانت باكورة اعماله ارجاع التنظيمات القديمة بحق النصارى فمنعوا من ركوب الخيل وارتداء الالبسة الزاهية . ومستر "ورد" نفسه الذى كان له اليد الطولى بطرد المصريين من سوريا يكتب بشدة الى نجيب باشا قائلا "قد تلقيت بمزيد الاسف شكوى "لويس بوبولاني" من التبعة الانكليزية ومن مسيحيين اخرين في هذه المدينة بانهم جلدوا بالسياط واهينوا ونزعت عمائمهم البيضاء عن رؤوسهم بالعنف في وسط الشوارع". (٦١)

ويكتب تشرشل "وسرعان ما انسحب المصريون او كادوا حتى انقض الاتراك على فريستهم المهيضة الجناح انقضاض النسور الجائعة ... فتعرض المسيحيون في كل مكان للاضطهاد والاهانات فمزقت اثوابهم في الاسواق ... واجبروا على ارتداء الالبسة القديمة ... وارسلت الرسل للجبل لاثارة الفتن والنعرات الطائفية. (٦٢)

---

٦٠ - ويروى تشرشل عنه بانه قال يوما لاحد وكلاء قناصل بريطانيا قوله لا تستطيع الحكومة التركية الاحتفاظ بسلطتها في سوريا الا بمحو الطوائف المسيحية .

وان له يد بارسال الامدادات والاسلحة للدروز اثناء الفتنة الاولي رغم احتجاج قناصل الدول الكبرى - المحررات السياسية ، ج ١ ، ص ٧٥ .
ويروى مشاقة عن اجتماعاته المتكررة بزعماء الدروز في دمشق قبل الفتنة وقد شاهد بعضها بام عينه . مشاقة ، الجواب على اقتراح الاحباب ، ص ١٥٦ .
مشاقة ، مشهد عيان ، ص ٨٤ .

٦١ - المحررات السياسية ، ج ١ ، ص ٧٨ .

٦٢ - C. Churchill, The Druzes and the Maronites..., p.34.

وكتب احد المرسلين الثقاة يصف الحالة في بيروت وجوارها فيقول "اسم المسيح ، والمسيحية اصبحت قرار انشودة الشتم والاهانة في افواه الصبية والنسوة والرعاع. البشوات يرددونها ساعة بعد ساعة بكل وقاحة وصراحة". (٦٣) وتشير معظم المصادر الى الهوس والهستيريا التعصبية التي انتابت غوغاء الشعب بعد رجوع الاتراك والى الوسائل الفظيعة التي استخدمها الاتراك لاثارة الهوس والانتقام من المسيحيين الذين تجاسروا وتحدوا الشريعة والتقاليد طيلة العهد المصرى. (٦٤)

---

٦٣ - Missionary Herald, Feb., 1843.

٦٤ - ومما هو جدير بالذكر ما لاحظه معظم الرواة للحوادث ان الاكثرية الساحقة من كبار المسلمين لم ترض عن هذه الحوادث بل استنكرتها بشدة . قال ممثل بريطانيا بدمشق اذا كان رعاع المسلمين قد اسرفوا بالقتل والنهب فالاعيان بذلوا الجهد لاطفاء الفتن واعانوا المسيحيين . المحررات السياسية ، ج ٣ ، ص ١١٧ . بل ان احد اعيان المسلمين بدمشق فصله الاتراك من عضوية المجلس لدفاعه وحمايته بعض المسيحيين . المصدر نفسه ، ص ٤٠٤ .

ومن لائحة الهدايا التي قدمتها الحكومة الافرنسية في حوادث الستين لاعيان دمشق يستنتج ممثل بريطانيا بان كثيرا من الاعيان قاموا باعمال ايجابية لحماية المسيحيين امثال سعيد القوتلي وصالح المهايني وغيرهم كثيرون .
Great Britain, Foreign Office, Correspondence Relating to the Affairs of Syria, v.I, p.140.

يذكر الاب خانجيان بفخر غضبة الشيخ محمود الحوت في بيروت على الرعاع وقوله ان المسيحيين اخواننا وجيراننا وان هذا العمل يغضب الله والنبي بل ان المسلمين شكلوا جمعية في بيروت في سوق العطارين تتجول في الليل لحماية المسيحيين .

خانجيان ، المصدر نفسه ، ص ٢٢-٢٣ .

واخذ دعاة الاتراك يوهمون الطبقة السفلى من الشعب بان الدولة العثمانية بخطر غزو اجنبي مسيحي ،فيبثون روح الكره الشديد نحو المسيحيين وتجاه كل تأثير اوربي ولاسيما في لبنان.(٦٥)

تمتع المسيحيون بنعم الفتح المصرى حقبة من الزمن فاستردوا كرامتهم ، ونالوا حريتهم الاجتماعية ولكنهم لم يفطنوا الا بعد حين لفداحة ثمن هذا التمتع وهذه الحرية ،فعادوا اصدقاءهم واوغروا صدور جيرانهم. واغضبوا السلطة التركية ، ثم انفجرت الاحقاد السنة تندلع لتلتهم خيراتهم ومآسي تستذرف دموعهم ،وجراحا تستنزف دماءهم. وتمخضت الحوادث عن الفتنة الاولى.(٦٦)

الفتنة الاولى ، ١٤ ايلول سنة ١٨٤١ :

كان من جراء الحقد والكره الذى غرسه محمد علي باشا والامير بشير في قلوب الدروز ضد النصارى وتشامخ الفلاحين المسيحيين في دير القمر(٦٧) وتشجيع

٦٥ - C. Churchill, Druzes and Maronites..., p.65

٦٦ - بلغت ضحايا الفتنة وخسائرها اكثر من ثلاثة الاف نفس ونصف مليون ليرة انكليزية ،والافظع من هذا انها بذرت بذور جديدة للحقد في قلوب الطائفتين. قال احد البطاركة بعدها اما الان يجب ان يبقى لبنان اما للدروز واما للموارنة.

٦٧ - قال الشدياق :"اما اهالي دير القمر فتشامخوا على مشايخهم النكدية ونبذوا اوامرهم - وفي ذات يوم اصطاد رجل منهم حجلا عند بعقلين فاعترضه بعض دروزها بمشاجرة.. فبادر احد المسيحيين الى دير القمر وبث الخبر مهيجا ،فهاجت الشبان وتوجهوا للانتقام من الدروز ولما وصلوا محل المشاجرة اطلقوا النار على الدروز... ثم تعاظم الخطب وانكسرت الدروز وقتل منهم سبعة وعشرون رجلا ورجعت النصارى الى اوطانهم ظافرين متمردين واخذت الدروز تتوقع الفرصة لاخذ الثأر ودار بينهم لسان المؤامرة منتظرين قدوم الامير الى دير القمر وشكو لمديرهم حالهم فوافقهم على ما قصدوه." الشدياق ،اخبار الاعيان ،ص ٦٢١ ،٦٢٢.

رجال الدين(٦٨) واملهم بالمساعدات الاجنبية(٦٩) واشتداد الصراع بين الاقطاع الدرزي والامير بشير الثالث لسوء معاملته لهم واصطلاحهم على بعض المسائل الادارية ومحاولتهم استرجاع الاملاك التي اغتصبها الامير الكبير، او ما رهن منها او بيع طيلة غيابهم وتشتتهم ونفيهم وتخلي بعض اعيان المسيحيين عن مناصرته

---

٦٨ ـ وخلال هذه الفترة تزايد تدخل رجال الدين ،"كتب البطريرك صك اتفاق بين شعبه من امراء ومشايخ وغيرهم ومنه ان يقام في جميع المقاطعات وكلاء امناء بموجب صكوك لاصلاح الشعب واخيرا اذا ارادت طائفة من الطوائف النصارى ان تتحد معهم بهذا الاتفاق فنعما ما يفعلون...
فقابل الموارنة المنشور بالتهليل والتكبير وضرب البنادق وبالغوا باظهار الشرور والشماته والدروز امامهم ناقمون... وبلغ العداء حده وكان ذلك مقدمة المذابح الهائلة والفضائح المنكرة التي ظلت تعمل حوالى عشرين سنة وانتهت بحوادث ١٨٦٠.
<u>حسر اللثام عن نكبات الشام</u> (مصر، ١٨٩٥) ص ٧٥. يعتقد ان المؤلف نعمان القساطلي.
ثم قال "وكان البطريرك اخذ على نفسه ان يكون السبب في الحرب والسفك فاصر تلك السنة على عدم دفع الاموال الاميرية حسب العادة وان ليس للسلطان حق في جمع الاموال منهم"...
المصدر نفسه، ص ٧٩.
وعلق الكولونيل روز على هذه الحوادث ان اكليروس الموارنة في نيتهم امتلاك السيادة في لبنان ولوادى الى حرب اهلية.

٦٩ ـ في ذلك الحين ارسلت الدولة الافرنسية نحو نصف مليون فرنك الى التطريرك لينفقه في سبيل غاياته وغاياتها وكان ارسال المال على طريقة علنية فازداد غرور الموارنة.
المصدر نفسه، ص ٧٥.

طمعا بعودة الامير الكبير او تضامنا مع الاقطاع الدرزى.(٧٠) ثم ان الجو المحموم الذى هيأه الاتراك واعدوه كان سببا لنشوب الفتنة الاولى بين الدروز والموارنة لحادثة بسيطة تافهة قد يحدث امثالها كثيرا في ظروف عادية ولا تستوجب الاهتمام. فيروى الدكتور مشاقة الحادثة بقوله ،ونفخت الحكومة روحها السامة في الدروز وما عاد ينقصها الا سبب طفيف ومن الصدف ان رجلا ديرانيا من النصارى ذهب يوما لصيد الطير الى ناحية بعقلين... فتصدى له درزى منعه من غرضه واشتد الجدال وادى الى الخصام بالسلاح وكان ذلك في ١٤ ايلول سنة

---

٧٠ — ويظهر ان بعض اعيان النصارى كانوا يرغبون بالتخلص من الامير بشير الثالث فساعدوا الدروز على خلعه اما بموقفهم السلبي او بانسحابهم في منتصف الاستعداد للمعركة ،وذلك املا برجوع الامير الكبير للبلاد.
الحتوني ،المصدر نفسه ،ص٥٩٦. وقال ابو سمرا "واختلف الناس بانسحاب هؤلاء فقال البعض تسكينا للهياج ... وقال آخرون وهو الاصح ان يقض على الامير في دير القمر فيحملون الدولة على ارجاع الامير الكبير."
فايز ،المصدر نفسه ،ص ٥٩٥.
ويذكر يوسف يزبك تعليقا على كتاب العقيقي ،نقلا عن مخطوطة تاريخ الاعيان الاصلية ،ان مشايخ ال حبيش كانوا يواجهون بعض مناصب الدروز سرا ويعاهدونهم بانهم عند منتصف القتال ينقضون على النصارى فتبلغ الدروز غايتهم. العقيقي ،المصدر نفسه ،ص١٠١.
ان الامراء اللمعيين عملوا على تقوية الدروز ليخلع الامير بشير على الولاية.
المكان نفسه.
وبناء على امر سليم باشا اقام الامير ديوانا لفصل الدعاوى... فاحضر الامير بعض رجال الديوان من النصارى والدروز واقام الشيخ بشاره الخورى صالح النحوى الفقيه قاضيا فانفت مناصب الدروز من ذلك الديوان وانكروا الامر اى انكار... حينئذ اتحدوا جميعا مع بعض مشايخ النصارى على عزله وان كل مقاطعة يتولاها مناصبها...
الشدياق ،المصدر نفسه ،ص ٦١٥ — ٦١٦.

١٨٤١.(٧١)

وبعد حادثة صيد الحجل كمد الدروز غيظهم واخذوا يتصلون سرا بابناء ملتهم في حوران والشام ثم تطورت الامور من جراء الاسباب المارة الذكر الى ان الدروز حاصروا دير القمر بعد ان دخلها بعضهم سرا والبعض الاخر بغية الاتصال بالامير للتباحث بامر الضرائب وكان ذلك يوم الاربعاء ١٣ تشرين الاول سنة ١٨٤١.(٧٢)

---

٧١ ـ مشاقة ،الجواب على اقتراح الاحباب ،ص ١٥٦.
ابو شقرا ،المصدر نفسه ،ص ٣٧.

٧٢ ـ المحررات السياسية ،ج ١ ،ص ٦٣.

ثانيا - تأثير تكاثر الارساليات الى لبنان

<u>كثرة الطوائف المسيحية وتخاصمها يثير تعصب الطوائف الاخرى</u>

ونظرا للعلاقات الافرنسية التركية وصداقة الدولتين اضاف السلطان سليم الاول منحة جديدة للدولة الافرنسية وهي السماح للارساليات التبشيرية الكاثوليكية بدخول البلاد العثمانية والاقامة فيها (٧٢)

وكانت هذه الارساليات،على اختلاف انظمتها،تنتمي الى كنيسة واحدة ،ولكن ما استهل القرن التاسع عشر ودخلت الارساليات الانجيلية البلاد ولا سيما بعد الحملة المصرية وازدياد نفوذ بريطانيا في الاوساط التركية حتى اشتد الخلاف بين الانجيليين واتباع روما ولا سيما وقد كان هدف الارساليات الانجيلية تبشير الكنائس الشرقية نفسها لا المسلمين ،لاعتقادهم انهم لن يستطيعوا كسب المسلمين للمسيحية. "والكنائس المسيحية الشرقية " نماذج غير حسنة " للاقتداء بها بل "دعوة مضادة " لانتشار المسيحية" (٧٣) فوجهوا اهتمامهم شطر الكنائس الشرقية ،من ارثوذكسية وكاثوليكية،فاصطدموا بالموارنة وشرع هؤلاء يقاومون الحركة الانجيلية باعنف الاساليب فاستصدر البطريرك امرا سلطانيا بمساعدة اليسوعيين يسمح بمصادرة كتب المرسلين الانجيليين وحرق منشوراتهم (٧٤) واستصدر رجال الدين بتشجيع من روما "الحرم" تلو "الحرم" لمنع اتباعهم من الانصياع اليهم او السماح لهم بالسكنى بينهم (٧٥) ونظرا لعلاقة المرسلين مع ممثلي بريطانيا في الشرق اتهم المرسلون بانهم عمال

---

٧٢ - Lavallée, <u>Histoire de la Turquie</u> T.II,p.110
اقتباس بيهم ص ١٠١

٧٣ - R. Anderson, <u>op</u>.<u>cit</u>., I,p.1

٧٤ - 1- <u>Ibid</u>., p.42, <u>Passim</u>.
انَ نظام الملل خول زعماء الدين في الدولة العثمانية سلطة واسعة فكان باستطاعة البطريرك ان يرسل مثلا اى رجل للسجن او النفي بدون استفسار وكان " الحرم" يخرج الشخص من الفئة المهنية التي ينتمي اليها . ويجعل دائنيه بحل من دفع الديون .

٧٥ - C. Hamlin, <u>op</u>.<u>cit</u>.,p.131

لبريطانيا ولا سيما العامة لم تفرق بين لفظتي " انجيلي " " وانكليزى " ،ولما التمس البطريرك الماروني من الباب العالي اقصاء الانجيليين من لبنان وضع السلطان المسألة امام ممثل الولايات المتحدة في الاستانة ،فاعلن ان ليس لديه تعليمات من حكومته لحماية المرسلين. فاستغل البطريرك هذا الاعلان اسوأ استغلال لمقاومة جماعة تنكرت لهم حكومتهم واذاع الخبر في انحاء المقاطعات (٧٦) والواقع انهم تقربوا لبريطانيا لتزايد نفوذها في الشرق (٧٧) .

ترحيب الدروز للمرسلين

اما الدروز فلاسباب عديدة منها تشوقهم للعلم والمعرفة (٧٨) ولتحيز الفئة الحاكمة للنصارى ،ولعلاقة المرسلين ببريطانيا ،ولتعكير العلاقات مع الموارنة رحبوا بالمرسلين الاميركيين وامّ ابناؤهم مدارسهم ،ولم يستنكفوا عن مطالعة كتبهم ومناشيرهم بل طلبوها بشوق ورغبة (٧٩) واصبحوا في الواقع فيما بعد ،كما وصفهم المرسلون "خطا للدفاع اقامته العناية الالهية لنشر اعمال المرسلين في الجبل "(٨٠) ولما اشتد الاضطهاد على الانجيليين في حاصبيا تدخل الشيوخ لحمايتهم وذهب احدهم الى دمشق واستحصل بواسطة ممثل بريطانيا مستر وود على امر من الباشا لتخفيف الضغط عنهم .

---

٧٦ - R. Anderson, op.cit., I,p.254
ويعلق اندرسن في نهاية الصفحة ان المسألة كانت نتيجة خطأ استدرك فيما بعد مع حكومة وشنطن .

٧٧ - قال شارم اشاع الموارنة ان للمبشرين الاميركيين اغراض سياسية يخدمون بها مصالح بريطانيا . فهاجم شارم هذه التهمة بشدة وقال ان اميركا لبعدها لا تصلح في عيون السوريين لحمايتهم فتقربوا من بريطانيا .G.Charmes,op.cit.,p.165
اما هنرى غيز فقال ساخرا فالسلطان في نظر الاتراك موزع العروش وان لم يكن للاميركيين من ملك فهو لعدم اعترافه بهم . وفي الربيع الذى اضطرمت فيه الحركة الثانية كان عدد طلبة الدروز في منطقة عبيه ١٩٤ طالبا .

٧٨ - R. Anderson, op.cit.I,p.277

٧٩ - 1-R. Anderson, op.cit.,I,p.240

٨٠ - 2-Ibid.,II,p.370 3-Ibid, I, p.270

١ ـ وبما ان الاقطاعات الدرزية ،وهي مأهولة بعدد كبير من الموارنة ،حاول هؤلاء التدخل لاقصاء الانجيليين وحال الدروز دون ذلك فتفاقم الخلاف بين الدروز والموارنة من جراء ذلك .

وهب الموارنة يضطهدون الانجيليين اضطهادا لا لين فيه ولا هوادة (٨١) وهب طوائف مسيحية اخرى تقاوم انتشار العمل الانجيلي ولا سيما الارثوذكس في حاصبيا ، حيث يروي لنا المرسلون الاميركيون في مجلتهم التبشيرية ،حوادث قل مثيلها في عهد التفتيش ،ومنها ان الارثوذكس ،ارغموا المنشقين عنهم ،بقوة الجيش التركي الى العودة الى كنيستهم الاصلية في حاصبا (٨٢) ، مع ان الارثوذكس لم ينجوا حينا من اضطهاد الموارنة مما دفع بعضهم في الحوادث ان ينضم الى صفوف الدروز (٨٣) ولا شك ان هذا التعصب الشديد بين الطوائف المسيحية ،كما قال اوجين بوريه ،قد اثار التعصب المكبوت والبغضاء التي كانت تضمرها الشعوب غير المسيحية للمسيحيين ... ثم قال ،ومن ذلك الحين اصبح الجبل فريسة للفتنة والثورات الاهلية (٨٤) ومما ساعد على اثارة هذه النعرات ان

---

٨١ ـ ويروي تشرشل انه عام ١٨٥١ سكن موسلان اميركيان طرابلس وفكرا بقضاء شهري الصيف في اهدن فأستأجرا بيتا ودخلا البيت مساء واذا باجراس الكنائس تقرع بعنف والجماهير تتجمع ثم خرجت الرهبان تتقدمها الصلبان بشكل مثير استعدادا لامر خطير ،وهاجمت الجماهير غرفة المرسلين المغلقة ونزعت السقف وامروا المرسلين بمغادرة البلدة توا ولما اعترضا وقالا انهما بحماية السلطان اجابوهم سلطاننا هنا هو البطريرك . C.Churchill, mount Lebanon....,I,p.57
وقد ذكرت معظم مصادر المرسلين هذه الرواية .

٨٢ ـ Missionary Herald, Feb.,1843,p.72.
Ibid. June, 1848,p.212.
H.Jessup, op.cit., I,p.158.

٨٣ ـ C.Churchhill, mount Lebanon...., I,p.164

٨٤ ـ R.Anderson, op.cit;p.270f.
وفي عهد الفتح المصري يأسف محمد علي باشا لنشوب النزاع بين الطوائف المسيحية في القدس ويقترح جمع البطاركة ورؤساء هذه الطوائف وفض المشكلة حبيا ـ المحفوظات الملكية المصرية ج ٢ ص ٣٩٤

عددا من غير المسيحيين تدخلوا فيها عمليا ،ففي احدى الاماكن كما روى احد المرسلين هاجم اتباع الكنيسة الشرقية الانجيليين وتساءل المسلمون عن اسباب هذا الهجوم فعلموا ان الانجيليين يضطهدون لانهم يدعون لمقاومة وضع الصور والانصاب في الكنائس ،فقالت العامة اذن هؤلاء على مبدئنا في مقاومتها واشتركوا مع الانجيليين في الهجوم على الجماعة الثانية وحملوها على الفرار . (٨٥)

ثانيا - اتاحت تدخل رجال الدين

ظهر تدخل الاكليروس الماروني سافرا منذ تنصر الامراء (٨٦) ،وازداد عنفا في اواخر حكم الامير الكبير والامير الضعيف بشير الثالث ،قال بويار وهو مرافق حملة ابراهيم باشا كان للاكليروس ايام الحملة سلطة مطلقة على رعاياهم حتى في الامور المدنية فاذا دافع احدهم او قدم شكوى اعتبرها رجال الدين غلطة لا تغتفر لاعتماد الامير عليهم ،(٨٧)

ولا غرو ان خلو الميدان الماروني من الزعماء العلمانيين لاختلافهم واضعاف الامير لسطوتهم ،وثورة الفلاحين عليهم ،افسح المجال للاكليروس ،كما ان ظهور المبشرين الانجيليين ولا سيما في الاقطاع الدرزي وهو مأهول بعدو كبير من الموارنة برّر لرجال الدين العودة للعمل دفاعا عن معتقدات ابنائهم ،ولا ينسى ان الطائفة المارونية تكونت وهي اشبه بدولة ثيوقراطية (٨٨)

وبانهيار الامارة الشهابية ،وتضعضع الاقطاع المسيحي ،وقد اتهم الاكليروس بالتآمر عليه ،طمح رجال الدين بتولي الزعامة الروحية والزمنية معا ،والى هذا يشير يوسف بك كرم برسالته الى فرنسا والكنيسة الكاثوليكية بقوله " ان افعال المونسنيور بولس مسعد قد افسحت المجال لخورشيد باشا ان يبرز الى حيز الوجود مذابح الستين ،وانه اراد كما يقال ان يحكم مدنيا فعمد الى تلك الغاية باساليب خفية تارة ،وظاهرة طورا .. (٨٩) وان ظهور المبشرين الانجيليين في الاقطاع

---

٨٥ - C. Hamlin, op. cit., p.139

٨٦ - روى تشرشل بعد تنصر الشهابيين ارغم عدد من الارثوذكس على اعتناق المارونية وانتزعت منهم بعض الأديرة .

٨٧ - F. Perrier, op. cit.,p.298.

٨٨ - ومن المخطوطات اللبنانية في المتحف الوطني ما يؤيد تعزيز الامير لرجال الدين واعتماده عليهم لبسط نفوذه وسلطته . رستم . بشير بين السلطان والعزيز ص ١٢

٨٩ - بطرس كرم . قلائد المرجان في تاريخ شمالي لبنان (بيروت ،١٩٢٩) ص ١٨٣

الدرزى اتاحت له الفرصة للتدخل في شؤون المقاطعات الدرزية ،وانه بسياسته الخرقاء تلك ،جمع بين اصحاب الاقطاعات الدرزية والمسيحية.ولا ينسى انه من اهم اسباب الثورة الاولى المنشور الذى اصدره البطريرك السابق يدعو فيه الى الغاء امتيازات الدروز وحقوقهم الاقطاعية .

فيعلن الكولونيل روز الى حكومته " ان رجال الدين الماروني يسعون لبسط سلطتهم ولو أدى ذلك الى حرب اهلية (٩٠)

وتتهم جريدة التيمس فرنسا باثارة رجال الدين ،على الدروز المارونية وتعتقد ان حرب الافناء اثارها مسيحيون في روح غير مسيحية .

وجاء في مجلة الارسالية الاميركية واصبح من المؤكد ان غاية اليسوعيين والاكليروس الماروني تشجيع الفتن للقضاء على الانجيليين واقصاء الدروز عن الجبل ،(٩١) وكتب احدهم شاهد عيان ،لم يكن اكليروس الموارنة غريبا تماما عن الحوادث ، فقد شجعوا اتباعهم وحضّوهم على مهاجمة الدروز في عقر دارهم ، وكانت تدغدغ احلامهم فكرة طرد الدروز الى حوران ،حلم كان له صدى مستحب في الصحافة الافرنسية (٩٢) وهكذا في غمرة الحوادث شاء رجال الدين ان يشتغلوا ازمة الحكم ليلعبوا دورا خطرا في تطورها وتفاقمها ،فيلونون الحركة بلون طائفي ، ساعدت الاخصام ان يثيروها حربا طائفية وان يألبوا عليهم في مستهل الامر سائر الطوائف الاخرى وقد استنكرت تدخل الاكليروس الماروني وخشيت تكتلهم .

ولعل اشهر من اثيرت حولهم الشكوك بل الصقت بهم تهم كثيرة وقد اشتهرا بالتعصب الشديد وكره الاقطاعيين المسيحيين والدروز معا وبحب الظهور والسلطة ، هما المطران طوبيا عون مطران بيروت ،والبطريرك بولس مسعد .

المطران طوبيا والبطريرك بولس مسعد

كتب شاهد عيان ومن اكثر رجال الدين حماسة المطران طوبيا الذى كان شديد الكره للدروز والاتراك معا ،قلبه متجه نحو اروبا وعلى الاخص فرنسا (٩٣)

---

٩٠ - H. Jessup, op. cit., p.160

٩١ - Missionary Herald, Aug.,1860.p.239

٩٢ - Souvenirs de Syrié,op. cit.,p.27.

Ibid.,

٩٣ - Great Britain. Foreign Office.Correspondence relating to the affairs of Syria....,II,519

وكتب غبريال شارم " ان تحرشات واستفزازات المطران طوبيا حملت الدروز على الانتقام " . وكتب سفير بريطانيا في الاستانة "انه من الاسباب الرئيسية لكل تعاسة وسفك دماء في لبنان هو المطران طوبيا واعتقد ان نقله من لبنان ضرورة قصوى رغم انه ليس لديّ شيء محسوس هذه لانه حذق " (٩٤)

ويتهمه العقيقي (٩٥) رغم انه يمت له بصلة نسب، بانه هو الذى حرّض على مقاتلة الموارنة اخوانهم بني معروف معاكسا مشيئة البطريرك بولس مسعد الذى نهاه عن وقوع هذا الامر المجرم (٩٦) ولكن بعض المصادر الاخرى تذكر بانه لم يمنعه بل كان بينهما شبه اتفاق سرّي .

وكان البطريرك كما المحنا سابقا يحاول خلع سلطة المشايخ لتركيز سلطته(٩٧)

وفي رسالة قنصل فرنسا الى سفير دولته في الاستانة ما رجّح هذا الاعتقاد ، ولا سيما عندما يُذكر مدى تغلغل نفوذ قناصل فرنسا في الاوساط الدينية واطلاعهم على بواطن الامور ،قال " كان بعض الاهلين يشكون احيانا استبداد طبقة الاشراف كاصحاب الاقطاعات في النواحي المختلطة طوائفها ،ولكن هذه الشكاوى لم تتكاثر الا منذ سنتين تقريبا ولقد توالت خلالها مساع سرّية اكليريكية فجسمتها ، وبدت تباشير روح الاستقلال اذ ان الاكليروس كان قد بدأ منذ ١٨٤٢ بالتدخل بالشؤون السياسية ، ولم يطل الامر حتى ظهرت روح حزبية ولما رأت طبقة الاشراف المسيحية مزاحمة البطريرك والاساقفة لهم ازدادوا تمسكا بحقوقهم ... كما ان رجال الدين لما رأوا ما لهم من نفوذ في البلاد طمعوا باحراز حكم الجبل فنشأ من ذلك نزاع خفيّ ، ومزاحمة مستمرة ... بيد اني اقتصر على بيان كون الاكليروس مثل في هذه الحركات دورا غير مطابقة لمهمته السلمية ،طمعا بالسلطة واخذ مقام الاشراف واستلام دفة الشؤون ،ولكن طبيعة الاشياء ذاتها وسلوك الحكومة التركية ادى الى اضعاف فريق بواسطة الآخر ،كل ذلك احبط مساعي الاكليروس ،بحيث فقد الاكليروس والاشراف معا سلطتهم على الشعب "(٩٨) .

---

٩٤ ـ G. Charmes, op.cit., p.165

٩٥ ـ العقيقي ،المصدر نفسه ص ١٤

٩٦ ـ المحررات السياسية ج ٢ ص٣٠٥ ،المصدر نفسه ص ١٩

٩٧ ـ M. de Vogüe, op.cit. p.4

٩٨ ـ المحررات السياسية ج ٢ ص٩٨

وللدكتور مشاقة رواية تؤيد الى حد كبير ،قول السفير ،وهو رغبة البطريرك بالسلطة - " قال قدم المعلم بطرس كرامة وسعى عند رجال الدولة بارجاع احد انجال الامير الكبير الى حكم لبنان وكاد يفلح بمسعاه وارسال الامير امين حاكما على الجبل ...

وقيل ان الخوري نقولا اعلم سيده البطريرك بما ينوي الامير اتيانه ،فارسل غبطة البطريرك رسالة للدولة ملأها قدحا بالامير امين واكد ان الجبل يصبح ملعبا للشقاق لانه اظلم من والده ،وكثرت "العرضحالات" من الامراء والمشايخ بعدم ارسال الامير وكانت الدولة سبقت وعينت الامير فذهب ليتسلم الامر بتعيينه واذا برشيد باشا يدفع له عرضحالا من البطريرك الماروني ،وقال له نحن قبلناك حاكما على لبنان لكن رجال دينك رفضوك فاعتنق الامير الاسلام ،قائلا ، من الغلط التدين بمذهب ،هذا حال رؤسائه (٩٩) .

---

٩٩ - مشاقة . الجواب على اقتراح الاحباب ص١٥٣ .

ثالثا — تأثير التنافس البريطاني الافرنسي

تقسيم الجبل الى قائمقاميتين ، درزية ، مسيحية ٢٧ ايار سنة ١٨٤٢

واستغل الاتراك حوادث الفتنة الاولى وضعف الامير وعينوا عمر باشا واليا على البلاد (١٠٠) وبرروا عملهم بعرائض مزورة استكتبوها الاهالي بعنف وقوة ورشــوة وتمليق (١٠١) فاصطدم الاتراك بممثلي الدول الذين اعلنوا انها طريقة غير شرعية ومخالفة للتقاليد (١٠٢) فاجاب الاتراك انها تدبير موقت (١٠٣) وعلى سبيل الامتحان ومراعاة للظروف (١٠٤)

واصطدموا اخيرا بارادة الطائفتين اللتين دفعهما كره الاتراك وبقايا الروح القومية فتناسوا الاحقاد وعقدوا الايادي (١٠٥) على محاربة الدولة (١٠٦) ولكن

---

١٠٠ — برر الاتراك موقفهم بتصريح مفاده ان الدول الصديقة طلبت منهم اعادة السكينة فارسلوا السرعسكر مصطفى باشا فاجتمع باعيان الجبل في بيروت والتمسوا منه عزل الامير بشير وتعيين احد موظفي الدولة . المحررات السياسية ج ١ ص ٨٨ .

١٠١ — المصدر نفسه ج ١ ص ١٨٩ .

C. Churchill; The Druzez and the Maronites...., p. 78

١٠٢ — المصدر السابق ج ١ ص ٨٨ .

١٠٣ — المصدر نفسه ج ١ ص ٨٤ و ١٠٩

١٠٤ — والظاهر ان عمر باشا كما قال الشدياق اتخذ النصارى احلافه يرتضوا بولاية الدولة ، فادخل في خدمته جنودا منهم وجعل ابا سمرا والشنتيرى قائدين عليهم ومنع الدروز عن التعدى على النصارى وحصل منهم ديونا للنصارى جبرا ، الشدياق ص ٦٤٠ "واخذ يكبس على الدروز وقبض على مناصبهم " ثم ثار الدروز عليه ... وراجعوا الاستانة لعزله فارسلت الحكومة خليل باشا قبطان البحر صهر السلطان للنظر بامر لبنان فاقترح عودة الامير بشير الكبير لاعادة السكينة .
باز المصدر نفسه ص ١٠٧

١٠٥ — تراجع وثيقة العيش بوئام — المحررات السياسية ج ١ ص ١٨٨ .

١٠٦ — وخابر الدروز النصارى لينضموا اليهم ضد عمر باشا فوافقهم بعض المشايخ واراد ها الدروز ثورة عامة من جميع المسيحيين فاتصلوا بمسيحيي الاقطاعات الدرزية فاشترط هؤلاء ان يمضي الدروز صكا بعودة الامير الكبير ، فوقع الدروز الصك مع بعض شروط منها ان يكون للامير معين من اللمعيين ... ثم اشترط الدروز على الموارنة ان يكونوا هم البادئون في الحرب فتلكأ الموارنة مخافة ان يكون دسيسة في الامر ، وعلم الاتراك بالمفاوضات فكتب الوزير الى المقاطعات المسيحية يحذرهم من مخالطة الدروز ومفاسدهم .

ولكن حال ذلك سوء الظن ،ودسائس الاتراك وسياسة الدولة المغرضة ،فتجدد الاختلاف والقتال احيانا بينهما (١٠٧)

تشير بعض المصادر ان بعض النصارى التحقوا بالجيش التركي وكانوا في المقدمة عندما التحم الاتراك مع الثائرين من الدروز (١٠٨) ويقول خليل فايز " ولما ثار الدروز بقيادة شبلي العريان،وكان النصارى في دير القمر يدفعهم حب اخذ الثأر،عرضوا مساعدتهم على محمد باشا فاحمد عملهم (١٠٩) ولكن يظهر من بعض المصادر الاخرى وهي اقرب للثقة ،ان بعض جنود النصارى التحقوا بالجيش التركي قبل ثورة العريان ،كما ان فريقا آخر قد التحق كما يذكر الكولونيل روز ، تحت تأثير الرشوة والضغط ،ثم يقول روز ،والرواية مستقاة ، من الوثائق القنصلية البريطانية في بيروت ،ومع عظم الخسائر التي ابتلى بها المسيحيون " فان المفكرين منهم وبعض رجال الدين يفرحون بانتصار الدروز ويتألمون لانكسارهم " (١١٠)

وبعد ان تفاقم الامر اجتمع ممثلو الدول الكبرى الخمس مع ناظر الخارجية التركية في ٢٧ ايار سنة ١٨٤٢ ،فقال صارم افندي وزير الخارجية التركية انه خلع الامير بشير الثالث لضعفه وتلبية لعرائض موقعة من الموارنة وغيرهم ، فقال مندوب بريطانيا ان ما تلقاه من عرائض تخالف عرائض الحكومة (وقد اتهم السفراء مصطفى باشا بتزويرها) ثم تناقش الحاضرون بامكانية عودة الشهابيين للحكم فاعلن الاتراك

---

١٠٧ ـ الشدياق ، المصدر نفسه ص ٦٤٥ . فايز ،المصدر نفسه ص ١١٧ ـ ١١٩ ، حسر اللثام ص ١١٢ . وتملك الاتراك البطريرك وقدموا له الهدايا وفرقوا الخلع على المشايخ المسيحيين وذلك باسم السلطان . فايز . المكان السابق ص ١١٧ وحقد الدروز على الاتراك فاعلنوا انهم ما ثاروا الا بتحريض الاتراك وان الحصة الكبرى من المنهوبات دفعت للاتراك والدروز دفعوا نحو ٣٠٠ الف ليرة عثمانية لقاء مساعدتهم او غض الطرف عنهم وهدد الدروز بنشر الاتفاقية التي بينهم وبين الاتراك .

C. Churchill, The Druzez and the Maronites...., 78

حسر اللثام ص ١١٠ . يظهر تشابه كبير بين عبارات حسر اللثام وكتاب تشرشل مما مما يستدل ان احدهما ترجم عن الآخر .

١٠٨ ـ الشدياق ص ٦٤٥

١٠٩ ـ فايز ص ٢١

١١٠ ـ British Consular Files. Rose to Aberdeen. Nov., 19, 1842, No.84(Quated by M.Kerr,op.cit.,p.15)

ان مجرد عودتهم سيضرمها ثورة لا تنحصر في الجبل بل تشمل جميع المناطق الدرزية ...
ولما كان النظّار المشار اليهم قد طلبوا زيادة ايضاح بهذا الشأن سألهم ممثلوالدول عماذا كانت الدولة ترتاح الى جعل الدروز تحت زعامة رئيسين منهما مستقلين عن بعضهما (١١١) فقال الاتراك انه يتعذر تحقيق المشروع لتخالط الطائفتين وامتزاجهما معا (١١٢) وبعد اخذ ورد قبلت تركيا بتجربة قسمة البلاد ووافقت الدول الا ان فرنسا (١١٣) احتفظت بحق عودة الشهابيين (١١٤)

وقيل ان الموحي بالتقسيم رجل راجح النفوذ في اوربا هو البرنس ما ترنيخ (١١٥) وجاء في الوثائق الافرنسية الدبلوماسية ان الموحي بها هو محمد رشيد باشا والي عكا، همس بها الى السرعسكر اثناء مهمته في لبنان عام ١٨٤١ ،ووصلت الفكرة الى ممثلي الدول الاجنبية فتبنّوها وتجاهل الاتراك الفكرة وتظاهروا بمقاومتها ،(١١٦) ولكن من المعتقد ان من اهم عوامل التقسيم سياسة التنافس البريطاني الافرنسي . ويتهم مسيو بوجاد بريطانيا " بتنفيذ فكرة التقسيم لاقامة شبه دولة درزية تبادلها ودا كالود الافرنسي الماروني ،ولا سيما بعد ان اعتمدت على المرسلين لبعث طائفة جديدة يعتمد عليها فلم يفلحوا ". (١١٧) ويتهم الخازنان فيليب وفريد ،جامعا المحررات السياسية مستر وود والكولونيل روز وهو صاحب فكرة ترحيل الموارنة عن الاقطاع الدرزي على ان يعوض عليهم . ويشير بوركهارت ان فكرة التقسيم جالت في اذهان الكولونيل روز ومستر وود (١١٨)

---

١١١ — المحررات السياسية ج ١ ص ٨٨ — ال
١١٢ — المصدر نفسه ص ٩٤
١١٣ — اسطفان بشعلاني المصدر نفسه ص ١٥٣
١١٤ — ويتساءل بوركهارت ليس من المعقول ان يسأل ممثلو الدول السؤال نفسه معا وبعد ان يبعد فوض احتمالات متنوعة يستنتج ان السؤال مصدره بريطاني .
D. Urquhart, op. cit. pp.417-430
وبموجب التقسيم عين الامير حيدر اللمعي بايعاز من البطريرك حاكما للمسيحيين ومركزه بكفيا ومقاطعته تمتد من طرابلس لطريق الشام وعين الامير احمد ارسلان حاكما للدروز ومركزه الشويفات ،اما دير القمر فتولاها حاكم تركي لعدم رضى المسيحيين على السلطة الفكرية فحقد هؤلاء عليهم وكان ذلك الحقد احد اسباب الفتنة الكبرى — فايز ،ص ١٢٨.
١١٥ — المحررات السياسية ج ١ ص ٢٤٧
١١٦ — A. Ismail, op. cit., p.364
١١٧ — E. Poujade, op. cit., pp.27,71.
١١٨ — المحررات السياسية ج ١ ص ٦٧
D. Urquhart, op. cit., II, 417-430

وان صحت رواية الوثائق الافرنسية فليس بالمستبعد ان يكون والي عكا استوحى الفكرة منهما .

ومهما يكن من امر فان المصادر تشير الى انه لما تعذر على بريطانيا استمالة الموارنة ترأى لها خطتان اما دمج لبنان في سوريا ليصبح الموارنة اقلية فيه ولكن مذابح الستين في دمشق افسدت هذه الخطة،(١١٩) واما باتباع حكمة سليمان بقسمة الجبل وشطره الى منطقتين: مارونية ودرزية،ولكن الطائفتين فيه افتقرتا لحكمة نساء سليمان فآثرتا شطر الطفل على ان يحيى لاحداهما ،وابتهج ممثلو الدول الاوروبية بما فعلوا فتبادلوا رسائل التهاني مع حكوماتهم (١٢٠) وهكذا اقرّت اوربا مبدأ التقسيم وحكمت على " الزوجين " بالهجر وما جمعه الله باجيال فرقه الانسان بساعات . وان صح لنا ان نحكم على الماضي بالحاضر هان علينا حكمة اوربا بالتقسيم كلما اصبحت المشكلة معضلة لديها . وفي الواقع لم "يحلوا" المشكلة بل " خلقوا " منها مشكلتين . مشكلة الاكثرية المسيحية في الاقطاع الدرزى التي ابت الخضوع لقائمقام درزى بتحريض رجال الدين (١٢١) ومشكلة تزايد عدد السكان في الاقطاع المسيحي وكانوا يجدون في الاقطاع الدرزى منفذا للضغط الاقتصادى الذى انفجر فيما بعد ثورة شعبية غاشمة ،بل في الواقع وضعوا الطائفتين في مواقف متعارضة كأمتين عدوتين وتركوا بينهما مصالح مشتركة لافساح المجال للاحتكاك ،فاصبحت القوى المختلطة "العقدة الكردية" تنبثق منها شرارة الثورات فيما بعد (١٢٢) وقد رغب الموارنة على مضض ان يقبلوا بمشروع الكولونيل روز على ان يدفع لهم نصف ثمن ممتلكاتهم مسبقا والقسم الاخر بعد الاستيطان ،وما نعت تركيا لصعوبة تحقيق المشروع عمليا (١٢٣) وقد وصف رفعت باشا ناظر الخارجية العثمانية مشروع التقسيم " انها بمثابة اشعال نار الحرب الاهلية(١٢٤)

---

١١٩ ـ المحررات السياسية ج ١ ص ٢٣ المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٣

١٢٠ ـ A. Ismail, op. cit., p.363

١٢١ ـ كان عدد المسيحيين في الاقطاع الدرزى ٣٢ الفا مقابل ٢٢ الفا من الدروز، ويعتقد مشاقة ان المسيحيين كانوا نحو ٧٥ بالمئة
H.Guys, op. cit., II, p.61.

١٢٢ ـ Souvenirs de Syrie, op. cit., p.100.

١٢٣ ـ المحررات السياسية ج ١ ص ١٦٥

١٢٤ ـ المحررات السياسية ج ١ ص ٦٧ . ؟

الثورة الثانية

ولقد صح ما توقعه وزير الخارجية التركية فاندلعت نيران الثورة الثانية(١٢٥) لان قسمة البلاد الى امارتين على اساس طائفي اذكت روح الطائفية رسميا ،وكانت مشكلة المشاكل فيها القرى المختلطة واكثريتها مسيحية خاضعة للحاكم الدرزى ،وقد استنكفت هذه القرى الخضوع او الرجوع الى الحاكم الدرزى وكان منها ما يرغب بتحريض رجال الدين (١٢٦) ان يكون التقسيم او المرجع،على الاقل،على اساس ديني لا اساس اقليمي اى ان يكون للمسيحيين وكيل لهم يرجع الى قائمقامهم وقد استغرقت هذه المشكلة وقتا طويلا ومجهودا جسيما لحلها .(١٢٧)

ومن اسبابها ذيول الفتنة الاولى واهمها التعويضات وقد طال امرها،(١٢٨) وكتب احد المرسلين وكان موافقا للحوادث للتخفيف من حدتها ولما يئس الفلاحون من عدم التعويض عليهم رفعوا حكمهم الى السيف وابتدأ القتال في ١٣ نيسان سنة ١٨٤٥ (١٢٩) واختلف الدروز والموارنة على كيفية توزيع الضرائب ومقدارها ،

---

١٢٥ ـ تختلف المصادر في تحديد اوقات الثورة تماما ولكنها تجمع على ان حدثت بين منتصف نيسان سنة ١٨٤٥ ومنتصف ايار .

١٢٦ ـ قال جسب ولم يكتف البطريرك ببسط نفوذه الروحي في القرى المختلطة بل حاول بسط نفوذه السياسي ايضا وهذا ما تعارض مع حقوق الاقطاع الدرزى
H. Jessup, op. cit., I; p.162

١٢٧ ـ واقترح المسيو بوجاد قنصل فرنسا في بيروت تعيين وكلاء للمسيحيين في الاقطاع الدرزى واختلفوا من يعين هؤلاء والى من يرجعون ،فطلب المسيحيون ان يرجعوا الى قائمقامهم فاحتج الدروز ،والكولونيل روز ،واقترح البعض ارجاع الوكلاء الى الوالي التركي في صيدا فرفض الدروز ورفض ممثلو الدول لان ذلك يمس قاعدة استقلال الجبل اداريا .
المحررات السياسية ج ١ ص ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٩٠ .

١٢٨ ـ وبنطاقة الباب العالي لممثلي الدول ٢٢ ك١ ١٨٤٤ ان المجلس المختص دقق في مطالب الموارنة فاذا بها تبلغ ستة عشر الف كيس وخسائر الدروز ٢٦٠٠ كيس. المحررات السياسية ج ١ ص ١٦٢-١٦٤ . ويقدر تشرشل الخسائر بثلاثة الاف نفس ونحو نصف مليون جنية .
C. Churchill, The Druzez and the Maronites..., p.64

١٢٩ ـ Missionary Herald; Aug., 1845, p.283
Ibid;, Dec., p.34.

ويعتقد يوركهارت ان محرك الفتنة هو "كاخية" الامير حيدر بسبب اختلافه مع رجال الاقطاع الدرزي على ارض البقاع (١٣٠) .

وتستنتج بعض المصادر، من فوز الموارنة في مستهل الثورة فوزا كبيرا، ان الموارنة هم المستبدئون بالشر ،وانهم استعدوا لها الاستعداد الكافي ولولا مساعدة الاتراك للدروز " لبددت الامة المسيحية " الكافرة" شملهم " كما ورد في رسالة سعيد بك جنبلاط الى الشيخ حمود ابو نكد (١٣١) وتتهم المصادر المارونية والافرنسية وبعض المصادر الاجنبية الاتراك بالامر ولا سيما الوالي وجيهي باشا اذ تجددت الفتن بتوليه الحكم بعد عزل اسعد باشا (١٣٢) واحتج ممثلو الدول على الموقف الذى اتخذه وجيهي باشا من الحوادث (١٣٣) اما الاتراك فيتهمون عمال بريطانيا وفرنسا (١٣٤) اذ بالتقسيم خلا الجو لعمال الدولتين ، كل يعمل في منطقة ويتحضن اتباعه فيزداد الفريقان غرورا وحماسا لاقصاء او اذلال الفريق الآخر . وبعد حوادث الستين اشار فؤاد باشا الى ممثلي الدول الكبرى بذلك مبررا موقف حكومته وعجزها قائلا " ويخلق بي ان اعلن ان الموارنة والدروز شعروا بعضد الاجانب لهم فناهضوا السلطة وعصوا الاوامر ... فلم يكن لدينا اقل وسيلة لمنع الشقاق " (١٣٥) ولا سيما وتركيا تشعر بانها لم تكن مسؤولة مباشرة عن حكم الجبل ،بل اتهمت بريطانيا وفرنسا بتفاقم الحوادث . قال شاسوان اصل الاختلاف

---

١٣٠ - D. Urquhart, op. cit., II, p.397

١٣١ - Eugène Poujade, Le Liban et la Syrie,1845-1860, (Paris, 1867)p.248

١٣٢ - حسر اللثام ص ١١٦ ، ١٢١

١٣٣ - الشدياق ،المصدر نفسه ص ٧٠٢
المحررات السياسية ج ١ ص ١٧٦ .

١٣٤ - وعلق النائب الافرنسي "دى ملفيل" على مبدأ التقسيم وسياسة اوربا مخاطبا وزير خارجية فرنسا في الندوة وقائلا " ان اعوانكم واصدقاءكم يا حضرة الوزير كانوا منذ بضعة ايام يقولون ينبغي ان نجعل من لبنان اسوة بسويسرا ،اما انا فجل ما ابتغيه الا تجعلوه مثل بولونيا ،ثم خاطب النواب " اننا كثيرا يا حضرات النواب ما نرمي هذه الشعوب بعدم التمدن والغش ولكن اذا تعلمت يوما ان تكتب التاريخ فستحكم على اوربا دون شك بالخيانة .
المحررات السياسية ج ١ ص ٢٤٥ .

١٣٥ - المحررات السياسية ج ٣ ص ٣٦٧ . M.Jouplain, op.cit.,p.401

بين الطائفتين هم ممثلو الدول الاجنبية التي سعت لاثارة القلاقل في لبنان لاحراج مركز الاتراك ونيل بعض المكاسب " (١٣٦) .

واسترجاعا لنفوذهم الشامل اصبح هدف سياسة الافرنسيين ارجاع الامير الكبير فاصطدمت بممانعة الدروز ومقاومة الاتراك الذين اصروا ،بان بارجاعه بداية ثورة عامة(١٣٧)

وفي ١٦ ايار سنة ١٨٤٥ قدم سفير فرنسا في الاستانة طلب رسميا لارجاع الامارة الشهابية،وطلب المسيو غيزو من سفراء فرنسا في العواصم الاروبية ان يحملوا حكوماتها على تأييد الطلب فما نعت بريطانيا ارضاء لاصدقائها الدروز (١٣٨) وبعد الفتنة الكبرى واصل الافرنسيون مجهودهم لارجاع احد الاسرة الشهابيـــة للحكم كالامير مجيد فعارض يوسف كرم ورفض الدروز .

وخطب النائب الافرنسي الكونت " مونتالامبر" عام ١٨٤٥ فقال لقد اجمعت الاراء على ان السبب الرئيسي لهذه الحوادث هو طرد الامير الكبير الذى عملت بريطانيا على ابعاده حسدا لكونة حائزا على حماية الافرنسيين ،وقدم الموارنة عريضة الى ملك فرنسا مسترحمين اعادة الامير بشير او ابنه وانهم لن يرضوا بسلطة الدروز(١٣٩)

---

١٣٦ — G. Chasseaux *op. cit.*, p.306

١٣٧ — المحررات السياسية ج ١ ص ٦٨؛ Great Britain,Foreign Off
Correspondence relating to the affairs of Syria...,II,176

١٣٨ — المحررات السياسية ج ١ ص ١٩١

١٣٩ — المصدر نفسه ص ١٢٨ .

واستغل عمال الشهابيين عطف فرنسا وبعض الوسط الماروني على ارجاعهم فاثروا القلاقل لاظهار حاجة البلاد اليهم . ويعزو السفير الروسي تكرار المآسي الى امل المسيحيين بعودة الامير بشير — المحررات السياسية ج ١ ص ١٥٣ .

وذكر رستم باز . "وبعد تشكي الدروز على عمر باشا ارسلت الحكومة خليل باشا فمكث في لبنان ثلاثة اشهر واكثر ... ورجع الى اسطنبول وقرر قائلا ان سكان اكثرهم نصارى ... والنصارى ترغب رجوع الامير بشير ،ويقولوا لا احد يقدر يضبط غيره ... ولكن دولة الانكليز مانعت اشد الممانعة ،لان هي اخذته الى مالطة ،واملا انه اذا لزم الامر لرجوعه يكون عن يدها دون غيرها ،حتى لا يعرف الامير بشير دولة غيرها ولو بقي الامير في مالطة لا اكثر من سنة لتم الامر . وهذا القول ليس ظنا بل واقع الحال حقيقة ص ١٠٩ . ولكن الواقع يثبت ان الاتراك لم يكونوا راغبين ايضا بعودته .

وازداد تدخل الافرنسيين بشؤون البلاد الداخلية فاذا ما الحكومة قبضت على مذنب تدخل القنصل الافرنسي واطلق سراحه واثناء انتداب شكيب افندى للبحث في حوادث ١٨٤٥ وجمع الاسلحة من كسروان تظاهر خليل المدور بحماية فرنسا فاعتقله الاتراك فنزلت فرقة افرنسية بحرية في جونية وانتزعته من السـجن بالقوة.(١٤٠) وكتب قنصل بريطانيا من بيروت في ٣ ك١ ١٨٥٩(١٤١) ان الاتراك قبضوا على ٣٦ شخصا في حوادث بيت مرى ١٨٥٩ واقتادوهم الى بيروت.. ثم تدخل القنصل الافرنسي واطلق سراحهم (١٤٢)

فرنسا وبريطانيا تمدان الفريقين بالمال والاسلحة

وارسلت فرنسا بعد حوادث ١٨٤١ و ١٨٤٥ نحو نصف مليون فرنك فانفقها البطريرك على تعزيز نفوذه ،وكان ارسال المال بطريقة علنية فجعل الموارنة يفتخرون بالامر ويقولون انهم سيسحقون الدروز (١٤٣) ويذكر في مكان آخر ان البطريرك كان يوزع الاموال لاغراض حربية ،اذا امر عماله ان يدفعوا لكل محارب اربعة قروش يوميا ففعلوا ،فاجتمع لديهم جمع غفير (١٤٤) .

وبعد حوادث ١٨٤٥ كتب سفير بريطانيا في باريز الى لندن اتصل بي ان بضعة الآف من بنادق " مينة" الافرنسية وزعت على الموارنة فاطلعت المسيو تيوفيل على هذا الخبر فاجاب انه من المشهور دخول كميات عظيمة من الاسلحة حديثا الى سوريا وبيعت جهارا من الدروز والموارنة وانه حين كان في الاستانة حادث

---

١٤٠ ـ الحتوني ،المصدر نفسه ،ص٣١٦ ، ١٤١ ـ المحررات السياسية ج ١ص٣٨٩

١٤٢ ـ وبعد حرب القرم اشتد التدخل الافرنسي وقوى نفوذ القنصل الافرنسي فكانت الجماهير احيانا كما فعلت بغزير تستقبله رافعة الراية الافرنسية ومطلقة النيران ابتهاجا ومعلنة انها تحت حماية فرنسا

British Consular Files, Nov.,8,1859, No.61 Moore to Bulwer,(Quoted by M.Kerr, op.cit.,p.126.)

١٤٣ ـ حسر اللثام ،ص ٧٥

١٤٤ ـ المصدر نفسه ص ١١٨

المسيو بولفر غير مرة في هذا الشأن مظهرا مخاوفه من تجدد القتال (١٤٥) وارسل الكولونيل روز لسليم باشا في ٤ ت ١ " علمنا بمزيد الاسف ان الشائع في البلاد ان موظفي جلالة الملكة وزعوا بارودا وذخائر على الطائفة الدرزية فلو أتوا هذا العمل في ظروف غير هذه لعد عملهم جناية عظمى ، فكيف اليوم والحالة حرجة والتباغض مشتد بين الدروز والموارنة ٠٠٠ اننا نحتج بشدة على مثل هذه الاشاعات المتفشية على الالسنة " (١٤٦) .

ومهما يكن من امر فان الثابت ان كلا من ممثلين الدولتين حضن فريقا وايده كثيرا او تدخل لاقصاء العقاب عنه ،ولكن يتضح ان بعض اعمال الممثلين كانت تخالف او تتخطى اراء دولهم وثانيا ان هؤلاء الممثلين لم يقدروا مدى تأثير تدخلاتهم وشدة الانفجارات التي تتولد منها كما حدث مع تشرشل ،وظهر من الوثائق الدبلوماسية الافرنسية الصادرة عن بيروت ان قنصل فرنسا " بوره" قد خالف سياسة حكومته تجاه الحملة المصرية وناصر الثورة بل انه نبّه دولته بان سياسة محمد على باشا ستكون خاسرة ومضرة لمصالح فرنسا في لبنان فكان جواب وزارة الخارجية استدعاءه لباريز والاستغناء عن خدماته في بيروت (١٤٧) .

---

١٤٥ - المحررات السياسية ج ٢ ص ١٩١

وتعليقا على هذا الخبر اعلن رئيس الوزارة البريطانية في المجلس ان الموارنة استلموا اسلحة غير هذه التي بيعت جهرا فقال "انما انا واثق بانهم اعطوا اسلحة غير التي بيعت منهم جهرا في بيروت ،ان قنصل بريطانيا في بيروت افادنا بان القتال نشأ عن هجوم الموارنة لاقصاء الدروز عن البلاد ٠٠٠٠٠٠٠٠٠ قال صديقي انه متفش على الالسنة ان الحكومة الانكليزية تحمي الدروز انها تهمة سافلة في حين انه من الثابت لحكومة غيرها ارتباط بالموارنة ٠ المحررات السياسية ج ٢ ص ٢٨٨ ٠

Great Britain, Foreign Office, Correspondence relating to the affairs of Syria ..., I, p.423

١٤٦ - المحررات السياسية ج ١ ص ٦٧

١٤٧ - Ministre Aff. etr. Cor.pol.Beyrouth.Rap:Bourée No.27- du 27 juin 1840. (Quoted by A.Ismail, op.cit.,p.110:

ويحمل رشارد مادن ،وهو بريطاني تجول في الشرق اثناء بعض الحوادث وبعدها ،حملة شعواء على تدخل قناصل بريطانيا ،ونزاعهم المستمر مع رجال الدين الماروني معا ضده للارساليات الانجيلية ويقول ساخرا فقد اصبحوا ممثلي الارساليات الدينية لاحكوماتهم

R. Madden, op. cit., II, 32,267

ومن عمال بريطانيا الذين الصقت بهم تهم كثيرة ،مستر وود الكولونيل تشرشل (١٤٨) واما عمال فرنسا فكثيرون لتغلغل النفوذ الافرنسي منذ امد بعيد ومنهم فئة من الوطنيين العلمانيين والروحيين ،ويستدل كما ذكر بعض المرسلين الاميركيين وهم شهود عيان وقد تداخلوا احيانا بعامل انساني لمساعدة الجرحى والمنكوبين ان الباعث الاساسي لهذه الحركة كان عاملا زمنيا وسياسيا لبسط النفوذ (١٤٩) .

ويلاحظ انه رغم جميع النوايا الطيبة التي ابدتها فرنسا نحو الموارنة في هذه الفترة لم توفق لمجاراة السياسة البريطانية ،بعدة اسباب ، منها تقلب السياسة الافرنسية ،ازاء ثبات السياسة البريطانية ،انعكاسا لتقلب السياسة الداخلية في فرنسا نفسها وانتقالها من دور جمهوري الى امبراطوري وغير ذلك فيما كانت السياسة البريطانية على الاكثر تدور حول محور المحافظة على طرق الهند (١٥٠) وصيانة كيان الامبراطورية العثمانية ،وبالتالي المحافظة على صداقة الدروز كنقطة ارتكاز لها في هذا الجزء من العالم العربي ،كانت السياسة الافرنسية موزعة بين العوامل الثقافية والسياسية والدينية فأدى هذا الى كثرة تغيير الممثلين السياسيين ،وعلى الاكثر لم

---

١٤٨ - كتب المرسل الاميركي جسب عن تشرشل ما يلي -

Regarding this war as begun by the Maronite patriarch and bishop, who openly announced their plan for exterminating the Druzes...., he (Churchill) threw his whole influence on the side of the Druzes, and actually planned the "Bethel and Ai" campaign against Zahleh. But, in justice to him, it should be said that as soon as the Druzes with the aid of Turkish military officers... to disarm the Christians and then massacre them like sheep, he turned against them, wrote to them spoke to them, denouncing them as wild beasts .... His book on "The Druzes...." is the only correct published account of the struggle of 1860 and its political causes and results".H. Jessup, op.cit.,I,p.174.

١٤٩ - A. Anderson; op.cit., I, p.275.

١٥٠ - ابو عز الدين ،المصدر نفسه ص ١٥١

يكن هؤلاء من الوزن الثقيل المعادل لزملائهم البريطانيين (١٥١) لهذا ضعف مركز الموارنة وطمع بهم الدروز احيانا . كما انه من العسير ان نسير غور التدخل الافرنسي لتغلغله في لبنان منذ امد بعيد ،ولا سيما لم نطلع على المراسلات الافرنسية الدبلوماسية بهذا الشأن وقد حدثني احد كبار الاساتذة الذى اتيحت له الظروف ان يقف على بعضها في باريز فقال لو نشرت هذه الوثائق لتعرضت شخصيات كبيرة وكثيرة في لبنان للخزى والعار .

---

١٥١ - Pierre Ghalib, op.cit., p.217

وقد اشار لامارتين في خطابه في الندوة الى هذا الانقسام والضعف وبعد ان يهاجم سياسة حكومته وضعفها وعطف بريطانيا والنمسا ضدها يقول " لاني ان كنت اسلم بوجود مسائل خلافية في الشؤون الداخلية فاني استنكرها متى كان الامر متعلقا بمقاومة اعتصاب الدول الاوروبية علينا ...
المحررات السياسية ج ١ ص ٢٦٩ .

رابعا - تأثير يقظة الشعب باندلاع ثورة الفلاحين في كسروان

ويخيلّ للباحث ان تاريخ لبنان قبل العهد المصرى وفي الحقبة الاولى من عهد الامير بشير الثاني كان اشبه بسجل للنزاع بين رجالات الاقطاع انفسهم وعلى كل فريق منهم امير من العائلة الحاكمة بتحريض في معظم الاحيان من ولاة الدولة العثمانية (١٥٢) ولكن في الشطر الثاني من عهد الامير بشير الثاني ، وسلفه ولا سيما طيلة العهد المصرى ،اصبح الصراع قائما بين الامراء ورجالات الاقطاع . وكان الامير بشير الثاني كما مر اشدهم فتكا وكذلك الفاتح المصرى . وبعد سقوط الامير بشير الثاني اصبح تاريخ لبنان في حقبة العشرين السنة التالية ١٨٤٠ - ١٨٦٠ ،صراعا مستمرا بين رجالات الاقطاع من جهة وبين الامراء ثم زعماء الدين ثم عامة الشعب من جهة ثانية وكان هذا الصراع يطفو ويخبو بموجب العوامل والمناسبات ،ويعتقد بعض المؤرخين ان الاقطاع مر في ثلاث مراحل في هذه الحقبة ، المرحلة الاولى ١٨٤٠ - ١٨٤٢ وفيها استطاع رجالات الاقطاع بمعاضدة الدول الاجنبية ،طرد الفاتح المصرى ونفي الامير بشير الثاني وخلع الامير بشير الثالث .

والمرحلة الثانية تمتد من ١٨٤٢ - ١٨٥٤ وهي الفترة التي نعم فيها رجالات الاقطاع ببعض النفوذ ومحاولة استرجاع ما خسروا من املاك مغتصبة او مرهونة او مباعة اثناء العهد المصرى بثمن زهيد . اما المرحلة الثالثة فهي ابتداء انهيار النفوذ الاقطاعي ولا سيما في القطاع المسيحي لاسباب عدة (١٥٣)

وبلغ هذا الانهيار والاذلال الذروة في الثورة الشعبية في كسروان فيما ظهرت فئة اخرى تناصبهم العداء ،وتثيرها حربا عوانا ،لا لين فيها ولا هوادة فتشتت شمل الاقطاعيين وتطردهم من اقطاعهم وتغتصب املاكهم وتعلن الحكم "جمهوريا او شبة جمهوري" (١٥٤) والسلطة للشعب وان الالقاب والرتب تمنح بموجب غنى الرجل ،

---

١٥٢ - ليس من العبث ان يسمي الشدياق كتابه اخبار الاعيان في تاريخ لبنان

١٥٣ - ينهي عادل اسماعيل المرحلة الثانية بعام ١٨٤٥ ،ويتضح لنا ان عام ١٨٥٤ اقرب لواقع الحوادث وهو العام الذى خسر فيه رجال الاقطاع صديقين هما البطريرك يوسف الخازن والامير حيدر اللمعي ،كما انه في حرب القرم ،ازداد النفوذ الافرنسي وسياسة الافرنسيين كانت تتجه نحو معاضدة الشعب الماروني لا المشايخ لاشتراكهم بالثورة على محمد علي باشا ولاتصالهم بالممثل البريطاني .

١٥٤ - العقيقي ،المصدر نفسه ص ٢٠٨

وكده لا بفضل حسبه (١٥٥) ونسبه وتضطرم هذه الثورة وتسير بقيادة طانيوس شاهين (١٥٦) فيصادر املاك المشايخ ،ويأخذ ذلك بقوة "الجمهور" ويؤدب ويخضع القرى العاصية . واصبحت اعلاناته واوامره تعلن من عن منابر الكنائس . ويتجول في القرى فيلاقي بالهتاف نظير الحكام ويخاطب آل الخازن بخطابات رسمية .

اسباب الثورة

وتبتدىء الثورة بخلاف بين مشايخ الخازن والامير بشير احمد اللمعي ،قائمقام النصارى ،على السلطة ،وهي في الواقع تبرز بمظهرين مهمين المظهر الاول هو تنازع النفوذ بين اعيان المسحيين من رجال الدين والدنيا بعد سقوط الشهابين(١٥٧) وثانيا وهو يقظة الشعب وتفتحه للاسباب التي ذكرت في الفصل السابق من جراء العوامل الجديدة (١٥٨)

---

١٥٥ - خانجيان المصدر نفسه ص٧

١٥٦ - رجل بيطار من ريفون ،وهو بحكم وظيفته كبيطار للبغال كان رجلا قويا مفتول الساعدين فاستلم زمام قيادة الثورة عمليا .

١٥٧ - يرجع العقيقي وخانجيان الخلاف الى سوء اخلاق الامير واستبداده العقيقي المصدر نفسه ص٤٩ ،خانجيان المصدر السابق ص ٣
ولا شك ان هذه الاسباب اضعفت مركز الامير ولكن ما كتبه مولكلم كير مستمدا من وثائق القنصلية البريطانية في بيروت ما يؤيد الرأى الاول وورد فيها - ان مشايخ الخازن قدموا مذكرة الى نسيبهم البطريرك يوسف الخازن مقترحين ان يكون الامير اسماعيل ابن الامير حيدر قائمقاما ،وهو رجل ضعيف التدبير على ان يكون احد الخازنيين "كاخية له" ثانيا اوان يكون القائمقام من عائلة الخازن - ثالثا اوان يكون مرجع المشايخ الحاكم التركي لا القائمقام فرفض البطريرك الطلب .

British Consular Files. May, 19, 1854No:16.
Quoted by M. Kerr, op. cit., p.41.)

١٥٨ - ويذكر هاملن ان بعد صدور الخط الشريف اصبحت لا تسمع في الاستانة الا الارمن واليونان وسواهم يتحدثون عن مصالحهم القومية ويعنون بها المصالح الطائفية من مدارس وكنائس وجمعيات وقد اثار تجار الارمن مسألة ضرورة تمثيلهم في المجلس البطريركي ... ويقول انها حركة ديمقراطية قد ينسبها اعداؤها الى الاجانب والى كل شيء يسيء سمعتها .

C. Hamlin, op.cit., p.67.

وحاول الخازنيون اثارة الشعب عليه فاستطاع الامير كما قال الحتوني برد السهام الى اخصامه (١٥٩) فاثار الفلاحين مستغلا نفورهم من استبداء المشايخ ؛ وقد اغتصب بعضهم املاك الفلاحين واعتدى بعضهم على العرض (١٦٠) وفتكوا بالفلاحين لأتفه الاسباب (١٦١) ويظهر ان روح الثورة لم تضطرم لاسباب شخصية بحتة بل ليقظة ونفور عام من السلطة واستبداد المشايخ والىهذا يشير الحتوني بقوله " وبهذه الغضون هاج بعض الجهلة من قرية عومون على المشايخ الدحداحيين سكان عومون وراموا طردهم منها ..." وقد نهاهم العقلاء عن ذلك (١٦٢) " كما حاول فلاحو غزير خلع ولاية حبيش عنهم " (١٦٣) .

ولم ينج رجال الدين من الاتهام بتشجيعهم للثورة رغبة " باضعاف رجال الاقطاع فقد اراد البطريرك كما قال يوسف بك كرم ان يحكم مدنيا (١٦٤) وقيل انه كان يشك بصدق مارونية القائمقام .

وتستغل فرنسا وبريطانيا وتركيا الموقف لتلعب كل منها دورا مهما في تفاقم الحوادث فتناصر فرنسا الثوار ،انتقاما من آل الخازن (١٦٥) .

---

١٥٩ ـ الحتوني ،المصدر نفسه ص ٣٣٢

١٦٠ ـ العقيقي ،المصدر نفسه ص ٧٦

١٦١ ـ المصدر نفسه

١٦٢ ـ الحتوني ،المصدر نفسه ص ٣٤٣

١٦٣ ـ المصدر نفسه ص ٣٢٥

١٦٤ ـ واشيع ان البطريرك يثير الفلاحين على المشايخ فتظاهر المشايخ امام صرح البطريركية مدججين بالاسلحة وناصر الشعب البطريرك وتدخل يوسف بك كرم منعا للاصطدام بشعلاني ،المصدر نفسه ص ٢٥٦ .

١٦٥ ـ ويظهر ان بعد حرب القرم عاد الاختلاف بين عمال بريطانيا وفرنسا في لبنان فعضدت فرنسا الامير القائمقام ، وايدت الثورة ،وغضبت على مشايخ الخازن وآل حبيش ،لمقاومتهم محمد علي باشا ،واسترشادهم باراء عمال بريطانيا وذنبهم الوحيد برأي مستر تشرشل التجاؤهم الى قنصل ببريطانيا .
C. Churchill. The Druzes and the Maronites...,op.cit., p.125
ويقول الحتوني ـ وفي اثناء ذلك حضر الشيخ بطرس وأكد حبيش من قبل قنصل بريطانيا ليأخذ معروض التشكي المطرز باختام المشايخ الخازنيين وغيرهم من الذين هم ضد الامير ولما اطلع عليه قنصل دولة فرنسا اغتاظ جدا بعدم قبولهم ارشاداته وانقيادهم الى رأي الدولة الانكليزية ص ٣٢٩ ويذكر ايضا انه سنة ١٨٥٧ حضر فومان من دولة فرنسا الى قنصلهافي بيروت السنيور ادمون دليسران يكون جنرالا على سورية فانسر القائمقام بذلك وتقوى لآن القنصل المذكور كان من المعضدين له .
المصدر نفسه ص ٣٢٦ .

وتعطف بريطانيا على المشايخ من آل الخازن وحبيش (١٦٦) وتناصر تركيا الفريقين لبث روح التفرقة بين المسيحيين واضعاف سلطة الاقطاع المسيحي والغاية منها كما قال يوسف كرم التمهيد لحوادث الستين (١٦٧)

اما قنصل بريطانيا فيرى فيها " تكريه " الشعب بنظام الحكم وطلب والي تركي (١٦٨)

امتداد الثورة للاقطاع الدرزى واصطباغها بالطائفيين

ويظهر ان رجال الاقطاع الدرزى شعروا بخطورة الحوادث وامكانية امتدادها وشمولها فنصحوا اصدقاءهم الخازنيين بالتبصر والتروى فلم يرعوا . قال فيليب الخازن احد جامعي المحررات السياسية في مقدمة كتابه بالجزء الثاني ،نحن نعلم من رواة ثقاة ان سعيد بك جنبلاط استشف بواطن مكيدة ثورة ١٨٥٨ التي ديرها خورشيد باشا فارسل يوسف الخورى يحذر مشايخ الخازن من عواقبها (١٦٩)

---

١٦٦ — وجاء في الحتوني — " وفي هذه السنة ١٨٥٦ تظاهرت اخصام الامير بشير القائمقام وكان المقوى لهم قنصل دولة الانكليز في بيروت ،وفيها قدم الكولونيل تشرشل بك من عائلة الدوك ملبروك ... الى جونيه قصد تغيير الهواء في فصل الصيف فاخذ يقوى التعصب في كسروان ضد الامير"
الحتوني ص ٣٢٥
يظهر ان بريطانيا ايدت او رضيت في مستهل الامر عن الامير بشير احمد ولكن بعد ان اتجه نحو الافرنسيين وشرع بمقاومة اصدقائها قلبت له ظهر المجن .
M. Kerr. op.cit.,p.106

١٦٧ — ويظهر ان السياسة التركية انسجمت مع السياسة الافرنسية من حيث الوسائل وان اختلفت الغايات ويلاحظ بصورة خاصة ازدياد النفوذ الافرنسي في لبنان بعد حرب القرم نظرا للدور المهم الذى لعبته فرنسا فيها . راجع كير نقلا عن اوراق القنصلية البريطانية .
Ibid. p.126

١٦٨ — وفي عام ١٨٥٩ يكتب قنصل بريطانيا في بيروت ان الحكومة التركية تثير طبقة على طبقة من الشعب فتحرض المشايخ وتساعد الثوار لتكريه الاهالي من طريقة الحكم وطلب حاكم تركي — المحررات السياسية ج ١ ص ٣٥٩
وذكر خانجيان "واما طانيوس شاهين فكان يستشير باعماله خورشيد باشا والي صيدا " ص ٧ . وقابل الحتوني طانيوس شاهين شخصيا وحذره من الجيش التركي فضحك طانيوس قائلا اما تعلم ان الباشا هو المرشد للاعمال "فسكت وانا متعجب من كلامه " الحتوني ،المصدر نفسه ،ص ٣٤٧ .

١٦٩ — المحررات السياسية ج ٢ المقدمة .

قال الحتوّني " في هذه الغضون ارسل سعيد بك جنبلاط معتمدا من قبلـه يوسف الخوري البكاسيني (١٧٠) ومعه احد عقال الدروز يخاطب بلسانهما المشايخ الخازنيين قائلا ان تحزبهم ضد قائمقامهم هوآيل لضررهم ،وضرر كامل ذوي الاقطاع في جبل لبنان فاجابه الخازنيون متشكرين من معروفه ،حامدين زاكي فهمه ،وانهم صاروا يتبصرون بما هو موافق " (١٧١)

ولقد صح تكهن الشيخ سعيد جنبلاط فقد لفحت الثورة الاقطاع الدرزي بلهيبها ،وجاء في المواسلات الدولية " اننا نلاحظ ان اول غازي للقائمقامية الدرزية هو زعيم شعبي قام بثورته في مقاطعته وان المحركين الاوائل ضد الدروز هم من انصار هذا الرجل واذا عرفنا ان رجال الدين عطفوا على ثورة الفلاحين ،وان عددا كبيرا من الارستقراطية المارونية نسب اليها التحيز الى الدروز،جاز لنا ان تعتبر حوادث الستين كانت حركة ضد الاقطاع ،من ان تعتبر عراكا دينيا او جنسيا ولكن اخيرا انحطت عن غرضها واصبحت حربا دينية " (١٧٢)

ويستغرب بعض الكتبة فتور الموقف الذي اتخذه الاقطاع المسيحي تجاه الفتنة الكبرى ،فمنهم من يرى فيه تآمرا او معاضدة سلبية للاقطاع الدرزي ضد الفلاحين فكتب تشرشل ان امراء الموارنة وشيوخهم لم يتخطوا الحدود لمساعدة ابناء طائفتهم في الجنوب ،فالقائمقام المسيحي ارتشى وحاول منع بعض افراد اسرته من مساعدة المسيحيين ،واكثر الامراء والشيوخ المسيحيين تمنّوا سراً انتصار الدورز لان بانتصارهم والاقطاع ... ثم قال ان اعداء الدروز هم رجال الدين لا الارستقراطية المسيحية التي لم تشترك قلبيا باية حركة ضدهم ولم يتحرك من شيوخ الشمال لنجدة اخوانه في الجنوب سوى واحد (١٧٣) تقدم ثم جمد مكانه مبررا جموده وجبنه بتدخل القناصل (١٧٤)

---

١٧٠ ـ هو والد الدكتور شاكر الخوري صاحب مجمع المسرات وقد ذكر الحادثة في كتابه .

١٧١ ـ الحتوّني ،المصدر نفسه ص٣٢٩

١٧٢ ـ Great Britain. Foreign Office. Correspondence relating to the affairs of Syria ..., II, 197

١٧٣ ـ شارة الى يوسف بك كرم

١٧٤ ـ C. Churchill, The Druzes and the Maronites ..., p.178.

ويذكر العقيقي ان مشايخ الخازن اخذوا يكاتبون جميع الامراء والمشايخ ومنهم مشايخ الدروز " ولم حصل لهم نتيجة " (١٧٥)

وذكر ريشارد ادوار واضع كتاب سوريا ١٨٤٠ - ١٨٦٠ - ص ١٣٠ انه علم من مصدر يوثق بصحته ان الامراء الدروز ومشايخهم عرضوا على الخازنيين مساعدتهم بالتنكيل باهل كسروان فرفضوا (١٧٦)

ويفسر بعض المؤرخين هذا الفتور بضعف الاقطاع المسيحيين وانقسام المسحيين على انفسهم ،(١٧٧) شجع ذوى المآرب على اذكاء نار الثورة واشعالها .

بل يذهب احدهم الى ابعد من ذلك فيتهم بعض المسحيين بخيانة ونقل الاخبار الى زعماء الدروز والدس على ملته (١٧٨) ويصف الاب الحتوني الحالة متألما في ابتداء ثورة الستين قائلا " غيران الكسروانيين لم يزالوا لاهين ومشغولين

---

١٧٥ - خانجيان ،المصدر نفسه ص ٢٠

١٧٦ - المحررات السياسية ج ٣ ص ٢٥١ في الهامش

١٧٧ - وجاء في المحررات السياسية " وبينما كانت بوادر الثورة الثانية ظاهرة كانت اسرتا حبيش ودحداح في نزاع دائم توشكان ان تتفانيا .
المحررات السياسية ج ١ ص ١٢٣ - ويصف البعض حالة الفوضى في الاقطاع المسيحي والضعف والانقسام فيقولون . قال ممثل بريطانيا ان مسيحيي لبنان عشيرة همجية عاجزة عن ادارة شؤونها فالاكليروس والنبلاء متشاحنون تتقد في صدورهم نيران التباغض .... وكسروان مسرح للجنايات والاعتداءات المتواصلة المحررات السياسية ج ٣ ص ٤٩
ويكتب آخر ان الفوضى تتفاقم في الاقطاع المسيحي فالشعب يحتقر اميره ويطرد رجاله . المحررات السياسية ج ١ ص ١ . بينما يكتب شاسوان الامير امين ارسلان يتمتع باحترام بالغ ... هذا الاحترام والمحبة نحو اميرهم منح الدروز منعة وقوة عظيمة . G. Chasseaux, Druzes of the Lebanon pp.372-374

وكتب شاهد عيان لا زعيم ،لا رئيس ،طانيوس شاهين لا ينظر اليه الشعب باحترام . وجاء في المباحث الاجتماعية كيف تشتت الخازنيون وقبع آل حبيش وغيرهم في دورهم في ذلة واستكانة مباحث اجتماعية ص ٣٠١

١٧٨ - مخطوطة "كتاب الاحزان في تاريخ واقعة الشام " ص ٥

في ثورتهم الوطنية ،ضد العائلة الخازنية ،ولم يتنبهوا للداهية الدهماء ،والمصيبة العمشاء ،التي بها كانت الاعداء ،تستنبط الحيل لايقاع الضرر في العموم ،وتروى ظمأها من اهراق الدموع ،الى ان تمت استعداداتهم وكملت حيلهم ومكائدهم وتدججوا باسلحتهم " (١٧٩)

وظهور هذه الثورة في الاقطاع المسيحي وضد اعيان المسيحيين ما يبعد عنها اية نعرة طائفية بل ظهرت في معقد المارونية نفسها في كسروان وضد خماة المسيحيين بالامس واعرق عائلة بينهم واكثرها نفوذا ،ثم امتد لهيب الثورة الى الاقطاع الدرزى ،وبما ان اكثرية الفلاحين مسيحيين لوثها الاقطاع باللون الطائفي (١٨٠) دفاعا عن النفس كما مرّ وتشويها لمباديها واحباط مساعيها والواقع ان الخلاف اضطرم بين عامة المسيحيين والاقطاع الدرزى ،فالاقطاع المسيحي وقف بعيدا عنها بعد ان تحولت الى فتنة طائفية ،كما ان عامة الدروز لم تتأثر بها وهي في دورها "الطبقي" اولا ،لمتانة النظام الاقطاعي الدرزى وقلة العاملين منهم في الزراعة او المثقفين كما مرّ . ولكن سرعان ما تحولت الى فتنة طائفية حتى انغمست فيها جميع الطبقات الدرزية ، وان صح ما كتبه قنصل فرنسا عن بيروت مسيو بوجاد (١٨١) بان طبقة العامة الدرزية دفعت اليها دفعا في مستهل امرها ،ولكن ما لبثت ان تحولت الى فتنة عمياء تستمد وقودها من حقائد الماضي وضغائنه ،ولهيبها من وهج التعصب المجاور ،واشتدادها ممن يتقنون اللعب بالنيران لتحقيق مآربهم وقد عودنا المسؤولون في الشرق ان استعصت المعضلة ،لوثوها بالطائفية ،كما يفعل الاتراك سادتهم ،واحتموا وراء رعاع الشعب ، او كما يقول بعض العلماء إن اشكل الحل عليهم قالوا الله اعلم !

---

١٧٩ — الحتوني — المصدر نفسه ،ص ٣٥٣

١٨٠— George Antonius, The Arab Awakening. (London. 1945) p. 57.

١٨١ — E. Poujade, op. cit., p. 245

كتب اهل زحله الى المسيو بوجاد قنصل فرنسا في بيروت "يؤخذ من الافادات التي تلقيناها ما يثبت ان الدروز لم يأتوا لمحاربتنا الا مكرهين من اصحاب الاقطاع فانهم يجبرونهم على ذلك بضرب العصي . ولامراء ان لبنان لا يتمتع بالراحة ما دام لزعمائه امتيازات ومعافيات كان يمنحهم اياها امير الجبل ،من الممكن عقد صلح بين فلاحين الدروز والمسيحيين وانما يتعذر ذلك مع زعمائهم الذين يريدون حفظ امتيازاتهم وسلطتهم على اخواننا وهذا مما لا نرضاه "

خامسا _ تأثير اشتداد الازمة الشرقية والتدخل الاجنبي :

حالة الذميّين عامة

وكان الذميّون عامة والمسيحيون خاصة يتمتعون بفضل نظام الملل بنوع من العدالة وبقسط من الحرية كحرية المعتقد ،وحرية ادارة مصالحهم الشخصية من معابد ومعاهد واحوالهم الشخصية كأمور الزواج والوفاة والارث ،وفي الواقع في معظم الامور التى لا تمس الامن العام او لها علاقة مع المسلمين ،او مع اعداء المسلمين في الغرب ،(١٨٢) وكانوا الى هذا يسيطرون على معظم مرافق البلاد الاقتصادية(١٨٣) وكانوا اصحاب الحرف والمهن لمعرفتهم بعض مبادئ العلوم ولاستنكاف الاتراك منها وانشغالهم بالجندية (١٨٤)

وكان الاجانب منهم يمتعون بفضل الامتيازات بما لا يتمتع به المواطنون فكانت الامتيازات الاجنبية اشبه بنوع آخر من "الملل الاقتصادية" (١٨٥) وكما قال احدهم ساخرا لو ان الاتراك اقتبسوا الاساليب الاروبية في هذه الناحية منذ القرن السادس عشر لصفيّت مشكلة الاقليات واختفت باختفائهم من الوجود ،فكانت

---

١٨٢ _ والواقع كما مر سابقا كلما احتك الغرب بالشرق "انتقم المسلمون لانفسهم من الذميّين" . جاك تاجر ،المصدر نفسه ص١٧٨

١٨٣ _ كالاقباط في الدوائر المالية في مصر واليهود في سوريا قال مشاقة ، كان الباشا في دمشق اشبه بماسك قرون البقرة واليهود يأكلون حليبها، الجواب على اقتراح الاحباب ص٦٨

١٨٤ _ كان الاتراك مثلا ،حكاما وجنودا ،واليونان رجال التجارة والبحر ، ومنهم ممثلون سياسيون للخارج ،الارمن صيارفة ،الالبان حراس ، البلغار خياطون ،

R. Davison, op. cit.,p.49

W. Ramsay, Impressions of Turkey during Twelves Years Wandering, (London,1897)p.22

١٨٥ _ كان الاجانب مثلا يدفعون ضريبة جمرك ٣٪ بينما تدفع الرعايا ٥٪ _ ١٠٪

W. Eton, op.cit.,p.56.

هذه الاقليات في بعض الاوقات اسعد حظا واكثر حرية من مثيلاتها في الغرب(١٨٦) مما حمل بعض المؤرخين على القول ان الاتراك اول دولة حديثة اعترفت ومارست حرية المعتقد (١٨٧) ولكن اهم ما كانت تفتقر اليه هذه الاقليات ليس حرية المعتقد فحسب — والمرء قد يظهر او يبطن من المعتقدات ما يشاء — بل حرية الحياة والعيش والتمتع بها ،بل روح المساواة والكرامة الانسانية التي لم تنعم بها شرعيا على الاقل يوما واحدا ،(١٨٨) اذا كانت تعتبر قانونيا وعمليا غريبة عن حياة الاكثرية محتقرة شرعا تعيش على هامش الحياة ،وهي الى ذلك وما حولها من

---

١٨٦ — "Ihave heard Turks express ironical regret that they did not westernize in the 16th Century. If they had followed our example then, they would have no minorities to bother them to-day. It is undoubtly true that down to the latter part of the seventeenth Century the Middle East had the more tolerant traditions toward alien subjects; and this was of Eastern derivation". "The introduction of the Western formula among these people has therefore resulted in Massacre"
Arnold Toymbee, the Western Question in Greece and Turkey. A study in the Contact of civilization, (Edinburgh, 1923)pp.267,16,
H. Gibbon, op.cit., p.81:

١٨٧ —

١٨٨ — ومع ما اتصف به عهد محمد على باشا بالتسامح ورغم اعتراف الباشا بفضل المسيحيين الاروبيين على نهضته ،فالمسيحيون لم يكونوا على قدم المساواة مع المسلمين فقد حثّ الباشا الكولونيل "سيف" على اعتناق الاسلام ليتسنى له قيادة الجيش،جاك تاجر ، المصدر نفسه ص ٢٣٤ .

ويقابل فشر بين فظائع الثورة اليونانية مع خسائر اليونان وبين ما تمتع به اليونان من رخاء مادى ومركز تجارى موموق ويقول ولكن ما قيمة هذه كلها ازاء الحياة والشرف المعرضين دائما للامتهان والاخطار .

H. Fisher, A History of Europe, (London, 1945) p.883

ويعلق لويس فارلي اهمية كبرى على العنصر الاجتماعي الديني في المسألة الشرقية فيقول "ان الفلاح الذى تغتصب املاكه لانه مسيحي ،وتغتصب امرأته وابنته ، ويقتل ابنه لانه دافع عن شرفهما ،ولا تقبل شهادته للسبب نفسه ،هذا العاثر لا يهمه من الظالم بل مصدره ، وجاء من اختطف ابنة مسيحية واقنعها باعتناق الاسلام يعفى من الخدمة العسكرية .

Lewis Farley, Turks and Christians, a solution of the Eastern Question; (London, 1871) p.1.

الاكثرية بحاجة ماسة للتفتح والانطلاق فقد كانت اشبه بمجتمعات مغلقة تدور حول نفسها . بل هي على عهد اوذمة الاكثرية الحاكمة اواشبه بخادم يعمل باتفاق وتعهد ولكن شروطه موجبة للطرف الاضعف ،قال يوليوس رتشر " وعموما طالما المسيحيون راضون بهذا التمييز بين الملل فهم في امان وخير ولكن اذا ما حاولوا التحرر من تلقاء انفسهم او بمداخلة خارجية اصبحوا خارجين على الذمة والعهد وعرضة للمخاطر " (١٨٩)

ولكن هذه الاقليات اصبحت لا ترضى ولا تقنع بما فرض عليها من اوضاع بعد ان تأثرت بالنزعة القومية السائدة في القرن التاسع عشر وتنسمت روح الثورة الافرنسية وارتشفت بعض مناهل الحضارة الغربية التي تحترم حرية الفرد وحياة الفرد وكرامته هي القياس . ومما زاد الامر تجسما هو انه بارتشافها واقتباسها بعض مظاهر الحضارة الاروبية ،ارتفعت الحواجز بينها وبين الاكثرية وازدادت شقة الاختلاف في وضعها الثقافي والاجتماعي والاقتصادى وشعرت بقوة الغرب وبطشه وتقدمه فانعكست الآية (١٩٠) واصبحت الاقليات تنظر الى الاكثرية الحاكمة نظرة الازدراء والشماته ، فاخذت تتحين الفرص للانتفاض وتبتهج لاى تدخل اجنبي لعله يخفف من وطأة ظروفها . ولقد اتاحت لها الظروف ما تشتهيه بظهور عوامل مستجدة اخذت تبرز بعنف منذ اوائل القرن التاسع عشر ،وكان من اشدها تأثيرا هو ما اصدره السلاطين من خطوط "شريفة" و"همايونية" تؤيد حق الاقليات في المساواة وتكشف عن فداحة الغبن والتحيز الذى تعانيه ،وتحاول الغاء هذه الحواجز الاجتماعية بين الملل (١٩١) ، وكان اهم اهداف هذه التنظيمات والاصلاحات تقوية الدولة لمجابهة الاخطار المحيطة بها .

---

١٨٩ - J. Ritcher, op.cit., p.60

١٩٠ - وكتب الجبرتي اثناء حملة نابليون " تطاولت النصارى من القبط والنصارى الشوام على المسلمين بالسب والضرب ونالوا منهم اغراضهم واضهروا حقدهم ولم يبقوا للصلح مكانا وصرحوا بانقضاء ملة الاسلام وايام الموحدين عبد الرحمن بن حسن الجبرتي ،ج ٣ ص ١١٣
عجائب الاثار في التراجم والاخبار (القاهرة ١٣٢٢ هـ) ج ٣ ص ١١٣

١٩١ - Ed. Engelhardt; La Turquie et Tanzimat, ou Histoire des reformes dans l'empire Ottoman depuis 1826 jusqu, a nos jours, (Paris, 1882, pp. 3; 36, 139)

وكان من جراء هذه المحاولات للاصلاح ان برزت للعيان ظاهرتان خطيرتان الاولى ارتفاع موجة التعصب بين عامة الشعب ارتفاعا قل مثيله في مراحل العهد العثماني السابقة (١٩٢) فتعرض المسيحيون لاضطهادات متنوعة في معظم اجزاء الامبراطورية (١٩٣)

والظاهرة الثانية اشتراك بعض رجال الدولة المسؤولين باذكاء روح التعصب هذا وانغماسهم في الفتن والمذابح ، اما تغطية لفشلهم وضعفهم فاستنجدوا بغوغائية الشعب ، واما انتقاما للتدخل الاروبي ، وتعتقد بعض المصادر بانها كانت خطط مدبرة من قبل حزب رجعي تشرف عليه شخصية كبيرة في البلاط وتسنده فئة من كبار رجال الدين وما حولهم من هيئات متعصبة كالدراويش وامثالهم (١٩٤)

---

١٩٢ ـ قال مادن ولاجيال مضت لم تجتاح الاستانة موجة من التعصب كالتي برزت طيلة حرب القرم بل روسيا نفسها اعلنت ما يشبه الجهاد الديني بان الاسلام والكثلكة والبروتستنتية تألبت جميعها على الارثوذكسية .

١٩٣ ـ يلاحظ احدهم كثرة المذابح في القرن التاسع عشر مثلا ، كيوس ١٨٢٢ ، كردستان سنة ١٨٤٥ ، لبنان ١٨٦٠ ، هرزيكوفينا ١٨٧٥ ، ارمينا ١٨٩٤ .

١٩٤ ـ يروى احدهم ان السلطان محمود الثاني كان يتردد احيانا على ضريح والده فسمع مرة صوتا من القبر يقول انا احترق ! انا احترق ! ، ولما سأل عن مصدر الصوت ومعناه ، قال له احد رجال الدين انه صوت والدك يا مولاى الذى يتألم ويحترق في لظى جهنم لاكثارك من البدع والاصلاحات ، فامر السلطان بنبش الضريح ، فعارض العلماء لكرامة الميت ، ولكن السلطان الح وامر بذلك واذا في الضريح درويش مختبيء ليردد ذلك الصوت ، فضحك السلطان وامر ان يضعوا الدرويش في كيس ويلقوه في البحر لاطفاء لهيب احتراقه .

Anon, The Ottoman Empire, p. 225

ويروى فارلي انه عندما حاول السلطان محمود ان يقطع جسرا اعترضه درويش يدعى الشيخ ستانلي فاخذ بزمام الحصان وصرخ في وجه السلطان ايها الباد شاه "الغيور" الم تشبع من البدع والمكاره ؟ انك تهدم اركان الدين وستحل عليك لعنة النبي ... فاندهل السلطان من جرأته فقال احد رجال حاشيته انه مجنون ... فصرخ لست مجنونا بل السلطان واعوانه ... ففتك به الجند .

L. Farley, Turks and Christians..., p. 159

وشعر ممثلو الدول الاجنبية بقرب هبوب العاصفة فشرعوا يطلقون الانذار من مختلف مدن سوريا الرئيسية تلو الانذار . ندرج هنا بعضها للدلالة على الخطر الشامل ،ولاعتقاد بعض المؤرخين بان النيران التي اندلعت السنتها فيما بعد في لبنان لم تكن الا امتدادا وتجاوبا لنيران الحقد المضطربة حوله . روى لويس فارلي انه بعد صدور الخط الهمايوني عام ١٨٥٦ حاول المسيحيون التصرف بموجبه فثار الاتراك وهاجموا كنيسة اثناء القداس وعلقوا كلبا ميتا على المذبح وعليه هذه العبارة هذا هو الخط الهمايوني ايها المسيحيون (١٩٥)

من حيفا وكتب نائب قنصل بريطانيا عن حيفا الى دولته يظهر ان رجلا بروتستنتيا فتح بيته مساء لاجتماعات دينية فكان يحضر هذه الاجتماعات رجل مسلم فعلم القاضي الشيخ امين وهدد الياس صفوري (صاحب البيت) بان كل مسلم يعتنق المسحية يقتل وتقع تبعة قتله على من افسده فقابلت القاضي وذكرته بمنشور السلطان بحرية الاديان ،فاجابني بكل سخرية ان السلطان يأكل بطيخ اصفر ،وهي عبارة عامية للسخرية والاحتقار" (١٩٦)

من القدس وفي ٨ تموز ١٨٥٨ كتب قنصل بريطانيا منها ...مشيرا الى خطورة مظاهرات الدراويش عرايا ونفوذهم باثارة روح التعصب ... وروى عن احد مكارى الجمال الذين ينتقلون بين اريحا والقدس قائلا ان هذه البلاد لم تبق ملكا للسلطان لخروجه عن الدين ومنحه امتيازات للذميين وعليه لابد للسيوف من ان تدنس بدم المسيحيين (١٩٧) ...لقد انزلت عدة اهانات في بعض العائلات المسيحية القاطنة في قرى نابلس ... وقد دمرت قريتان مسيحيتان من اساسها ... وهذا العمل زادني رسوخا في صحة نسبة قلاقل نابلس الى وجود روح كره للمسيحيين ... ان حالة المسيحيين ازدادت سوءا منذ انتهاء الحرب الروسية (١٩٨)

من بيروت ومن قنصل بريطانيا لدولته في ٢٢ تموز ١٨٥٨ قال " ... ان المدن التي معظم سكانها مسيحيون مطمئنة نوعا بالنسبة للمدن الكبيرة في داخل البلاد كدمشق وحلب ،واما المدن التي تقع على شاطيء المتوسط فهي عرضة في كل آن لهجوم المسلمين على المسيحيين والاوربيين المقيمين بها ونظرا لهذه الحالة أسأل

---

١٩٥ - Ibid, pp.135,159

١٩٦ - المحررات السياسية ج ١ص٣١٨

١٩٧ - المصدر نفسه ص ٣٢٢

١٩٨ - المصدر نفسه ص ٣٤١

بالحاح ان ترسل بعض البوارج الانكليزية ... فوجود هذه البوارج من شأنه ان يكبح جماح التعصب الاسلامي " (١٩٩)

من دمشق

وكتب زميله من دمشق في ٢ آب سنة ١٨٥٨ يصف ارتياح المسلمين لقتل قنصلي بريطانيا وفرنسا في مدينة جدة ،لكونهما "كافرين" يدنسان مدينة مقدسة ،ويرى ان حالة البلاد تعسة جدا ، فاذا لم تتغير طريقة للحكم فلا مناص من امرين اما فوضى واما ثورة كبيرة (٢٠٠)

علاقة دمشق بحوادث لبنان

ويظهر من معظم اقوال الباحثين ان شرارات الفتن كانت تتطاير نحو لبنان ، من لهيب التعصب المتقد في دمشق ،بمعرفة وتشجيع حزب تركي رجعي في الاستانة وتأثير الدراويش ويتضح ان هذا الحزب نشط منذ صدور الخط الشريف (٢٠١) كتب هنرى غيز ان مدينة دمشق ومدن الشاطئ تنظر الى الجبل نظرة بغيضة رغم انه كان في اوقات عديدة ملجأ لاهلها ،فمن دمشق انطلقت الشرارة الاولى فكانت سبب الفتنة التي حدثت مؤخرا في لبنان ،تطاير ذلك القبس من سراى نجيب باشا فالهبت نيرانه لبنان (٢٠٢) وجاء في مخطوطة في الجامعة الاميركية يؤيد كاتبها هذا القول " وقد هجم العريان على زحلة بعسكر نجيب باشا فظهر للنصارى ان نجيب باشا موافق لدى الدروز لكون شبلي العريان متعينا في خدمته (٢٠٣)

وينقل اسماعيل عن الوثائق القنصلية الافرنسية في بيروت خبرا مفاده ان رجلا بلجيكيا قدم دمشق عام ١٨٤١ لطلب عمل وقابل الباشا آنذاك فصرح له الباشا ان سياسة معظم رجال الديوان السلطاني وعلى راسهم رؤوف باشا يفكرون بجعل سوريا مركزا وقوة للبعث الاسلامي . ويعلق اسماعيل قائلا ويظهر ان هذه الفكرة تبناها الاتراك منذ منتصف القرن التاسع عشر (٢٠٤)

---

١٩٩ -

٢٠٠ -

٢٠١ - وقيل ان عبد المجيد اقام حفلة بهذه المناسبة فحدث انفجار هائل في مكان قريب فاطفأت الانوار وخاف الجميع واذا بصوت يهمس ،باللغة الافرنسية مرددا ما جاء في سفر دانيال النبي "منا منا ،تقل وفرسين" .

٢٠٢ - H. Guys, op. cit., II, p.150   R. Davison, op.cit., p.4

٢٠٣ - مخطوطة رقم ٥٢٨ يعتقد بان الاب فاخوري كاتبها .

٢٠٤ - A. Ismail, op. cit., IV, p.8

ويروى الدكتور مشاقة انه كثيرا ما تردد على دمشق لمراجعة سليمان افندى باشغال تتعلق بامراء شهاب ،وانه بعد حادثة بعقلين ١٨٤١ سأله سليمان افندى عن الحادثة فاخبره ... وبعد ايام تكاثر عدد الدروز بالشام واستمر وفودهم اليها ... وصدف الدكتور مشاقة ان سمع سليمان افندى يكلم وجيها درزيا ... وشاهد الشيخ قاسم القاضي قادما من دير القمر فاقام اياما في الشام وقد اصحبه نجيب باشا بكمية كبيرة من الرصاص ... وهذه ادلة قاطعة على دسيسة الاتراك (٢٠٥) وفي مكان آخر يقول الدكتور مشاقة وبدأت غيوم العداء تتجمع في لبنان الشرقي وتمتد منه الى الغرب . (٢٠٦) ويقول كارنارفون (٢٠٧) ان الفتنة في لبنان هي لفحة من لفحات حركة التعصب التي عمت الشرق (٢٠٨) .

---

٢٠٥ - مشاقة ،مشهد العيان ص ١٤٦

٢٠٦ - المصدر نفسه ص ١٥٦

٢٠٧ - H. Carnavon, op.cit., p.113

٢٠٨ - ويظهر ان الحكومة كانت تشجع اثارة روح التعصب وجاء في احدى المخطوطات " وفي هذه الاثناء بعد صدور الخط الهمايوني كانت الدولة تلزم النصارى بدق الاجراس فكانت الاسلام تزداد بغضا ..." ثم يذكر كيف ان النصارى فرحوا بذلك كما يفرح الطفل بخشخاشة ولكن بدون ان يعرفوا مقصد الدولة ويقول " ثم انه من ظروف حوادث هذه السنة (سنة الستين) يظهر ان تلك الافعال هي مقصد الدولة ولو ان المسلمين لو تركوا لذواتهم لما قاموا ... وكان كلا الفريقين متداخلين في المعاملات مع بعضهم في البيع والشركات والصناعات ..." مخطوطة من مكتبة اليسوعية رقم ٦٦ ص ٣٠ .

الفصـــل الرابـــع

تفاعل وتضافر العوامل السابقة لاثارة الفتنة ،بوادر الفتنة .

اولا - تعديل نظرة الاتراك في الوضع اللبناني

لئن تحرش الاتراك بلبنان سابقا فقد كان تحرشهم تدخلا داخليا ،بدافع شخصي او طموح فردى ،قام به احد الولاة ،ولكن سرعان ما استهل القرن التاسع عشر وتغيرت الاوضاع في لبنان ،بتأثير الحوادث والعوامل السابقة ،حتى اصبحت الاستانة نفسها تعير الجبل اهتماما ملحوظا ،بل ان الظروف حتمت على الاتراك اعادة النظر باوضاع الولايات عامة ولبنان خاصة ، والاسباب الموجبة لهذه النظـرة الجديدة عديدة -

اصبحت سياسة الاستانة ،بعد ثورة محمد علي باشا ، تتجه شطر المركزية (١) من جراء طموح بعض الولاة والتدخلات الاجنبية الحديثة ،وتحسين المواصلات .

(ثانيا) - وكما انتقل النزاع في لبنان من الصعيد الحزبي القبلي الى الصعيد الدولي من جراء الحملة المصرية كذلك انتقل النزاع فيه من ،بين الامراء والولاة ،الى ما بين حكام الجبل واصحاب السلطة في العاصمة ،فاصبحت الاستانة مركز التوجيه فيه بعد ان كانت صيدا او عكا ،بل اصبحت الاستانة نفسها من جرائه مركزا للنشاط الدولي (٢)

(ثالثا) - ان الحملة المصرية كشفت عن اهمية لبنان من ناحيتين بارزتين على الاقل ، الاولى موقعة التراتيجي ،فهو بنظر بعض المؤرخين قلعة طبيعية تفوق قلعة عكا ، مناعة وقوة (٣) والناحية الثانية بسالة جنوده وشجاعة شعبه في الدور المهم الذى مثله اللبنانيون في حالتي تقدم الفاتح المصرى وتراجعه .

(رابعا) - ان معظم متاعب الامبراطورية في ذلك العصر ناجمة عن مشاكل المسيحيين وتدخلات الاجانب اما لتحسين اوضاعهم واما ذريعة للتغلغل وبسط النفوذ .وفي لبنان اكثرية مسيحية لها صلات معروفة مع الغرب وصلات مستجدة تنمو وتشتد ولا سيما بعد تنصر امرائه .

(خامسا) - ان المنافسة الدولية في لبنان ومؤامرة امراء لبنان ،مع دول الغرب او

---

١ - R. Davison, op. cit; p.12

٢ - ويعبر رستم باز عن هذا النشاط يقول الامير امين لابيه الامير الكبير المنفي فيها " تريث مكانك ان اسطنبول صندوقه ومفاتيه في لندن " المذكرات ص ١١٦ .

٣ Aff.Etr. Turquie Cons. Beyrouth, T.III, Rapport de Bourée No.30. (Quoted by A.Ismail, op.cit., p.7)

مع من يمت لهم بصلة سياسية ،على الكيان العثماني ،اوجدت لتركيا المبررات لاعادة النظر بوضعه الخاص او انتزاع بعض امتيازاته .(٤)

اذا اصبح لبنان يشكل خطرا على دولة الاتراك وأمنهم ،وقد برز هذا الخطر في فترتين حرجتين في كلتيهما ،كان للبنان صلة او تحريض من الغرب ، وليس بعهد فخر الدين ببعيد عن الاذهان (٥) . بل من يدرى ماذا حدث لو هبّ اللبنانيون لنجدة نابليون ؟ فحاصروا عكا ،وجمدوا جيوش الجزار ،واطلقوا لنابليون حرية التصرف بجيشه ؟ لقد اصبح لبنان مصدر قلق ومتاعب على الاقل ، ولا سيما في عصر كثرت فيه ثورات الشعوب المسيحية ،واصبحت اوربا قوية يخشى بطشها ، وسهلت الاختراعات الحديثة وسائل النقل والمواصلات ،فما يستساغ في عصر فخر الدين الثاني لا يستساغ في عصر بشير الثاني ولا سيما والامراء الحاكمون على مذهب اوربا .

ولقد كان اكثر ما يزعج الاتراك ويقلقهم وضع لبنان الخاص وعلاقة الموارنة بالغرب (٦) . على ضوء هذه المعلومات نستطيع ان نستشف حركات الاتراك فيه ،

---

٤ ـ المحررات السياسية ج ٣ ص ٢٢

٥ ـ الفترة الاولى يوم فكر فخر الدين باستقلال لبنان بل تآمر مع الغرب على السلطة العثمانية ـ قرألي ،فخر الدين الثاني ص ٣٥٠ .
فأنشأت الحكومة التركية ولاية صيدا لمراقبة الجبل ،مثال شبلي اوراق لبنانية ج ٣ اذار ١٩٥٥ ص ١١١ والفترة الثانية في عهد الامير بشير الثاني فأنشأت الحكومة ولاية بيروت لتشديد المراقبة على الجبل .
الشدياق . المصدر نفسه ص ٦١٥

٦ ـ يذكر عادل اسماعيل نقلا عن بعض الوثائق الرسمية ان الاتراك كانوا منذ زمن بعيد ،ينظرون للموارنة والكاثوليك نظرة الحذر والاحتراس نظرا لعلاقتهم مع روما وفرنسا ،وكانوا احيانا يعاملون كرعايا للبابا او مثل الافرنج ، وكثيرا ما يضطهدون ليس لكونهم مسيحيين بل لانهم خاضعون لسلطة البابا ولنفوذ الغرب اما سائر المسيحيين فقد كانوا بنجوة من هذا الاضطهاد .
A. Ismail, op.cit., I,p.38.

ولكن مما يؤسف له ان جميع معلوماتنا مستقاة من مصادر غير تركية .

محادثة الاتراك لالغاء الوضع اللبناني

كتب البارون دى تستا " ومع انه يصعب على الباحث تحديد اسباب الفتنة لاختلاف الاجناس وكثرة الطوائف وانتشار الجهل وتفشي الفوضى ... فان المسؤولية لتقع على كاهل الاتراك لتحيزهم للدروز وتخليهم عن حماية الموارنة بل تجريدهم من السلاح وانهم منذ ١٨٤٠ وهم يهدفون لنسف الحكم الذاتي في لبنان " (٧)

وفي تقرير اللورد دوفرين ممثل بريطانيا العظمى في اللجنة الدولية المرسلة لبيروت للتحقيق في اسباب الفتنة ما يؤيد هذا فقال " بيد انه لم يبق ادنى ريب يحول دون نسبة المذابح الاخيرة الى استياء الحكومة التركية من الاستقلال النوعي للجبل ...(٨) ولهذا كان الاتراك يغتنمون الفرصة لاثارة دفائن الاحقاد القديمة بين الدروز والموارنة ،ولما ازداد تعجرف المسيحيين وتعصبهم بقوة المساعدات الاجنبية التى فازوا بها ثقل على الاتراك احتمال وطأة استقلالهم فعقدوا العزيمة على اتخاذ الدروز وسيلة ليوقعوا بهم... بيد انه ما حدث في حاصبيا وراشيا ودير قمر قد جاء مجاوزا الحد المقصود لعدم توفر شروط اللياقة في خورشيد باشا واعوانه لانفاذ سياسة دهاء كهذه ،فافرطوا فيها بحيث افتضح سر سياستهم وكان لها دوى هائل في الاندية الاروبية " (٩)

وكتب كارنافون " ومن خطط الاتراك نسف استقلال الجبل الذاتي لعجزهم ان يتدخلوا مباشرة في شؤونه . ولاحظ المرسلون الاميركيون المعاصرون للحوادث" ان تركيا ارادت ان تقنع الاروبيين بعدم صلاحية المسيحيين واهليتهم للحكم الذاتي (١٠) ويستهل الكولونيل شرشل كتابه قائلا " ويتضح لجميع الاروبيين القاطنين في الامبراطورية العثمانية وللذين على اتصال يومي مع الاتراك ومراقبة مجرى السياسة الداخلية ،يتضح لهؤلاء ان المجازر التي حدثت في سوريا لم تكن الا نتيجة منطقية ،طبيعية ،لروح الحسد المتزايد من رعاياهم المسيحيين .

---

٧ - De Testa., op. cit., II, p.45

٨ - Carnarvon; op.cit., p.118

٩ - المحررات السياسية المصدر نفسه ج ٣ ص٢٢

١٠ - Missionary Herold, Aug., 1860

ولبنان في عرفهم نقطة للارتكاز الاجنبي ،ولازدياد الحقوق والمطالب المستجدة ، وربما تأسيس دولة مستقلة ذات نتائج خطرة على العثمانيين (١١) بل ان العنصر المسيحي يعرفهم هو سرطان ينهش في " عروق امبراطوريتهم " ،وهذا هو مفتاح رموز السياسة التركية بكاملها ،اذا وعينا هذا سهل علينا ،فهم اعمالهم ،مهما رافقها من عنف او خروج عن الشهامة والعرف ٠ (١٢)

وقد يكون شرشل عنيفا مغاليا بقوله ولكنة لا يخرج عن شعور اكثرية المصادر المعاصرة ،وشعور المسيحيين المعاصرين يؤيد مبدأ هذا القول " ذكر الدكتور مشاقة ٠ وقد عاش الحوادث نفسها ،وضرب وجرح ولولا حماية احد كرام المسلمين له لقتل ،قال " وكثرت تشكيات القناصل من سوء تصرف الاتراك مع النصارى لذلك فكرت ان تقوض هذه الفئة من رعاياها وتريح نفسها من مضايقة الدول لها من اجلهم ٠" (١٣) ويروى عن احمد باشا انه قال " في سوريا مصيبتان المسيحيون والدروز فذبح اية فئة هو ربح للدولة العثمانية " (١٤)

والواقع انه رغم المصادمات التي وقعت بين الدروز والاتراك فالدروز بعرف الاتراك هم غصن في دوحة الاسلام ،وعندما ،همّ بعضهم باعتناق المسيحية حال الاتراك دون ذلك ٠

واحمد باشا هذا هو اول من وجهت الاتهامات اليه في الحوادث المشؤومة ، ولعل افظع تهمة الصقت به ما نقله سفير بريطانيا في باريز مستر كولي الى اللورد رسل ،قال مسيو توفيل الى مستر كولي " انه تلقى منذ شهر اذار افادة مآلها ان احمد باشا والي دمشق ضمر استئصال شأفة مسيحي زحلة ودير القمر فخيل اليه ان هذه الدسيسة بعيدة عن التصديق لفظاعتها فلم يحفل بها ٠ ثم طلب دولته رسالة رفعها قنصل فرنسا في بيروت اليه بتاريخ ٢٨ آذار المنصرم ينبئه بدسيسة احمد باشا فاحضرت له ،فتلاها على مسامعي ٠٠٠ وفي الحقيقة ان مضمونها يدعو الى الدهشة فاذا ثبتت هذه التهمة على احمد باشا فلا يوجد عقاب يضارع جناياته " ٠ (١٥)

---

١١ C. Churchill, The Druzes and the Maronites...,p.1
Ibid., p.54
١٢ —
١٣ — مشاقة مشهد العيان ،المصدر نفسه ص ١٥٦
١٤ — Great Britain, Correspondence Relating to the Affairs of Syria ...,II,p.178
١٥ — المحررات السياسية ج ١ ص ١٩١

وقد ذكر " فرنسوا لهنورمان" وهو معاصر للحوادث ،هذه المؤامرة مفصلة وذكر جميع الاشخاص الذين حضروا الاجتماع في قصر احمد باشا في دمشق ومنهم شيخ الاسلام ... وأفتى عبد الله الحلبي بضرورة التخلص من المسيحيين وتقرران يباشر الدروز بالضربة الاولى ويقول له نورمان - هنا تقرر مصير المسيحيين " (١٦)

وروى شارل اوبانل وهو شاهد عيان عن فتنة دمشق في تموز ١٨٦٠ ان المكيدة التي نصبها مسلمو دمشق المتعصبون لهلاك مسيحيي سوريا ،نصبت حبائلها بمهارة فائقة ،اما خطتهم فكان قوامها ابادة سكان لبنان الاشداء ليتسنى لهم ذبح اهالي المدن الضعفاء ... ففي ٨ تموز جاء جماعة من الاشرار بخمسة كلاب واطلقت عليهم اسماء ملوك المسيحيين الخمسة موقعي معاهدة ١٨٥٦ ... واخذوا يوقفون كل مسيحي يمر من هنالك ويسيقون امامه الحيوانات قائلين هذا الامبراطور نابليون ... هذه الملكة فكتوريا ... (١٧)

---

١٦ - "Le sort des chretiens de Syrie était décidé
F. Lenormant, op. cit., p.9

والدليل ان فؤاد باشا شعر بمسؤولية الاتراك في الامر فاعدم احمد باشا حاكم دمشق وثلاثة قواد برتبة كولونيل ،ونحو اربعين ضابطا من كبار الضباط.
R. Madden, op.cit.,II,p.355.

١٧ - المحررات السياسية ج ٢ ص ٢٠٧

ثانيا ـ هبوب العاصفة وبعض الاسباب المباشرة

الهدوء قبل العاصفة

ويظهر لنا من مسير الحوادث ومنطوق المصادر ان لبنان تمتع بفترة هدوء نسبي كالذى يسبق العاصفة نحو عشر سنوات ١٨٤٦ ـ ١٨٥٦ بعد التنظم الادارى الذى وضعه وزير خارجية تركيا شكيب افندى وعرف باسمه ،ومرجع بعض اسباب هذا الهدوء والاستقرار ليس للنظام الجديد وانما للعوامل التالية ـ (اولا) ـ التفاهم الافرنسي البريطاني وتحالفهما مع تركيا اثناء حرب القرم (١٨) (ثانيا) ـ وجود بعض شخصيات مسؤولة اتصفت بالحكمة والتبصر امثال سفير بريطانيا في الاستانة "السير ستراد فورد كنج" وهو باعتقاد تشرتل لو بقي منصبه لما تفاقم الامر الى هذا الحد (ثالثا) ـ تولى الحكم في لبنان رجلان من الطائفتين ،تكاد تجمع المصادر على حسن مزاياهما وما اتصفا به من الحكمة والاتزان وهما الامير حيدر اللمعي قائمقام المسيحيين ،والامير امين ارسلان قائمقام الدروز (١٩) .(رابعا) تولى السدة البطريركية المطران يوسف الخازن ،والخازنيون منذ عهد بعيد اصدقاء اوفياء لأعيان الدروز ولا سيما مشايخ آل جنبلاط ، (خامسا) ـ تقدم الامير بشير الثاني الكبير بالسن فخفت على ما يظهر الدعوة له والنشاط لرجوعه الى لبنان ولا سيما بعد ان ارتد نجله الامير امين الى الاسلام ،ولكن في السنوات الخمس السابقة للفتنة جرت بعض حوادث عالمية ومحلية اثرت الى حد كبير في تفاقم الخطب وتهيأه الجو لظهوره واهم هذه الحوادث والعوامل والمناسبات ما يلي ـ

(اولا) ـ حرب القرم وفشل الاصلاحات

قال احد شهود العيان "وعلى اثر احداث حرب القرم كما مر وبتأثير ما اصدر السلاطين من "خطوط" وبيانات (٢٠) بصالح المسيحيين تكهرب الجو في جميع انحاء سوريا ضد المسيحيين واخذت الامور تنذر باخطر الخطوب واكفهر الافق ينذر بعاصفة هوجاء مقدمة للمأساة فان عمال الولايات المجاورة للبنان حركوا حقد المسلمين على المسيحيين لما أتاهم الله من الثراء والامتيازات ،وعلى اثر فشل الاصلاحات الف الموارنة جمعية على غرار واسم الجمعية التي الفها الثوار في فرنسا ،

ـ ١٨ British Consular Files, Moore to Clarendon, No.58, Nov,25,1854.(Quoted by Kerr.op.cit.,p.37.

ـ ١٩ G.Chasseaux, op.cit.p.372f.

ـ ٢٠ ED. Engelhardt, op.cit.,pp.36,139

وقد اتهمت هذه الجمعية بتهم متنوعة وكان هدفها تحرير النصارى من ربقة النظام العثماني ،وجاء في وثائق القنصلية الافرنسية في بيروت ان خورشيد باشا خاطب المطران طوبيا قائلا اوقف نشاط الجمعية فاوقف حركات الدروز (٢١) وفي رسالة مور قنصل بريطانيا ما يشير الى هذه اللجنة فقال لي كاخية دولة الباشا " ان دولته ينسب الاضطرابات الحالية الى دسائس لجنة مسيحية مقيمة في بيروت قوامها بعض رعايا الحكومة والقسم الاخر بعض خماية الدولة الاجنبية " (٢٢)

(ثانيا) ـ تولي خورشيد باشا الحكم في ولاية بيروت

وقد اتهم بميله لنشر الدسائس وتهامله وتحامله على المسيحيين ، وقد حكمت عليه المحكمة الدولية بغمس يده بالجرائم ،والادلة على ان اكثر المذابح حدثت في الاماكن التي كان فيها الجند التركي وقد اتهمت المصادر اشتراك الجند في المعارك لصالح الدروز كما سيأتي بيانه في بوادر الفتنة .

(ثالثا) ـ وفاة البطريرك يوسف الخازن ١٨٥٤

وتولى المركز اول بطريرك من عامة الشعب هو البطريرك بولس مسعد وقد عرف بتعصبه الشديد وكرهه للاعيان وطمحه بالحكم وقد روى المطران يوسف الدبس في تاريخه المعروف تاريخ سوريا انه بعد وفاة البطريرك يوسف حبيش ١٨٤٥ كان المطران بولس مسعد المرشح القوى لهذا المنصب ولكن العوامل محلية سياسـية اسندت الكرسي البطريركية الى مطران من بيت الخازن .

---

٢١ ـ A. Ismail op. cit., p.535

٢٢ ـ المحررات السياسية المصدر نفسه ج ٢ ص٨ .

Cette attitude passive de la Porte a l'égard des réformes poussa les Chrétiens profondement influencés par la revolution francaise, a preparer eux-mêmes leur liberation, Ils organisèrent a cette fin "un comité appelé "Comité de Salut Public".
Bibl. Saint-Joseph Beyrouth, MS:66.C3. dossier,II,p.28.

(رابعا) - وفاة الامير حيدر اللمعي القائمقام المسيحي سنة ١٨٥٤

وتشاء الظروف ان يتوفى الامير حيدر في السنة نفسها التي يتوفى فيها المطران الخازن ،وتولى الحكم بعده رجل اجمعت المصادر على سوء تصرفه وخلقه ، وبانه كان من المسؤولين الاولين عن تفاقم الحوادث ،وينسب اليه بعض القناصل يدا في فتنة الستين فكتب قنصل بريطانيا مور الى حكومته ان اكتشاف المؤامرة المعقودة بين شيعي جبل لبنان وفريق من الدروز اشياع الامير بشير احمد وان الحكومة لا تنوى فصل القائمقام حتى يشتبك اللبنانيون في حرب اهلية (٢٣) وكتب اخر من الشائع ان الدروز بجبل لبنان عقدوا عدة اجتماعات يقصد بها تهديد مسيحيي دير القمر وزحله والمقول ان هذه الاجتماعات تمت برضى الامير بشير احمد انتقاما من اضداده (٢٤) وكان ،على هذا "،فظا غليظا ،خيل للناس عند استلامه الحكم ان الامير بشير الكبير قد بعث من قبره" (٢٥) فاختلف مع مشايخ الخازن (٢٦)

وعلق تشرشل على حوادث الستين فقال " ان امراء الموارنة وشيوخهم لم يتخطوا الحدود لمساعدة ابناء طائفتهم فالقائمقام المسيحي ارتشى وحاول منع بعض افراد اسرته من مساعدة المسيحيين ،واكثر الامراء الشيوخ المسيحيين تمنوا سرا انتصار الدروز لان بانتصارهم انتصار الاقطاع . ان الميول الديمقراطية التي اظهرها الشعب وقضت على سلطة آل الخازن اهابت بالدروز ان يقفوا منها موقف الحذر والعداء" ... ثم قال ان اعداء الدروز هم رجال الدين ،لا الارستقراطية ،لان الارستقراطية المسيحية لم تشترك قلبيا باية حركة ضدهم حتى ولا واحد من شيوخ الشمال تحرك لنجدة اخوانهم في الجنوب سوى واحد تقدم ثم جمد مكانه مبررا جموده وجبنه بتدخل القناصل " (٢٧) اشارة الى يوسف بك كرم (٢٨) ويتساءل البعض ما اذا

---

٢٣ - المحررات السياسية المصدر نفسه ج ٢ ص ٣٤٣
٢٤ - المصدر نفسه ص ٥٠
٢٥ - العقيقي ،المصدر نفسه . ص ٤٥
٢٦ - يرجع بعض المؤرخين الخلاف بين الامراء اللمعيين والخازنيين الى عام ١٧١١ الشهابي المصدر نفسه ج ٢ ص ٩٠
٢٧ - C.Churchill, The Druzes and the Maronites...,p.178
٢٨ - تنفي الوثائق الافرنسية ان القنصل الافرنسي اوعز لكرم بالوقوف بل تذكران القنصل الافرنسي عاتب "كرم" بما نقله عن لسانه . ونعتقد ان "كرم" لم يتقدم تزلفا للاتراك -

كان يصح اتهام المشايخ الخازنيين بتدبير فتنة الستين للقضاء على جمهورية طانيوس شاهين (٢٩) وذكر الاب خانجيان انه سرت اشاعة "بان المشايخ سيكون موشدين للعساكر انتقاما من طانيوس شاهين "(٣٠)

ويقول جوبلان لغايات مكافيلية انتخب العثمانيون الامير بشير احمد اللمعي قائمقاما وكان دساسا مفسدا ،كان درزيا ثم اصبح مسلما ثم تزوج ابنة الامير حيدر واستقر في الكثلكة (٣١) ويتهمه صاحب حسر اللثام بانه كان آلة صماء يحركها الاتراك وجاسوسا لتنفيذ مآربهم " وكان هذا الامير من اول المحركين على قلاقل ١٨٦٠ عملا بالاوامر السرية التي كانت ترد اليه من الاتراك ولا يعقه معناها (٣٢)

(خامسا ـ غرور الموارنة رغم انقسامهم على انفسهم

وكان من اهم نتائج الثورة الشعبية انها اضعفت موقف المسيحيين كثيرا ، وفرقتهم احزابا وشيعا ،فتبلبلت صفوفهم وشجعت الدروز على مهاجمتهم ،ويأسف صاحب مخطوطة "كتاب الاحزان في تاريخ واقعة الشام " رغم كثرة عددهم لم ينجحوا لانقساماتهم بل كان منهم من ينقل الاخبار للدروز ويدس على اخوانه (٣٣)

وذكر ريشارد ادوارد (٣٤) واضع كتاب سوريا ١٨٤٠ ـ ١٨٦٠ ص ١٣٠ انه علم من مصدر يوثق بصحته ان الامراء الدروز ومشايخهم عرضوا على مشايخ الخازنيين مساعدتهم على التنكيل باهل كسروان فرفضوا (٣٥)

ورغم هذه الانقسامات بين صفوفهم اكثروا من الاجتماعات وكانت الاسلحة ترسل الى الفريقين بكثرة ،(٣٦) ودفع الغرور بطانيوس شاهين ان يتحدى الدولة فانذر بلدة جبيل برفض اوامر الدولة واعلن ان لديه "بيولردى" من سبع دول بتحرير جميع المسيحيين (٣٧) .

---

٢٩ ـ العقيقي ،المصدر نفسه ،ص ١٣٢
٣٠ ـ خانجيان ،المصدر نفسه ص ٢٠
٣١ ـ M. Jouplain, op.cit. p.371
٣٢ ـ حسر اللثام ص ١٥٥
٣٣ ـ كتاب الاحزان " مخطوطة" ص ٥
٣٤ ـ المحررات السياسية المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٥١ في الهامش وبينما كانت بوادر الحركة الثانية ظاهرة كانت اسرتا حبيش ودحداح في نزاع دائم توشك ان تتفاقم
٣٥ ـ المصدر نفسه ج ١ ص ١٣٢
٣٦ ـ H. Jessup. op.cit., I, 163
٣٧ ـ المحررات السياسية ج ٢ ص ١٧

(سادسا) - ثراء الموارنة وتظاهرهم بذلك

وازداد غرور الموارنة من جراء الثراء الذى كسبوه اثناء السنوات العشر السابقة وجاء في احدى المخطوطات " ثم ان النصارى بوجه العموم كان لهم تقدم ونجاح عالمي ،بالنظر لمهارتهم ومعارفهم ،قد حصل له في هذا العصر وسايط التقدم... وايضا سبب مداخلتهم مع الافرنج قد تعلموا من المتجر... ولوان ليس لهم اراضي واملاك كالمسلمين فكانت تزهو دورهم وتتلطف امتعتهم وكانوا يلبسون الكسم والالوان الذى ارادوه ولم يكن لهم موجب للتظاهر بالفقر بل عكس ذلك كان فقيرهم يتظاهر بخلاف حاله فقد اثر ذلك على المسلمين كما اثر على الدروز ،فكان كل من المسلمين والدروز ينظر اليهم بعين الحسد وطلب السلب حتى كثيرا ما كان يقول الدرزى والدرزية للنصرانية "ان شاءالله يكون ذلك نصيب لنا " (٣٨)

ويروى تشرتشل كيف ان دير القمر وقد كانت قرية بسيطة اصبحت مدينة تعد نحو ثمانية الاف نسمة جلهم من النصارى وقد ازدهرت تجارتهم ايما ازدهار فظهرت نساؤهن يسرن الخيلاء في الشوارع يرفلن بالحلي والحرائر واختفى النفوذ الدرزى فيها او كاد فلا ترى منهم الا الحطابين والخدم ... وبعد ان كانت دير القمر من املاك بيت نكد طردوا منها وتولى شؤونها الاتراك ... ورغب احد زعماء بيت نكد ان يبني قصر له في ضواحي دير القمر فمانع النصارى وهددوا بهدمه ان بنى ، فاضمر لهم الشر قائلا اني سوف ابني اساس بيتي بجماجم هؤلاء الكلاب (٣٩)

(سابعا) - حقد الدروز وتحيز الاتراك لهم

ومنذ الحركة الاولى والحركة الثانية والاتراك في معظم الظروف الحرجة على الاخص يساندون الدروز اما سرا واما علنا ،ففي الفتنة الاولى اعلن الدروز ان التعويضات يجب ان يدفعها الاتراك وان الاتراك اغتصبوا الحصة الكبرى من المنهوبات بل لم يبق موظف كبير في سوريا لم يدفع له الدروز رشوة حتى الوزراء ،ودفع الدروز للاتراك لقاء مساعدتهم اوغض الطرف عنهم نحو ٣٠٠ الف ليرة عثمانية (٤٠) وهدد

---

٣٨ - مخطوطة في اليسوعية رقم ٦٦ ص ٢٨

٣٩ - C. Churchill, The Druzes and the Maronites..., pp.105,107.

٤٠ - C. Churchill, The Druzes and the Maronites op. cit.,p.78

الدروز بنشر "الاتفاقية السرية" التي كانت بينهم وبين الاتراك (٤١) وتبت وثائق القنصلية الافرنسية في بيروت ما ذكره تشرشل اعلاه بل تذكر بالتفصيل ما قبضته الشخصيات الكبيرة التركية منها (٤٢) .

وفي شتاء ١٨٥٩ ـ ١٨٦٠ اخذ الدروز يعقدون الاجتماعات السرية وبعضها يوميا في بيروت (٤٣) وكثرت اتصالات بعض زعماء الدروز مع الاتراك في صيدا وبيروت وسواها .

ومن الادلة على تأثير الاحقاد القديمة والضغائن الدفينة ما رواه المرسل الاميركي مستر جسب قال كنت مصطافا في احدى قرى لبنان الامنة وابتدأت الحوادث فاختشيت، فقال لي احد الاصدقاء الدروز لا تخف ،لن يحدث شيء في هذه القرية ،وفي صباح اليوم الثاني سمعت طلقا ناريا قريبا مني صرع به احد الانجيليين الوطنيين من اتباعنا، فاستغربت الامر فقيل لي ،لقد ثبت لنا ان هذا الرجل قتل درزيا اثناء الفتنة الثانية عام ١٩٤٥.

ومن الاشخاص الذين لعبوا دورا خطيرا في الحوادث قاسم بك وهو كما وصفه "مادن " من الذين كانوا في خدمة سعيد بك جنبلاط،فهو منذ الربيع (١٨٦٠) استقر في مكان قريب من صيداء واخذ يكثر من الاجتماعات السرية مع حاكم صيداء(٤٤) ويثير الاضطرابات ويقوم ببعض اعمال النهب والقتل .

رجال الدين الدرزى والحوادث

ولم يعف ابو شقرا رجال الدين الدرزى من مسؤولية التحريض بل نسب اليهم افظع مذبحة في رأيه فقال " وكانت حادثة مشؤومة لم يسبق لها نظير في تاريخ لبنان ... اما الباعث على تلك الغادحة الوطنية الهائلة فرجلان من وجوه عامة الدروز كانا نافذى الكلمة في قومهما مشهورين بالبطش والفتك في الوقائع والغارات وهما مصطفى

---

٤١ ـ حسر اللثام ،المصدر نفسه ص ١٢٠

٤٢ ـ قبض سليم باشا ٦٠٠٠ كيس ،سرعسكر مصطفى ١٦٠٠ كيسا رشيد باشا الف كيس، عزت باشا ٤٠٠ كيس(الكيس ٥٠٠ قرشا)
Beyrouth, III, Rap. de Borrée, No. 68 du 19 Nov., 1843; (Quoted by A. Ismail, op. cit., p. 355.)

٤٣ ـ C. Churchill, The Druzes and the Maronites..., p.132

٤٤ ـ R. Madden, op. cit., I; p.266 f.
Ibid, p.283.

دويك وسليمان احمد الصمد اللذان اخذا يزينان ذلك للدروز الراجعين من زحله٠٠ ساعدهما فصاحة لسانيهما ٠٠٠ ولا سيما هما من الشيوخ المعترف لهما بطول الباع في العلوم الدينية ."ثم يقول ان معظم الشرور هي نتيجة اعمال من يتظاهرون بظواهر الخير ومدعي الديانات تحتذى العامة حذوة " (٤٥)

قلنا ومن جهة اخرى كانت في قلوب الدروز حزازات تغلي مراجلها انتقاما من اهالي الدير ٠٠٠ حتى ما خلت قرية او عائلة لم يكن لها ثأر عندهم "(٤٦)

(ثامنا) ـ انتشار الفوضى

وبانقسام المسيحيين على انفسهم انتشرت الفوضى في الاقطاع المسيحي على الاخص ،ويصف الحتوني هذه الفوضى وصفا مسهبا وهو بدون الحوادث بموجب تاريخها سنة فسنة قال " وفيها (١٨٥٦) قدم الكولونيل تشرشل بك الى جونيه قصد تغيير الهواء في فصل الصيف ،واخذ يقوى التعصب ضد الامير ،ويدرب خصومه ،وكان اكثر هؤلاء مجاراة له الشيخ اسد ابراهيم الخازن ٠٠٠ وسنة ١٨٥٧ تلقى السنيور ادمون دلسبس،قنصل فرنسا في بيروت،فرمانا من حكومته بانه رقي الى درجة قنصل عام في لبنان وسوريا ،فسر القائمقام لان القنصل كان له سندا،وراح الامير يغلظ المعاملة لخصومه حتى اشتدت الحركة ضده وكثر الهياج عليه ،فزال وقار الحكومة وعصاها الجهلة٠ وفيها حدثت مخاصمة عنيفة في زحله بين بيت المعلوف وبيت ابي خاطر فقتل ستة اشخاص ٠٠٠ وفي قرنايل بين بيت الاعور وبيت هلال قتل فيها عشرون شخصا ،وتشاجر اهل اهدن وبشرى وتراموا بالرصاص فقتل ٢٢ شخصا ثم ان صالح شهوان قتل اباه واخاه بالرصاص ٠٠٠" وبعد ان يذكر عده حوادث من هذا النوع يقول " وصفوه القول ان القلم ليعجز عن تفصيل ما جرى من الشرور والاعتداءات والهرج والمرج في هذه السنة"(٤٧) وتؤيد جميع المصادر الاجنبية اخبار الفوضى ولا سيما بعد ثورة الفلاحين في كسروان ،اذ عمت البلاد فوضى عارمة ،وموجة طاغية ،من الاجرام والسلب والنهب قال شاهد عيان ،لا زعيم ،لا رئيس فطانيوس شاهين لم يعد ينظر اليه الشعب جديا

---

٤٥ ـ ابو شقرا المصدر نفسه ص ١٣٠

٤٦ ـ المكان نفسه ٠

٤٧ ـ راجع الحتوني ،المصدر نفسه ،حوادث ١٨٥٦ ،١٨٥٧٠

وباحترام (٤٨) وقال تشرشل السلب والنهب من الامور العادية ،الفلاحون يطيعون دكتاتورهم طاعة عمياء " وكتب ممثل بريطانيا قائلا " ان مسيحيي لبنان عشيرة همجية بربرية عاجزة عن ادارة شؤونها ،فالاكليروس والنبلاء متشاحنون تتقد في صدورهم نيران التباغض ..." (٤٩)

والتجار الاروبيون في ذعر شديد يرفعون الى القناصل عريضة مذيلة بامضاء ٤٣٠ توقيعا في ٢٠ ايار ١٨٦٠ قائلين "ان الكوارث الجارية الان في لبنان وهي نتيجة الفوضى السائدة منذ مدة طويلة تبعث الى الخوف من ان تؤول الحوادث الفردية المتواصلة منذ بضعة ايام الى حرب اهلية في القريب العاجل ... ولهذا فان التجار الاروبيين الموقعين ادناه المقيمين في بيروت وقد استولى عليهم القلق يلجأون الى قناصلهم ولهم ملئ الثقة بعنايتهم ملتمسين ان يسعوا لدى الحكومة نظرا لخطورة الحالة الجارية لاتخاذ الوسائل العاجلة لاعادة الامن الى ربوع لبنان ووقاية المصالح الاروبية باقوى الوسائل اذا ما اقتضت الحال (٥٠) والقناصل بدورهم يشكون لحكوماتهم بان الفوضى لسائدة في القائمقامية المسيحية وهي ثمرة هذا الاضطراب وما كانت الثورة على المشايخ الخازنيين والحبشيين لتخمد نارها وانما تمتد دون وازع لان الحكومة التركية غاضة الطرف عنها وغايتها من ذلك مزدوجة احدهما احداث القلاقل والاخرى الانتقام من اسرتي حبيش وخازن لانهما حركتا الثورة على عميلها الامير احمد (٥١) ويلفت قنصل بريطانيا فينيسان ١٨٦٠ نظر خورشيد باشا الى خطورة الحالة فيشكو الباشا نفسه "من صمم حكومته وعدم اهتمامها بمراسلاته" (٥٢) ويتساءل مراسلوا مجلة الارسالية الاميركية في بيروت "ما هذا السكوت؟ اين الحكومة؟ ماذا يحاك لنا في الاستانة (٥٣) الفلاحون ،المشايخ ،

---

٤٨ - Souvenirs de Syrie op.cit., p.25.
٤٩ - المحررات السياسية ج ٣ ص ٤٩
٥٠ - المحررات السياسية ج ١ ص ١٠ - De testa, op.cit., VI, No.24 p71
٥١ - المصدر نفسه ج ١ ص ٣٥٧
٥٢ - المصدر نفسه ج ٢ ص ٢
٥٣ - Missionary Herald, Aug:, 1957, p.28

الحكام يتهامسون جميعا ويتسألون الى اين المصير ،الجميع يتوقعون شـرا مستطيرا (٥٤) .

---

٥٤ ـ بلغت حوادث القتل الاعتيادى بين ١٨٤٠ ـ ١٨٦٠ نحو ١١٠٠ قتيل ولم يعاقب معظم موتكبيها .

Great Britain. Correspondence relating to the affairs of Syria, II, 198.

ثالثا ـ الشرارة الاولى

جو محموم ومشحون بالتعصب ،فوضى غاشمة عارمة ،رجال مسؤولون وغير مسؤولين يحيكون الدسائس والمؤامرات من اجانب ومواطنين ،احقاد وضغائن مكبوته ومدفونة منذ الحركة الاولى ،اسلحة تستورد سرا وعلنا ،حوادث قتل افرادية هنا وهنالك ولا عقاب ،واكثرها شخصية ،في هذه الحالة المتوترة المؤلمة من يستطيع ان يحكم من هو المبتدئ ؟ (٥٥) وكما قال "لەنورمان" ليس المهم في حالات كهذه ان يعرف من الذى اطلق الرصاصة الاولى ولكن المهم معرفة مدى الاستعداد لدى الفرقاء ونتائج الاعمال ،ومسؤوليات الذين هيئوا هذا الجو المشحون بالكره والحقد ،فقد تطلق عدة طلقات في غير هذه المناسبات ولا يحدث شيء • (٥٦)

ولكن هنالك حادثة صبيانية تافهة بذاتها خطيرة بنتائجها يعتبرها اكثر الرواة "عود الكبريت" الذى اضرم نار الثورة فاندلعت السنتها في الجبل .

وهي كما رواها صاحب اللثام (وتشرشل والحتوني ،وجسب ومادن والاب جوبان) " وصارت البلاد الى حال تشبه الفوضى حتى اذا كان يوم ٣٠ اغسطس ١٨٥٩ حدثت حادثة بيت مرى وهي اول حوادث هذه الحرب الهائلة وكانت مقدمة لما سيجيء من الاهوال ... وتابع كلامه قائلا وفي ٣٠ اغسطس تشاجر ولد مسيحي وصبي درزى في قرية بيت مرى (٥٧) وتناول الخصام الوالدين والانصار فأسفرت المعركة عن عدد من القتلى جلهم من الدروز (٥٨)

وروى العقيقي رواية ثانية لحادثة اخرى فقال " ولم يزل البغض يتزايد بين المشايخ والاهالي الى ان وقعت الخلفة بين النصارى والدروز في ناحية بلاد الشوف وكان ذلك ابتداء سنة ٦٠ وسبب وقوعها هوان بعض من اهل تلك الناحية رامو رفع المقاطعجية مثل الامراء بيت اللمع وخلاف مشايخ من دروز ونصارى واخذوا في

---

٥٥ ـ المحررات السياسية ج ٣ ص١

٥٦ ـ وان صح التشبيه بالحاضر فعلى حدود فلسطين اليوم رقباء دوليون مثقفون ، مهمتهم وتخصصهم تحديد مسؤوليات البادئين بالشر ومع ذلك فهنالك كثير من الحوادث التي التبست عليهم وصعب لديهم تحديد المسؤوليات بالدقة والضبط .

٥٧ ـ وتشير بعض المصادر الى قرب بيت مرى من عين سعاده مقر المطران طوبيا والى ان اكثرية المسيحيين فيها من غير الطائفة المارونية .

٥٨ ـ حسر اللثام المصدر نفسه ص ١٣٥

ابتداء الحركة المفسدة فمشايخ الدروز علموا بهذا الخبر فاخذوا يضطهدون الاهالي بنوع الحيل ويوقعوا الفتن بين الطائفتين ثم وقع الخلاف بينهما وسبب وقوعه الظاهر كان لاجل مصادفة دواب في بعضها ،لان احد المكاريه صدمت دابته في دابة الاخر من الدروز فتقاتلوا ... " ويذكر الحتوني ما رواه العقيقي ان تصادقا حدث في ١٥ آب بسبب اختلاف المكارية " (٥٩)

ولكن المصادر الاجنبية تجعل حادثة ٢٩ ايار سنة ١٨٦٠ بداءة الحوادث المؤلمة وترويها باختلاف جزئي كما رواها "لهنورمان" وملخصها انه بعد حادثة بيت مرى المارة الذكر ،تفاقم الشر في بيت مرى وما حولها وتوقع المسؤولون التصادم فارسل خورشيد باشا في ٢٨ ايار عددا من جنوده الى الحازمية وفي اليوم التالي اتجه بنفسه نحوها فاطلقت المدافع كالعادة ايذانا بمغادرته الثكنة وما كادت المدافع تطلق طلقاتها الاولى حتى دوى صوت الرصاص في بيت مرى واندلعت السنة النار ولعلع لهيبها في اكثر من قرية ،فاعتقد البعض ان في الامر ميكدة ومؤامرة بين الدروز والحكومة ، وما طلقات المدافع الا اشارة للهجوم (٦٠) . قال تشرشل من سخف القول ان الاتراك لم يتمكنوا من اخماد الفتنة ،هم تآمروا لها ،وحرضوا عليها ،واشتركوا فيها (٦١) وفي جلسة ممثلي الدول سلنة ١٨٦٠ اوضح المندوب الافرنسي ان المذابح جرت في الاماكن التي فيها جنود اتراك واستشهد بممثل النمسا فايد كلامه (٦٢) وكتب ممثل بريطانيا في اللجنة الدولية ٢٤ شباط ١٨٦٠ بل من المرجح ان الدروز لم يفكروا بالفظائع الا بعد ان حرضتهم الجنود العثمانية ،والدليل ان الحرب اضطرمت في كل انحاء لبنان ،بيد انه لم تحدث المذابح الا في الاماكن التي فيها حاميات من الجنود التركية . ومما جدير بالذكر ان مذابح حاصبيا بدأت بعد وصول رسول من دمشق (٦٣) ومن محاكمة خورشيد باشا اعلن ان خورشيد باشا شهد هذه الحوادث بام عينه وعلم بها حين حصولها ولكنه عوضا من ان يزحف الى الدروز ويشتت شملهم تركهم يفعلون ما يشاؤون (٦٤) واعلنت بريطانيا ان سلوك الاتراك الشائن ارغمها

---

٥٩ _ العقيقي ،المصدر نفسه ص ١٠٦

٦٠ _ F. Lenormant, op.cit., p.9

٦١ _ C. Churchill, The Druzes and the Maronites..., p.215

٦٢ _ المحررات السياسية ج ٢ ص ٢٨٦

٦٣ _ المصدر نفسه ص ٣٧٧

٦٤ _ المصدر نفسه ص ١٦٩

على تلبية طلب فرنسا بارسال جنود افرنسية الى لبنان والقبول بالتدخل المسلم(٦٥) ونشرت مجلة الارسالية الاميركية حديثا لمراسلها يقول لقد اصبح من المؤكد ان الاتراك يساعدون الدروز (٦٦) وكان خورشيد باشا يدفع الدروز ويحثهم على الفتك بالنصارى يمدهم بمعدات من ثكنات الجند (٦٧) وفي خبر نشرته جريدة الاستانة آنذاك ان العساكر التركية اطلقت مدفعين بلا قنابل على الدروز ثم اخذت تصلي المسيحيين نارا حامية من افواه مدافعها (٦٨) وقد اجبر الدروز في اول الامر الارثوذكس والبروتستنت في سوق الغرب على مشاركتهم بحرق بيوت الموارنة ففعلوا لكنهم اضطروا ان يلبسوا عمامات بيضاء مخافة ان يفتك بهم الاتراك (٦٩) ولعل من اوسع المصادر واهمها بوصف الموضوع ما كتبه رشارد مادن ،فقد اطلع على الوثائق الدبلوماسية (٧٠) وعلى ما كتبه بعض شهود العيان واتصل بشخصيات عديدة من لبنان وسوريا ومصر وتحرى الامر في فرنسا وبريطانيا وذلك بعد الحوادث بايام قلائل ،قال رشارد مادن ان باعثي المؤامرات ليس الدروز ولا المتوالية انهم الاتراك العثمانيون ،ان المؤامرة افرخت في الاستانة وحاكت خيوطها عصابة الحزب الرجعي في العاصمة ،تلك العصابة التي لحمتها التعصب وسداها الحقد والاضطهاد . وهدفها الثورة على الاصلاح وعلى الخطوط الهمايونية ،غايتها استئصال شأفة جميع المسيحيين في الدولة وفي الاخص في لبنان (٧١) .

---

٦٥ ـ المصدر نفسه ص ٢٣٨

٦٦ ـ Missionary Herald, Aug.,1860,p.239

٦٧ ـ مشاقة ،مشهد العيان ص ١٥٦

٦٨ ـ R. Madden, op.cit.,II, p.293

٦٩ ـ H. Jessup, op.cit., I, p.164

٧٠ ـ ينتقد رشارد مادن الكتاب الازرق البريطاني المختص بحوادث سوريا ويعتقد ان معظم القناصل لم يتحدوا الحقيقة بل كتبوا بتأثير ميولهم الشخصية وتأثير الارساليات ،ثم يقول ان المخابرات القنصلية لا يعتمد عليها كل الاعتماد لمعرفة الاسباب . R.Madden, op.cit.,II,pp.267,370f.

٧١ ـ In the recent massacres in Syria, that concert is said by many informed persons, with whom I have conversed in the Levant, to have included an imperial prince... The originators were Ottoman Turks; the conspiracy was hatched in Constantinaple"... R. Madden, op. cit., I,pp.230,II,pp.267f.367

ويؤيد جوبان هذه الفكرة ويعتقد ان الدروز والمسلمين لم يكونوا سوى ادوات تنفيذ بيد تلك الفئة من الاتراك (٧٢)

الخلاصــــة

ومجمل القول ليس من المعقول والمقبول ان تكون هذه الفتنة الدامية نتيجة اختلاف او شجار صبياني بين طفلين ينتمي كل منهما لطائفة ما ،ولم تكن ناجمة عن نظام الملل والنفوذ الافرنسي كما يعتقد مولكم كير في اطروحته تعليقا وشرحا للعقيقي ،وليس في المصادر التي لدينا على الاخص اشارة الى خلاف ديني بين الطائفتين الكبيرتين قبل الحوادث ومنذ الفتح التركي على الاقل ،بل الواقع يثبت تعايشا سلميا وتعاونا مرضيا الى حد معلوم . ففي المنطقة الدرزية قلما تجد قرية خالية من النصارى وقد يكون من المتعذر ان تجد قرية كان يقطنها مثلا الدروز والشيعة معا .

ومن المعروف ان المسيحيين في تلك الحقبة من الزمن كان اكثر ما يخشاه ، ويتعرض له من المظالم والاهانات هو فيما يختص في امور حياته الجوهرية التالية : في دينه ،في عرضه وفي ماله ،اما من حيث الناحية الدينية فالمسيحي مطمئن كل الاطمئنان فالدروز قد يعطون ولا يأخذون لان باب التدرز مقفل ،بل يتضح لنا من سهولة تنقل الامراء من طائفة الى طائفة او من الابهام والغموض التي احاط بعض معتقدات العائلة الحاكمة وغيرها ما يدل على روح التساهل الديني بين الطائفتين بل كانت الطائفية بنظر بعضهم اشبه بخلعة يلبس منها في كل حالة لبوسها اوانه امر شخصي بحت لا ضرورة لاظهاره .

واما من حيث العرض والشرف فهما مقدسان بنظر الطائفة (طائفة الدروز) الثانية ورغم ما اتصفت به الفتنة من فظاعة وشناعة لم تشر المصادر الى حادثة تعدى واحدة من هذا النوع .

---

٧٢ - L'Abbé Jobbin, La Syrie en 1860 et 1861. Lettres et documents formant une histoire complete et suivie des massacres du Liban et de Damas, des secours envoyes aux Chrétiens et de l'expedition francaise (Paris,1880)p.10.

واما من حيث الاموال والممتلكات فقد كان بعضها بيد المسيحيين ككتبة او امناء للاموال او مزارعين ومستخدمين ، ولا يعني اننا نغفل اهمية العامل الاقتصادى والنضال الطبقي الذى برز مؤخرا بل هذا لم يكن سوى ظاهرة او نتيجة لعامل اهم واكثر شمولا .

والدليل على انها لم تكن وليدة العامل الطائفي ان الحركة والفتنة في مستهل امرها تناولت الموارنة دون سواهم من الطوائف المسيحية ،بل بعض هؤلاء عاضدوا الدروز وناصروهم في الحركتين السابقتين عام ١٨٤١ و ١٨٤٥ . وفي حوادث الستين لم يصب اليهود في دمشق باذى بل اندفعوا يحمسون الثائرين على المسيحيين ويقدمون لهم ماء الزهر المحلى بالسكر .

وليس الاتراك بابرياء مما نسب اليهم ولكن الاتراك انفسهم لم يكونوا سوى الات حركتها عوامل مستجدة حديثة والدليل ان الجبل منذ الفتح التركي وهو بفضل تساهلهم بتمتع بنوع من الحكم مميز عن سائر الولايات وباعتقاد مادن وسواه كما مر ان الاصلاحات والخطوط الهمايونية هي العامل الاساسي للكوه والفتنة والواقع ان هذه نواحي مختلفة لعامل شامل اهم وهو الاقتحام الغربي لمجتمعات في الشرق كانت مغلقة على نفسها ،ففتحها الغرب بقوة وتجسم هذه الاقتحام بحملات روحية وثقافية وسياسية وعسكرية ،وكانت اهداف هذه الحملات ومصدر انطلاقها او تفاعلها فيما بعد القاهرة ولبنان والاستانة.فقامت في القاهرة على اكتاف الجيش وفي لبنان على اكتاف الدين وفي الاستانة على اكتاف الدبلوماسية ،واصبح لبنان نظرا لموقعة الجغرافي(٧٣) وواقعه التاريخي هدفا للمؤثرات معا وبلغت فيه الذروة في منتصف القرن الماضي وامست مرتفعات لبنان (٧٤) بمثابة هياكل قدمت على مذابحها محترقات الحضارة الغربية ،وكانت حوادث الستين بمثابة مأساة مؤلمة لنهاية فصل مظلم من فصول المسألة الشرقية فيه .

---

٧٣ — وهو كما قال احدهم كان ولا يزل " يعتبره الغرب حدوده الشرقية ويعتبره الشرق حدوده الغربية " وهو بين هذا وذاك لا يزل يهتز ويرتج كلما مس الغرب شرقا او لامس الشرق غربا .

٧٤ — ففي الساعة نفسها التي كانت فيها تطلق الشركات الافرنسية المتفجرات في قرية حمانا لشق طريق بيروت دمشق ،كانت متفجرات الثائرين تدك مساكن القرى الهادئة المطمئنة .

قال الاستاذ شلتيما في مقدمة كتاب ابكاريوس "ان حوادث الستين التي توصف خطأ بانها نتيجة انفجارات واحقاد دينية ليست بحد ذاتها غريبة عن المسألة الشرقية بل جزء منها ، وذروة في مرحلة من مراحل التأريخ الطويل بين اوربا وآسيا . وفصلا للحوادث المتبادلة بين الشرق والغرب لم يكتب بدقة لبعد" (٧٥)

وقد يقسو التاريخ على الاتراك ولكن البعض يرون مبررات لتخفيف الحكم وكما قال احد كبار الممثلين الدبلوماسيين " ان الاعمال التركية من وجهة نظر الاتراك ، تركية وحسنة " . فاللبنانيون مع ما تمتعوا به من استقلال نوعي بفضل تساهل الاتراك ، لم يكن الموارنة منهم اوفياء دائما ، بل كان بعضهم ان صح التشبيه ، اشبه بأمرأة تتذوق مر العيش وحلوه في كنف زوجها فاذا ما عثر به الدهر يوما هفا قلبها لسواه ، فكان الموارنة كلما لاح طيف غربي ، اوبرزت باخرة في الافق البعيد ، ترنو اليها اعينهم بشوق ، وتنشد السنتهم _

" ها هـم قـد أتـوا " (٧٦) .

---

٧٥ _ I. Abakarius, op.cit., p.13

٧٦ _ C. Churchill, Mount Lebanon..., III,p.66

المصادر

اولا ـ الوثائق والمكاتبات الرسمية

١ ـ المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان من سنة ١٨٤٠ ـ ١٩١٥
ثلاثة مجلدات ،تعريب فيليب وفريد الخازن
جونيه ،مطبعة الصبر ١٩١٠

٢ ـ المحفوظات الملكية المصرية، اسد رستم ،اربع مجلدات
بيروت ،المطبعة الاميركية ١٩٤٠ ـ ١٩٤٣

ثانيا ـ المخطوطات العربية

ابكاريوس اسكندر ، نوادر الزمان في ملاحم جبل لبنان
مخطوطة في الجامعة الاميركية

مسعد ،بولس ، تاريخ سوريا ولبنان في عهد الدولة المصرية
مأخوذة في الفوتوغراف (في الجامعة الاميركية)

مؤرخ مجهول ، كتاب الاحزان في تاريخ واقعة الشام وجبل لبنان وما يليهما بما اصاب المسحيين من الدروز والاسلام (في الجامعة الاميركية)

مؤرخ مجهول ، عن حوادث سوريا ولبنان مخطوطة رقم ٦٦
في الجامعة اليسوعية .

ثالثا ـ المصادر الاخرى

ابو اسماعيل ،سليم ، الدروز ،بيروت ،مطابع فضول ، ١٩٥٤

ابو شقرا ،يوسف خطار ، الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية
بيروت ، ١٩٥٢

ابو عز الدين ،سليمان ، ابراهيم باشا في سوريا ، بيروت ،
المطبعة العلمية ١٩٢٤

الاسود ،ابراهيم	ذخائر لبنان ،بعبدا ،المطبعة العثمانية ،١٨٩٨
امين ، احمد ،	يوم الاسلام ،القاهرة ،دار المعارف ، ١٩٥٢
باز ،رستم ،	مذكرات ، بيروت ،منشورات الجامعة اللبنانية ،١٩٥٥
الباشا ،الخوري قسطنطين ،	تاريخ طائفة الروم الملكية والرهبنة المخلصية صيدا ،مطبعة دير المخلص ،١٩٣٨
البشعلاني ،اسطفان ،	لبنان ويوسف كرم بيروت ،مطبعة صادر ،١٩٥٢ طريقة الذكر – البشعلاني .
بيهم ،محمد جميل ،	فلسفة التاريخ العثماني . اسباب انحطاط الامبراطورية العثمانية وزوالها . بيروت ، شركة فرج الله للمطبوعات ،١٩٥٤.
تاجر ،جاك ،	اقباط ومسلمون منذ الفتح العربي الى عام ١٩٢٢ . القاهرة ،كراسات التاريخ المصرى ،١٩٥١.
ترتون ، أ ،	اهل الذمة في الاسلام مصر – ١٩٤٩ . ترجة حسن حبيش .
الترك ، نقولا ،	مذكرات . القاهرة ،مطبعة المعهد الافرنسي للاثار الشرقية ،١٩٥٠ ، نشر وترجمة فييت .
توما ،سوبريوس ،	تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية بيروت ،مطابع فضول ،١٩٥٣
الجبرتي ،عبد الرحمن ،	عجائب الاثار في التراجم والاخبار . القاهرة ،المطبعة الشرقية . ١٣٢٢ هـ .

جوان ، ادوار ، مصر في القرن التاسع عشر
القاهرة ، ١٩٢١ ترجمة محمد مسعود

الحتوني ، الخوري طنوس ، نبذة تاريخية من المقاطعة الكسروانية
(المكان ؟) سنة ١٨٨٤ .

حسن ، حسن ابراهيم ، الفاطميون في مصر واعمالهم السياسية والدينية .
القاهرة ، المطبعة الاميركية ، ١٩٣٢ .

حسر اللثام عن نكبات الشام القساطلي ، نعمان ،
مصر المطبعة ؟ ١٨٩٥ الا

خازن ، سمعان ، يوسف بك كرم في المنفى
طرابلس ، مطبعة الانشاء ، ١٩٥٠ .

الخالدى ، احمد بن محمد ، لبنان في عهد الامير فخر الدين المعني الثاني
بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٦ .

خانجيان ، انطون حنا نبذة مختصرة في حوادث الشام ١٨٤٠٠ـ١٨٦٠
بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٢٧ .

خوري ، رئيـــــف ، الفكر العربي الحديث واثر الثورة الافرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي .
بيروت ، مطابع الكشاف سنة ١٩٤٣ .

الخوري ، الدكتور شاكر ، مجمع المســـرات
بيروت ، مطبعة الاجتهاد ، ١٩٠٨

الدبـــس ، المطران يوسف ، تاريخ سوريا ، ٨ مجلدات
بيروت المطبعة العمومية (١٨٩٥ ـ ١٩٠٥) .

الدمشقي ، مخائيل ، تاريخ حوادث الشام ولبنان ١٧٨٢ ـ ١٨٤١
بيروت المطبعة الكاثوليكية ، ١٩١٢ .

الدويهي ،مار اسطفان ، تاريخ الطائفة المارونية
بيروت ،المطبعة الكاثوليكية ،١٨٩٠

رستم ، اســد ، بشير بين السلطان والعزيز ،١٨٠٤ ـ ١٨٤١
بيروت ،منشورات الجامعة اللبنانية ، ١٩٥٦.

رســتم ،اســد ، تحقيق وتدقيق في بعض اخبار الفتوحات المصرية بسورية منذ تسع وتسعين سنة .
بيروت ،المطبعة الادبية ،١٩٣٠

الريس ،محمد ضياء الدين ، الشرق العربي والخلافة العثمانية اثناء الدور الاخير للخلافة ١٧٧٤ ـ ١٩٢٤
القاهرة ،مطبعة البيان العربي ،١٩٥٠.

الريحاني ،امين ، النكبات ،بيروت المطبعة العلمية ،١٩٢٨

الشدياق ،طنوس يوسف ، اخبار الاعيان في تاريخ لبنان
بيروت ، ١٨٥٩.

شكرى ،محمد فؤاد واخرون بناء دولة ،مصر محمد على
مصر ،دار الفكر العربي ،١٩٤٨

شهاب ،الامير حيدر ،احمد تاريخ الجــــزار مكتبة انطوان ١٩٥٥

الشهابي ،الامير حيدر احمد ، تاريخ الامير بشير الكبير ابن قاسم عمر الشهابي
بيت شباب ،١٩٣٢.

الصغير ، سعيــد ، بنو معروف في التاريخ ،عمان ،١٣٧٤ هـ .

صغير ،الخورى بطرس ، الامير بشير الشهابي
بيروت ،دار الطباعة والنشر اللبنانية ،١٩٥٠

العقيقي ،ضاهر انطون ، ثورة وفتنة في لبنان
دمشق ،١٩٣٨.

علي ،محمد كـــرد ، خطط الشام ،ستة اجزاء ،
دمشق ،مطبعة الترقي ،١٩٢٧ .

فايز ،خليل همام ، ابو سمرا غانم او البطل اللبناني
القاهرة ،١٩٠٥ .

قرآلي ،الخوري بولس ، الموارنة في لبنان
جونية ،مطبعة المرسلين اللبنانيين ،١٩٤٩ .

ــــــــــ ، فخر الدين المعني الثاني امير لبنان وفردناند الثاني امير تسكانا ١٦٢١ ـ ١٦٣٥
حريصـــا ،١٩٣٨ .

كارن ،جون ، رحلة في لبنان في الثلث الاول من القرن التاسع عشر . بيروت ،دار المكشوف ، ١٩٤٨ .
(ترجمة واختصار رئيف خوري)

كرامة ،القس رافئيل ، مصادر تاريخه لحوادث سوريا ولبنان ١٧٤٥ ـ ١٨٠٠
بيروت ،المطبعة الكاثوليكية ،١٩٢٩ .

كرم ،بطرس ، قلائد المرجلن في تاريخ شمالي لبنان
بيروت ،مطبعة الهدى اللبنانية ،١٩٢٩

المعلوف ،عيسى ، دواني القطوف في تاريخ بني معلوف
بعبدا ،المطبعة المعثمانية ،١٩٠٧

ــــــــــ ، تاريخ مدينة زحلة
زحلة ،مطبعة الفتالا ،١٩١١ .

مشاقة ،الدكتور مخائيل ، منتخبات من الجواب على اقتراح الاحباب
بيروت ،المطبعة الكاثوليكية ،١٩٥٥ .

ــــــــــ ، كتاب مشهد عيان بحوادث سوريا ولبنان .
مصر ،١٩٠٨ .

مؤنس ،حسين ، الشرق الاسلامي في العصر الحديث
القاهرة ،مطبعة حجازى ،١٩٣٨ .

للجنة من الادباء ، لبنان ،مباحث علمية واجتماعية
بيروت ،المطبعة الادبية ،١٩٣٤ .
(بهمة اسماعيل حقي)

النجار ،الطبيب ابراهيم ، مصباح الساري ونزهة القاري .
بيروت ١٢٧٥ هـ .

النجار ،حسين فوزي ، السياسة الستراتيجية في الشرق الاوسط
القاهرة ،مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣ .

نوفل ،عبد الله ، مذكرات تاريخية
حريصا ،مطبعة القديس بولس ،١٩٢٦ .

وحيدة ،صبحي ، في اصول المسألة المصرية
القاهرة ،مطبعة مصر ،١٩٥٠ .

اليازجي ،ناصيف ، رسالة تاريخية في احوال لبنان في العهد الاقطاعي
حريصا ،مطبعة القديس بولس عام ؟

Bibliography

Official and Confidential Correspondence

British Consular Files, Records preserved in the Archives of the British Consulate in Beirut. 1840-1860. (Quoted by M.Kerr. Al Akiki, thesis A.U.B. 1955)

Borrée, Cor.Pol. Beyrouth. 1840-1842. (Quoted by Adel Ismail, Thesis, Paris 1956, typewritten forms)

France, Ministre des Affairs Étrangères. Documents Diplomatiques 1860. Paris, 1861.

Great Britain, Foreign Office, Correspondence relating to the affairs of Syria, 1860-1861. London, 1861.

Great Britain, Foreign Office, France and the Levant, London, 1920.

Testa, Le Baron De Recueil des Traites de la Porte Ottoman avec les Puissances Etrangères. Depuis le premier traité conclu, en 1536, entre Suleyman I et Francais 1, Jusau'a nos jours. Paris (1864-1901)

Other Sources

Abakarius, Iskandar, Book of the Marvels of the Time Concerning the Massacre in the Arab Country. Translated and annotated by J. Scheltema under the title, The Lebanon in Turmoil, Syria and the Powers in 1860. New Haven, yale University Press, 1920.

Anderson, Rufes. History of the Missions, of the American Board of Commissioners for Foreign missions to the Oriental Churches. Boston; 1872.

Antonius, George, The Arab Awakening. London, Hamish Hamilton, 1945.

Bailey, Frank Edgar, British Policy and the Turkish Reform Movement. London, Cambridge, Harvard University Press, 1942.

Bird, Isaac, Bible work in Bible Lands, Philadelphia, 1872.

Bliss, Daniel, The Reminiscences of Daniel Bliss. New York, Fleming H. Revell Co., 1920.

Bouron, Captain, Les Druzes, Histoire du Liban et de la Montagne Houranaise. Paris, Berger-Levranly, 1930.

Cahuet, Albert, La Question d'Orient dans l'histoire contemporaine, 1821 - 1905. Paris, Dujarric, 1905.

Carleton, Alfred, The Millet System, (Thesis, Princeton, University, 1926. microfilmed)

Carnarvon, Henry, Recollections of the Druzes of Lebanon. London, John Murray, 1860

Charmes, Gabriel, Voyage en Syrie, Impressions et souvenirs. Paris, Levy, 1891.

Chasseaux, George, Druzes of the Lebanon. London, Bentley, 1855.

Churchill, Charles, The Druzes and the Maronites under the Turkish Rule 1840 - 1860. London, Quaritch, 1862.

________________, Mount Lebanon, A Ten Years Residence 1842 - 1852. v.3. London, Saunders & Otley, 1853

Davison, Roderie, Reform in the Ottoman Empire 1856-1876. (Thesis, Harvard University. 1942. Microfilmed)

Davy, Richard, The Sultan and his Subject. London, Chatto, 1907.

Dodwell, Henry, The founder of Modern Egypt, A Study of Muhammad Ali, Cambridge, University Press, 1931.

Dussaud, René, Les Arabes en Syrie Avant L'Islam. Paris, Leroux, 1907.

Dwight, Henry, Constantinople and its Problems. New York Fleming, H. Revell Co., 1921.

Engelhart, Ed., La Turqui et Tanzimat ou Histoire des reformes dans L'empire Ottoman depuis 1826 jusqu'a nos jours. Paris, Cotillon, 1882.

Eton, W., *Survey of the Turkish Empire.* London, Cadell, 1798.

Eversley, Lord, *The Turkish Empire from 1288 - 1914* London, Fisher Unwin, 1924.

Farley, Lewis, *Turks and Christians, A Solution of th Eastern Question.* London, Simpkin, Marshall & Co.,1876

______________, *Two Years in Syria* London, Saunders and Otley, 1849.

Ghalib, Pierre, *Le protectorat religieux de la France en Orient.* Aignon, Aubanel, 1913.

Gibbon, H., *The Foundation of the Ottoman Empire.* Oxford, Clarendon; 1916

Guichen, Vicomte de, *La Crise d'Orient de 1839 - 1841 et L'Europe.* Paris, Emile Paul, 1921.

Guizot, F, *A. Popular History of France from Earliest Times.* Boston, Aldine Book Publishing Co., 1888(Translated by R. Black).

Guys, Henri, *Relations d'un sejour de plusiers annees a Beyrout et dans le Liban,* Paris, Librairie francaise, 1850.

Hallberg, Charles, *The Suez Canal.* N.Y. Columbia University Press,1931

Hamlin, Cyrus, *Among the Turks.* N.Y., Carter, 1877.

Hammer, J. de, *Histoire de L'empire Ottoman; jusqu'a nos jours.* Paris, Bellizard, 1839.

Hourani, Albert, *Minorities.* London, Oxford University Press,1946.

________________, *Syria and Lebanon, A Political Essay.* London, Oxford University Press,1946.

Hunter, W. — Narrative of the Late Expedition to Syria under the Command of Admiral the Hon. Sir Robert Stopford, 2 Vols. London, Colburn, 1842.

Ismail, Adel, — Histoire du Liban du XII Siecle a nos jours IV, (Typwritten form)

Jehay, le Comte F. Van den steen de, — De La Situation Légale des Sujets Ottomans non-musulman. Bruxelles, Schepens, 1906.

Jessup, H., — Fifty Three Years in Syria, v.1, New York, Fleming & Revell Co.,1910

Jobin, L'Abbé, — La Syrie en 1860 et L861, Lettres et Documents formant un histoire complete des massacres du Liban et de Damas. Paris, Lefort, 1880.

Jouplain, M., — La Question du Liban, etude d'histoie diplomatique et de droit internationa Paris, Libraire nouvelle, 1908.

Kerr, M., — Revolution and Civil War in the Leban An unknown page from the history of Lebanon from 1841-1871, by a comtempo- rary of the time of Antun Dahir Al-Akiki Publication, Commentary, and marginal notes by I.Y. Yazbak, Tran. comm. and annotations by M. Kerr Thes A.U.B. 1955)

Khayat, Asa'ad, — A Voice from Lebanon London, Madden & Co., 1847.

Kohn, Hans, — Western Civilization in the Near East London, Routledge, 1936.

Lammens, Henri, — Petite histoire de Syrie et du Liban Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1921

Laurent, Achille; — Relations historique des affairs dela Syria, depuis 1840 Jusqu'en 1842. Paris, 1846.

Lenormant, F., — Histoire des Massacres de Syrie en 18 Paris, Librairie de L. Hachette, 1861

Lybyer, Albert, — The Ottoman Empire in the Time of Suleiman the Magnificent, Cambridge, Harvard University Press, 1913.

Madden, Richard, — The Turkish Empire in its Relations with Christianity and Civilization. London, Cawtly Newby, 1862.

Mange, Alyce Edythe, — The New Eastern Policy pf the Emperor Napoleon III. Urbana, University of Illinois Press, 1940.

Marriotte, J,A., — The Eastern Question, an Historical Study in European Diplomacy. Oxford, Clarendon, Press 1951

Massp,, Paul, — Elements d'un Bibliographic Francaise de La Syrie, Marseille, Bar latier,191

Miller, William, — The Ottoman Empire, 1801-1913, London, Cambridge University Press, 1913.

Missionary Herald, — 1840-1860, Boston; Crocker & Brewster,1940-1858.

Murrey, I. H., — Handbook for Travellers, London, 1855

Napier, Commodore Sir Charles; — The War in Syria 1840, two vols., London, John Parker, 1892.

Napier, E., — Reminiscences of Syria and the Holy La London, Parry, 1847.

Palgrave, W., — Essays on Eastern Question, London, Macmillan, 1872.

Paton, A. Oriental Student, — Modern Syrians, London, Longman, 1844.

Perrier, F., — Le Syrie sous le government de Mehemet Ali, jusqu'en 1840. Paris, Arthus Bertrand, 1842.

Poujade, Eugene, — Le Liban et la Syrie 1845-1860 Paris, Michel Levy Freres 1867.

Poujoulat, Baptistin, — Recits et souvenirs d'un voyage en Orient. Tour, Alfred name et Fils, 1883.

Ramsay, W., — Impressions of Turkey During twelve years' wanderings. London, Hodder, 1897.

Reid, Job, — Turkey and the Turks, Being the Present State of the Ottoman Empire. London, Clarke, 1840.

Richter, Julius, History of Protestant Missions in the Near East. London, Fleming H.Revell Co. 1910.

Ristelhueber, René, Les Traditions francaises an Liban. Paris, Librairie Felix Alcan; 1925.

Rustum, Assad, The Struggle of Mehemet Ali Pacha with Sultan Mahmud II, Beirut, 1925.

______________, The Royal Archives of Egypt and the Origin of the Egyptian Expedition to Syria 1831 - 1841. A.U.B. Publications, Beirut, 1946.

Schopoff, A., Les refromes et la protection de Chretiens en Turquie, 1673 - 1904, Paris, Plon, 1904.

Souvenire de Syrie (Expedition francaise de 1860.) Temoin Oculaire Paris, Plon, 1903.

Stanhope, Hester Lucy, Memoirs of the Lady Hester Stanhope; 3 Vols., London, Henry Colburn, 1845.

Toynbee, Arnold; The Western Question in Greece and Turkey, A study in the contact of circulizations. Edinburgh, constable,1923,civilizations.

Toynbee, Arnold and Kirkwood; K. Turkey, London, Earnest Beenn, 1926.

Urquhart; David, The Lebanon, (Mount Souria).A History and a Diary, two vols., London, Thomas Cantley Newly, 1860.

Vingtrinier Aime, Soliman Pacha,(Colonel Seve) Paris, Didat, 1886.

Vogue, Comte Melchoir de, Les evenements de Syrie. Paris, Charles Douniol, 1860.

The Cambridge Modern History, A.W. Ward et al., Cambridge University Press,1904-1910

"Lebanon" Encylopedia Americana, vol., XVII, New York - Chicago, Americana Corporation.

"Druzes" Encyclopaedia of Islam Leyden, J. Brill, L913.

الملخــــــص

ان المسألة اللبنانية جزء من المسألة الشرقية اوجدها نظام واثارها الاقتحام الغربي للشرق فكان لبنان احدى الجبهات التي بوز فيها ذلك الاقتحام على اشده في نواحيه المختلفة الروحية والثقافية والسياسية والعسكرية منذ فجر القرن التاسـع عشــر .

وكانت الحملة المصرية نقطة الانطلاق او التوسع لهذا الاقتحام ففتحت المسألة اللبنانية على مصراعيها وكان من نتائجها اشتداد يد الامير الحاكم على الاقطـاع ، واظهار ميله لطائفة دون سواها ،بل حملت تلك الطائفة ان تشهر السلاح لاول مرة على جيرانها بعد ان عاشت الطائفتان سبعة قرون بانسجام وسلام ،فتولدت الضغائن ولا سيما بعد ان استباحت الطائفة المارونية مع الفاتحين حرمه اقداس جيرانها السرية . وانكشفت اهمية لبنان الستراتجية فاصبح حلبة للتنافس البريطاني الافرنسي على الاخص واحتضنت كل دولة فريقا لتنفيذ مآربها وبسط نفوذها .

فاثار الاحقاد الحديثة وادى الى تقسيم الجبل على اساس طائفي فازداد التوتر وتوسع مجال الاحتكاك وطمع كل طائفة بالتفوق وكسب المطالب .

ونقم الاتراك على الوضع اللبناني للتدخل الاجنبي المكشوف فيه ولمحاولة امرائه التواطيء على الدولة فيما مضى فاستغل الاتراك الظروف وهدفهم تفاقم المتاعـب وتقلقل الحكم علهم يتولون ادارته .

وبفضل سياسة التساهل المصرية تجاه الاجانب تدفقت الارساليات الاجنبية وتكاثر التصادم والتنافس فيما بينها فأدى تصادمها الى اثارة التعصب المكبوت في الطوائف الاخرى وتدخل رجال الدين في امور الدنيا وادى تنافسها الى تكاثـر المدارس فاستيقظ الوعي الفردى والشعبي والروح القومية الى حد .

وكان من جراء هذا الوعي وفتح المدارس ان تغير وضع المسيحيين على الاخص فاثروا من جراء اتصالهم بالغرب واقتباسهم بعض المعرفة وبعض انواع المهن ،وتجلى الوعي الاجتماعي بثورة الفلاحين في كسروان على اسيادهم الاقطاعيين وامتد لهيب الثورة الى الاقطاع الدرزى ، واكثرية المزارعين فيه مسيحيون ، فاصطبغت الثورة بلون طائفي .

وتبارى الفاتح المصرى وبعض السلاطين بفرض الاصلاحات وتحسين احوال الذميين فأثاروا نقمة المتعصبين في سوريا ولبنان ، وطيلة حرب القرم وبعده ازداد التدخل الاجنبي بانواعه المختلفة وبرزت موجة شديدة من التعصب لفحت بوهجها سوريا ولبنان ، ومهدت بعض المناسبات والحوادث المحلية في الجبل السبيل للفوضى ، فكثـــر التعدى والقتل الافرادى لكثرة المتدخلين وانعدام المسؤولية الواضحة .

وتفاقت الامور من تفاعل العوامل السابقة فاندلعت الفتنة فيه لاتفه المناسبات الصبيانية ،وكانت في الواقع الشرارة التي اطلقت قوى الشر والاحتكاك الذى بلغ ذروته آنذاك فكان لبنان كبش المحرقة لها .